سراج السائرين

إلى منازل السعداء والموفقين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣م

رقم الإيداع: / ٢٠٢٣م

سراج السائرين

إلى منازل السعداء والموفقين

بحث موسع عن التوفيق ومعانيه وأسبابه وأعمال الموفقين
وصفاتهم التي كانت سببا في سعادتهم في الدنيا والآخرة

إعداد العبد الفقير إلى عفو ربه

عبد الوهاب بن علي باشا الدريهمي

غفر الله له ولوالديه

قرأه واثنى عليه وأذن بنشره والاستفادة منه

فضيلة شيخنا الوقور ووالدنا المربي

أبي عبدالله سليم بن عبدالله الخوخي سلمه الله

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حث الشارع الحكيم العبد المؤمن على التأني في الأمور والنظر في عواقبها

ومن أمثلة الشرع للنظر في العواقب:

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق:١٠-١٣].

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل»(١).

(١) النهي عن سب آلهة المشركين

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنعام:١٠٨].

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ناهيًا لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو.

كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: قالوا: يا محمد،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥٩٢/ ٤).

لتنتهين عن سبك آلهتنا، أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم»(١).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينهىٰ الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلىٰ الله بإهانتها وسبها.

ولكن لما كان هذا السب طريقا إلىٰ سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح -نهىٰ الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة، زين الله لهم عملهم، فرأوه حسنا، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتىٰ إنهم، ليسبون الله رب العالمين، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم.

ولكن الخلق كلهم، مرجعهم ومآلهم، إلىٰ الله يوم القيامة، يعرضون عليه، وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر.

وفي هذه الآية الكريمة، دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلىٰ الشر»(٢).

(٢) النهي عن العجلة في الكلام والتسرع في الألفاظ والأفعال

❁ عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣١٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٦٩).

عظني وأوجز. فقال: «**إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا، واجمع الإياس مما في أيدي الناس**»(١).

❁ وجاء من رواية ابن عمر يقول: «أتىٰ النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله! حدثني حديثًا واجعله موجزًا، فقال له النبي ﷺ: «... **وإياك وما يعتذر منه**»(٢).

✍ **قال الشيخ عبدالكريم الخضير -حفظه الله-**: «يعني حاسب نفسك، وتأكد من سلامة الكلام الذي تنطق به، بحيث لا تتكلم بكلام لا تحسب له حساب، ثم تضطر غدا إلىٰ أن تعتذر منه، وهذا معروف أنه في الكلام الباطل هو الذي يعتذر منه، وأما الكلام الحق فلا عذر منه، وقل مثل هذا فيما يكتب.

فلا تكتب بكفك غير شيء ∴ يسرك في القيامة أن تراه»(٣)

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٦٨٧: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥٤٢)، وأحمد (٥/ ٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٦٢) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٧٤٢ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٤٤: أخرجه في «التاريخ» (٣/ ٢/ ٢١٦)، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (٦/ ٧٤/ ٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥٨٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٠/ ٢)، والبيهقي في «الزهد» (٦٢/ ١ - ٢)، والقاضي الشريف أبو علي في «مشيخته» (١/ ١٧٣/ ٢)، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦/ ١)، والضياء المقدسي في «المختارة» وبالجملة فالحديث قوي بهذه الشواهد.

(٣) شرح جوامع الأخبار (٣٣/ ٨).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»(١).

✍ **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه لا يتدبرها ويفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وكالكلمة تقذف أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك وهذا كله حث علىٰ حفظ اللسان وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة المَقْدِسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ مُخَلَّدُ بن الحُسَيْن: «مَا تكَلَّمْت مُنذُ خَمْسِين سَنة بكَلِمَةٍ أريدُ أن أعْتذِر مِنها»(٣).

✍ **وقال يونس بن عبيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما من الناس أحد يكون لسانه منه علىٰ بال، إلا رأيت ذلك صلاحًا في سائر عمله»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٥٥)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٨/ ٢٢٣ - ٢٢٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٦) أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة وما يرىٰ أنها تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»، والترمذي (٢/ ٥١)، ولفظه: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرىٰ بها بأسا يهوي بها سبعين خريفًا في النار**».

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم (١١٧/ ١٨).

(٣) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٦٤).

(٤) [صفة الصفوة ٣/ ٢٢٠].

✍ **وقال الإمام الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أبيات في الآداب:**

واستشعر الحلم في كل الأمور ∴ ولا تسرع ببادرة يومًا إلىٰ رجل

✍ **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-:** «الواجب علىٰ المسلم قبل أن يتكلم أن يزن كلامه، وينظر عواقبه وآثاره قبل أن ينطق به، وأن يزن كلامه بالميزان الصحيح، إن كان كلامه يسبب الخير يتكلم، وإن كان كلامه يسبب الشر يمسك شره عن الناس»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أو ما علمت أنه ليس شيء أضر علىٰ الإنسان من العين واللسان فما عطب أكثر من عطب إلا بهما وما هلك أكثر من هلك إلا بسببهما فلله كم من مورد هلكة أورداه ومصدر ردىٰ عنه أصدراه فمن أحب أن يحيا سعيدا أو يعيش حميدا فليغض من عنان طرفه ولسانه ليسلم من الضرر فإنه كامن في فضول الكلام وفضول النظر»(٢).

(٣) الاعتدال في المحبة والبغض بلا إفراط ولا تفريط

❁ قال النبي ﷺ: «**أحبب حبيبك هونًا ما؛ عسىٰ أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما؛ عسىٰ أن يكون حبيبك يومًا ما**»(٣).

---

(١) شرح كتاب الفتن والحوادث (ص٢٣٩).

(٢) روضة المحبين (١٠٦/ ١).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٩٦) عن أبي هريرة، وأخرجه الطبراني عن ابن عمرو والدارقطني في الأفراد وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٢١) عن علي عن علي موقوفًا. قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ١٧٨ في صحيح الجامع.

✍ **قال القائل:**

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ∴ فإنك لا تدري متىٰ أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مجانب ∴ فإنك لا تدري متىٰ أنت راجع
وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذىٰ ∴ فإنك راءٍ ما عملت وسامع

(٤) النهي عن سب الرجل أبا الرجل وسب أم الرجل فيسب والديه

❁ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**»(١).

(٥) النهي عن الذنوب ومنها النظر الحرام

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا مهملين النظر في العواقب أسلفوا في وقت الرخص، فما يؤمن تغير الأسعار، لا ترم بسهام النظر فإنها والله: «فيك تقع، رب راعي مقلة أهملها فأغير علىٰ السرح

كل الحوادث مبداها من النظر ∴ ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب ناظرها ∴ فعل السهام بلا قوس، وتر

✍ **غيره:**

وأرىٰ السهام تؤم من يرمي بها ∴ فعلام سهم اللحظ يصمي من رمىٰ»(٢)

---

(١) رواه مسلم برقم (١٣٠).

(٢) «المدهش»: (ص ٤٧٣/ -٤٧٥). بدائع الفوائد (١٢١٢/ ٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهوات الدنيا كـ «لعب الخيال»، ونظر الجاهل مقصور علىٰ الظاهر، فأما ذو العقل فيرىٰ ما وراء الستر»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، مثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الداعية منك اليها، ففكر في انقطاعها، وبقاء قبحها وألمها، ثم وازن بين الأمرين، وانظر ما بينهما من التفاوت، والتعب بالطاعة ممزوج بالحسن، مثمر للذة والراحة، فإذا ثقلت علىٰ النفس، ففكر في انقطاع تعبها، وبقاء حسنها ولذتها وسرورها، ووازن بين الأمرين، وآثر الراجح علىٰ المرجوح، فإن تألمت بالسبب، فانظر إلىٰ ما في السبب من الفرحة والسرور واللذة، يهن عليك مقاساته، وإن تألمت بترك اللذة المحرمة، فانظر إلىٰ الألم الذي يعقبه، ووازن بين الألمين، وخاصية العقل تحصيل أعظم المنفعتين بتفويت أدناهما واحتمال أصغر الألمين لدفع أعلاهما وهذا يحتاج إلىٰ علم بالأسباب ومقتضياتها، والىٰ عقل يختار به الأولىٰ والأنفع له منها، فمن وفر قسمه من العقل العلم اختار الأفضل وآثره، ومن نقص حظه منهما أو من أحدهما اختار خلافه، ومن فكر في الدنيا والآخرة علم أنه لا ينال واحدًا منهما إلا بمشقة، فليتحمل المشقة لخيرهما وأبقاهما»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الحامل علىٰ الذنب إما أن يكون عدم علمه بقبحه، وإما عدم علمه بسوء عاقبته، وإما أن يجتمع له الأمران لكن

---

(١) الفوائد لابن القيم (٤٥/ ١).

(٢) الفوائد (٢١٣/ ١).

يحمله عليه اتكاله علىٰ التوبة، وهو الغالب من ذنوب أهل الإيمان، فإذا علم قبح الذنب وعلم سوء مغبته وخاف أن لا يفتح له باب التوبة بل يمنعها ويحال بينه وبينها اشتد خوفه. هذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره قال الشاعر:

بو أعقل الناس من لم يرتكب سببا ∴ حتىٰ يفكر ما تجني عواقبه»(٢)

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأملوا عواقب الذنوب تفنىٰ اللذة وتبقىٰ العيوب»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له

فأفضل الناس من لم يرتكب سببا ∴ حتىٰ يميز لما تجني عواقبه»(٤)

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تذهب اللذات وتعقب الحسرات وتفنىٰ الشهوة وتبقىٰ الشقوة.

---

(١) طريق الهجرتين (٢٨٤/ ١).
(٢) روضة المحبين (١٠٤/ ١).
(٣) التبصرة (٣٣٣/ ١).
(٤) روضة المحبين (٤٧٣/ ١).

✍ **وكان الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري** رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ **ينشدان:**

تفنىٰ اللذاذة ممن نال صفوتها ∴ من الحرام ويبقىٰ الخزي والعار
تبقىٰ عواقب سوء في مغبتها ∴ لا خير في لذة من بعدها النار»[١]

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمه في المعدة وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت في المعدة غايتها وكما أن الأطعمة كلما كانت ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وأكثر حلاوة كان رجيعها أقذر فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألذ واقوىٰ فالتأذي بها عند الموت أشد كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقده يقوىٰ بقدر محبة المحبوب»[٢].

✍ **قال الشاعر**[٣]:

يا صاحب الذنب لا تأمن عواقبه ∴ عواقب الذنب تخشىٰ وهي تنتظر

(٦) النهي عن العجلة والطيش:

❁ عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**التأني من الله، والعجلة من الشيطان**»[٤].

✍ **قال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي التثبت في الأمور وفعلها رصينة محكمة.

---

(١) روضة المحبين (٣٣٣- ٣٧٤/ ١).
(٢) عدة الصابرين (١٩٥/ ١).
(٣) لطائف المعارف (١٤٦/ ١).
(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٠٤: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣/ ١٠٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٠٤).

(من الله) أي من الصفات التي يحبها الله من عبده ويجبله عليها. (والعجلة) الطيش والخفة والحدة. (من الشيطان) أي من الأوصاف التي يحبها الشيطان من العبد ويقوده إليها لأنها تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء في غير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خلقين مذمومين التفريط والاستعجال قبل الوقت أفاده ابن القيم»(١)(٢).

❁ عن مصعب بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ. «**التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة**»(٣).

✍ **قال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الطيبي: معناه أن الأمور الدنيوية لا يعلم أنها محمودة العواقب حتىٰ يتعجل بها أو مذمومة حتىٰ يتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية لقوله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨]»(٤).

❁ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**» قال يا رسول الله: أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال: «**بل الله جبلك عليهما**» قال: الحمد لله الذي جبلني علىٰ

---

(١) الروح (ص ٢٥٨)..

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١١٢/ ٥).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٠٣: رواه أبو داود (رقم ٤٨١٠)، والحاكم (١/ ٦٢)، والبيهقي في «الزهد» (٨٨/ ١) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٠٠٩ في صحيح الجامع.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١١١/ ٥).

خلتين يحبهما الله ورسوله»(١).

والأناة أي: التثبت وترك العجلة، ومنه قول الشاعر:

أنـــاة وحلمـــا وانتظـــارا بهـــم غـــدا ∴ فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر»(٢)

✍ **قال المباركفوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأناة والتثبت في الأمور وضبط النفس، عن هيجان الغضب، ويراد به العقل، لأنها من مقتضيات العقل، وشعار العقلاء، وقيل: أولو الأحلام البالغون،

والحلم بضم الحاء البلوغ، وأصله ما يراه النائم (النهىٰ) بضم النون جمع نهية وهو العقل الناهي عن القبائح، أي ليدن مني البالغون العقلاء لشرفهم، ومزيد تفطنهم، وضبطهم لصلاته، وإن حدث به عارض يخلفوه في الإمامة

✍ **قال الطيبي**: أمر بتقديم العقلاء، ذوي الأخطار والعرفان، ليحفظوا صلاته ويضبطوا الأحكام والسنن فيبلغوا من بعدهم وفي ذلك مع الإفصاح عن جلالة شأنه حث لهم علىٰ تلك الفضيلة وإرشاد لمن قصر حالهم عن المساهمة معهم في المنزلة إلىٰ تحري ما يزاحمهم فيها»(٣).

❁ قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات:٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧). وأخرجه الترمذي (٢٠١٠)، وأخرجه في سنن أبي داود (٥٢٢٤). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٣٣/ ١)، وشرح النووي علىٰ مسلم (١٨٩/ ١).

(٣) مرقاة المفاتيح (١٥٤/ ٣).

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تعالىٰ بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون -في نفس الأمر- كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفىٰ وراءه، وقد نهىٰ الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال».

وقد قررنا هذه المسألة في كتاب العلم من شرح البخاري، ولله الحمد والمنة.

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله ﷺ علىٰ صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها.

❁ ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، رضي الله عنها، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سابق، حدثنا عيسىٰ بن دينار، حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي يقول: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ، فدعاني إلىٰ الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إليهم فأدعوهم إلىٰ الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، ويرسل إلي رسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ إن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات قومه، فقال

لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرىٰ حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلىٰ الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق فرق -أي: خاف-فرجع فأتىٰ رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي. فضرب رسول الله ﷺ البعث إلىٰ الحارث. وأقبل الحارث بأصحابه حتىٰ إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلىٰ من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله. قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني. فلما دخل الحارث علىٰ رسول الله ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟». قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله. قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ [الحجرات:٦] إلىٰ قوله: ﴿حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات:٨]»(١).(٢)

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩)، والطبراني المعجم الكبير (٣/ ٢٧٤) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٠٩): «رجال أحمد ثقات»، وهذا متعقب فإن دينار والدعيسي لم يوثقه إلا ابن حبان، ولا يعرف له راويًا غير ابنه عيسىٰ.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٧٠).

(٧) السعيد الموفق من وفق لصحة المعتقد وسلامة المنهج

لقد وصف الله عباد الرحمن بجملة من الأوصاف والمدائح وأثنىٰ عليهم مشيرا إلىٰ مكانتهم وكرامتهم عنده وأضاف عبديتهم إلىٰ اسمه الرحمن تشريفا لهم وتنويها بشأنهم بأنهم عباد موفقون ومسددون لهذه الأعمال واتصافهم بهذه الصفات التي هي أكمل الصفات وجمعت فضائل الأعمال وأعلاها.

فمن تلك الصفات بأن وصفهم بالتوحيد لله تعالىٰ بعبادتهم له وتجريد أعمالهم من الشرك لغيره سبحانه قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:٦٨].

فمن وفق لهذه النعمة فقد وفق لسعادة الدارين ونجىٰ من الخسران والخذلان في الدنيا والآخرة.

❁ وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء:٢٢].

✍ **قال الإمام السفاريني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر جملة عظيمة نافعة من عقائد أهل السنة في منظومته «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية» في الخاتمة حمد الله الذي وفقهه لاعتقاد هذا المنهج القويم والطريق المستقيم **فقال:**

والحمد لله على التوفيق ∴ لمنهج الحق على التحقيق
مسلما لمقتضى الحديث ∴ والنص في القديم والحديث

لا أعتني بقول غير السلف ∴ موافقا أئمتي وسلفي
ولست في قولي بذا مقلد ∴ إلا النبي المصطفى مبدي الهدي

✍ **وقال أبو العالية الريَاحِي** - رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أدري أي النعمتيْن أفضل أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء»(١).

✍ **وقال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من مات علىٰ الإسلام والسنة مات علىٰ الخير كله»(٢).

✍ **وجاء عن عبد الله بن نافع قال**: سمعت مالك بن أنس يقول: «لو أن العبد ارتكب الكبائر بعد أن لا يشرك بالله شيئًا ثم نجا من هذه الأهواء والبدع والتناول لأصحاب رسول الله ﷺ أرجو أن يكون في أعلا درجة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا وذلك أن كل كبيرة فيما بين العبد وبين الله عَزَّوَجَلَّ فهو منه علىٰ رجاء وكل هوىٰ ليس منه علىٰ رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم من مات علىٰ السنة فليبشر من مات علىٰ السنة فليبشر من مات علىٰ السنة فليبشر».

✍ **وعن حميد بن كاسب قال**: قال مالك بن أنس: (لو لقي الله رجل بملء الأرض ذنوبًا ثم لقي الله بالسنة لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا)»(٣).

---

(١) تهذيب حلية الأولياء (٣٦٧/ ١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٦).
(٣) ذم الكلام وأهله (٧٦/ ٥).

✍ **وقال الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلىٰ إلا بإخلاص المعتقد والعمل الصالح»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله»(٢).

✍ **وقال العلامة الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تمام النعمة التوفيق لمنهج العصمة».

فصحة المعتقد وإخلاص التوحيد نعمة من الله:

❁ قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾ [الزمر:٢٩].

✍ **قال أبو السعود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تنبيه للموحدين علىٰ أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالىٰ وأنها نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداموا علىٰ حمده وعبادته أو علىٰ أن بيانه تعالىٰ بضرب المثل أن لهم المثل الأعلىٰ وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عَزَّوَجَلَّ مستوجب لحمده وعبادته»(٣).

❁ وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) اقتضاء العلم العمل (١٩/ ١).

(٢) الفوائد (٨٣/ ١).

(٣) تفسير أبي السعود (٢٥٣/ ٧).

يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ [يوسف:٣٨].

أي: هذا من أفضل مننه وإحسانه وفضله علينا، وعلىٰ من هداه الله كما هدانا، فإنه لا أفضل من منة الله علىٰ العباد بالإسلام والدين القويم، فمن قبله وانقاد له فهو حظه، وقد حصل له أكبر النعم وأجل الفضائل(١).

✍ **وقال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في آخر رسالته التي أرسلها للإمام مسدد ابن مسرهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أحبوا أهل السنة علىٰ ما كان منهم أماتنا الله وإياكم علىٰ السنة والجماعة، ورزقنا الله وإياكم اتباع العلم. ووفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه»(٢).

✍ **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وطاعة الرسول فيما أمرنا به هو الأصل الذي علىٰ كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة»(٣).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمُؤْمِن المُخْلِصُ لِلَّه مِن أطْيَب الناسِ عَيْشًا وأنعَمِهمْ بالًا وأشْرحِهمْ صَدْرا وأسَرهمْ قَلْبا وهذْه جَنةٌ عَاجِلَةٌ قَبلَ الجَنةِ الآجِلَةِ»(٤).

---

(١) تفسير الكريم المنان (٣٩٨/ ١).

(٢) طبقات الحنابلة (٣٤٥/ ١).

(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ (١٥٤/ ٢).

(٤) الدَّاءُ والدَّواء (٢٣٤).

✍ **وقال محمد بن الحسين**: علامة من أراد الله به خيرًا: سلوك هذا الطريق، كتاب الله، وسنن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلىٰ آخر ما كان من العلماء مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان علىٰ مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء، وسنبين ما يرضونه إن شاء الله تعالىٰ»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالسعيد من اعتصم بكتاب الله واتبع الرسول في سنته وشريعته»(٢).

✍ **قال ابن القيم**: «المؤمن المخلص لله، من أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم بالًا، وأشرحهم صدرًا، وأسرهم قلبًا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة»(٣).

✍ **وقال يونس بن عبيد**: «ليس شيء أعز من شيئين: درهم طيب، ورجل يعمل علىٰ سنة»(٤).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السعادة هم أهل التوحيد»(٥).

---

(١) الشريعة للآجري (٣٠٢/ ١).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٤٦/ ١٨).
(٣) الداء والدواء ٤٥٩/ ١()).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٩٠/ ٦).
(٥) مجموع الفتاوىٰ (٢٩/ ٩).

✍ **وقال العلامة الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإني لأحمد الله إذ وفق أهل السنة للبعد عن الحزبيين والحزبيات وأنت أيها السني ولو كنت وحدك لا تبالي»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والاخلاص في الدنيا كذلك. والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف والهمم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم»(٢).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه الذنوب مع صحة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب»(٣).

✍ **وقال يونس بن عبد الأعلىٰ**: أتيت الشافعي بعد ما كلم حفص الفرد فقال: غبت عنا يا أبا موسىٰ، لقد اطلعت من أهل الكلام علىٰ شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلىٰ المرء بجميع ما نهىٰ الله عنه خلا الشرك بالله، خير من أن يبتليه الله بالكلام(٤).

---

(١) تحفة المجيب (١٤٣).

(٢) الفوائد (١٨٠/ ١).

(٣) الاستقامة (٤٦٦/ ١).

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (٤٥٤/ ١)، وآداب الشافعي ومناقبه (١٨٢).

✍ **وقال الربيع بن سليمان**: «أخبرني من سمع الشافعي، يقول: لأن يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ المرء، بكل ذنب، ما خلا الشرك بالله تبارك وتعالىٰ، خير له أن يلقاه بشيء من الأهواء»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العقول المؤيدة بالتوفيق ترىٰ أن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق الموافق للعقل والحكمة. والعقول المضروبة بالخذلان ترىٰ المعارضة بين العقل والنقل والحكمة والشرع وأقرب الوسائل إلىٰ الله ملازمة السنة، والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الافتقار إلىٰ الله، وارادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلىٰ الله إلا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد إلا بانقطاعه عنها أو عن أحدها»(٢).

✍ **وذكر ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في لاميته في العقيدة السلفية الصحيحة جملة من العقائد التي يعتقدها أهل السنة وأنكرها المبتدعة المخذولون وهي مسألة خلق القرآن والنزول والاستواء والرؤية السؤال في القبر وعذابه ونعيمه والميزان والصراط والصحابة والقول بالدليل وترك علم الكلام والمنطق وإثبات الصفات ثم قال في آخرها:

هـذا اعتقـاد الشـافعي ومالـك ∴ وأبـي حنيفـة ثـم أحمـد ينقـل
فـإن اتبعـت سـبيلهم فموفـق ∴ وإن ابتـدعت فمـا عليـك معـول

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه (١٤٣/ ١)، والبيهقي في الاعتقاد (٢٣٩/ ١) وأبو نعيم في الحلية (١١١/ ١١٢/ ٩).

(٢) الفوائد (١١٣/ ١).

✍ وقال الكلوذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في داليته:

واسمع مقالي إن أردت تخلصا ∴ يوم الحساب وخذ بهديي تهتدي
واقصد فإني قد قصدت موفقا ∴ نهج ابن حنبل الإمام الأوحد

✍ وقال ابن أبي داود في الحائية في آخرها:

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ∴ فأنت علىٰ خير تبيت وتصبح

✍ وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفساق اهل السنة أولياء الله وعباد أهل البدعة أعداء الله وقبور فساق أهل السنة روضة من رياض الجنة وقبور عباد أهل البدع حفرة من حفر النار والتمسك بالسنة يكفر الكبائر كما أن مخالفة السنة تحبط الحسنات وأهل السنة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم واهل البدع إذا قامت بهم أعمالهم قعدت بهم عقائدهم وأهل السنة هم الذين أحسنوا الظن بربهم إذ وصفوه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ووصفوه بكل كمال وجلال ونزهوه عن كل نقص والله تعالىٰ عند ظن عبده به وأهل البدع هم الذين يظنون بربهم ظن السوء إذ يعطلونه عن صفات كماله وينزهونه عنها وإذ عطلوه عنها لزم اتصافه بأضدادها ضرورة ولهذا قال الله تعالىٰ في حق من أنكر صفة واحدة من صفاته وهي صفة العمل ببعض الجزئيات: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت:٢٣]، وأخبرهم عن الظانين بالله ظن السوء أن ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

[الفتح:٦]، فلم يتوعد بالعقاب أحدًا أعظم ممن ظن به ظن السوء»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما قوي التوحيد في قلب العبد كلما قوي إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأصل ما تزكو به الأرواح والقلوب التوحيد»(٣).

✍ **وقال عبد الله بن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «المروءة أن تحقق التوحيد وتركب المنهج السديد وتستدعي من الله المزيد»(٤).

✍ **وعن معتمر بن سليمان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: «دخلت علىٰ أبي وأنا منكسر فقال مالك قلت مات صديق لي قال مات علىٰ السنة قلت نعم قال فلا تخف عليه»(٥).

✍ **وقال الموفق ابن قدامة المقدسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن سلك غير طريق سلفه أفضت به إلىٰ تلفه، ومن مال عن السنة فقد انحرف عن طريق الجنة فاتقوا الله تعالىٰ وخافوا علىٰ أنفسكم فإن الأمر صعب وما بعد الجنة إلا النار وما بعد الحق إلا الضلال ولا بعد السنة إلا البدعة»(٦).

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٢٢٩).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٣٥).
(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٤٩).
(٤) محاضرات الأدباء (٣٦٩).
(٥) شرح أصول الاعتقاد اللالكائي (١/ ٦٧)..
(٦) تحريم النظر في علم الكلام (١/ ٧١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل السعادة وأصل النجاة من العذاب هو توحيد الله تعالىٰ بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودخلت يومًا علىٰ بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسألته عنه فقال ذكرت ما من الله به علي من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول فسرني ذلك حتىٰ أبكاني»(٢).

✍ **وقال مالك بن أنس**: «من لزم السنة وسلم منه أصهار رسول الله ﷺ ثم مات: كان مع الصديقين والشهداء والصالحين وإن قصر في العمل»(٣).

✍ **وقال الإمام ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا سعادة للعباد ولا هداية ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بتعظيم كتاب الله وسنة نبيه الأمين ﷺ اعتقادًا وقولًا وعملًا والاستقامة علىٰ ذلك والصبر عليه حتىٰ الوفاة»(٤).

✍ **قال مجيب بن موسىٰ الأصبهاني**: «كنت عديل سفيان الثوري إلىٰ مكة، فكان يكثر البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله، بكاؤك هذا خوفا من الذنوب؟ قال: فأخذ عودا من المحمل فرمىٰ به وقال: «لذنوبي أهون علي من هذا، ولكني أخاف أن أسلب التوحيد»(٥).

---

(١) الانتصار لأهل الأثر (٢٩٥/ ١).

(٢) مدارج السالكين (١٣٢/ ٣).

(٣) طبقات الحنابلة (٤١/ ١).

(٤) [مجموع الفتاوىٰ (١٣٩/ ٢)].

(٥) أخبار أصبهان (٢٩٥/ ٢).

(٨) السعيد الموفق من رزقه الله قلبًا سليمًا

وأهم ما اعتنىٰ به الصالحون وأولياء الله الموفقون صلاح قلوبهم ونقاوة سرائرهم وأن تكون قلوبهم سليمة نقية من شبهات تغطيها وأمراض تحجبها عن الهداية والرشاد ومن شهوات تتراكم عليها وتسد مناقذ النور ومتنفسها الإيماني الذي تجد منه روح ربها فلا أشد من قلب شدد عليه الأغلال وتوالت عليه الآصار بسبب بعدها عن مرعاها ومستقاها من ترياق الكتاب والسنة ودواء القرآن والحكمة فهذا خليل الرحمن نموذج وقدوة في سؤال ربه أهم ما يطلب في الدنيا لتصلح به آخرته.

❁ قال تعالىٰ عنه: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٧-٨٩].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: سالم من الدنس والشرك.

✍ **قال محمد بن سيرين**: القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

✍ **وقال ابن عباس**: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٩] حيي يشهد أن لا إله إلا الله.

✍ **وقال مجاهد، والحسن، وغيرهما**: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يعني: من الشرك.

✍ **وقال سعيد بن المسيب**: القلب السليم: هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قال الله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠].

✍ **وقال أبو عثمان النيسابوري**: هو القلب الخالي من البدعة، المطمئن إلىٰ السنة»(١).

✍ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا الذي ينفعه عندك وهذا الذي ينجو به من العقاب ويستحق جزيل الثواب والقلب السليم معناه الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والإصرار علىٰ البدعة والذنوب ويلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله، ثم ذكر من صفات ذلك اليوم العظيم وما فيه من الثواب والعقاب»(٢).

✍ **وقال ذا النون** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعته يقول: «من وثق بالمقادير استراح، ومن صحح استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفىٰ صفي له، ومن توكل وفق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه»(٣).

✍ **وعن مطرف بن الشخير قال**: «من صفىٰ صفي له ومن خلط خلط له»(٤).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٤٩).
(٢) تفسير الكريم المنان (١/ ٥٩٣).
(٣) حلية الأولياء (٩/ ٣٨٠).
(٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٩٥).

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ خليله بسلامة قلبه فقال: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الصافات:٨٣-٨٤].

وقال حاكيًا عنه أنه قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرياسة. فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي الجنة يوم المعاد.

ولا تتم له سلامته مطلقًا حتىٰ يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوىٰ يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادا لا تنحصر»(١).

وجاء في السنة ما يحث ويهتم بصلاح القلوب وأنه الملك والجوارح تبع له وبصلاحه صلاح الجوارح وبفساده فسادها وكذلك يترتب علىٰ صلاح القلب صلاح الدنيا والآخرة وبفساده تفسد الدنيا والآخرة.

۞ فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقىٰ الشبهات استبرأ**

(١) الداء والدواء(٢٨٢-٢٨٣/ ١).

لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمىٰ ألا وإن حمىٰ الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو إشارة إلىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان أن يراعي ما في قلبه من الهوىٰ الذي يعصف به حتىٰ يقع في الحرام والأمور المشتبهات ومن فوائد الحديث: أن فاسد الظاهر دليل علىٰ فاسد الباطن لقول النبي ﷺ «**إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**» ففساد الظاهر عنوان فساد الباطن»(٢).

✍ **قال العز بن عبد السلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعناه إذا صلح القلب بالمعارف والأحوال صلح الجسد كله بالطاعة والإذعان وإذا فسد بأضداد العرفان والأحوال فسد الجسد كله بالمخالفة والعصيان، والأفراح واللذات تختلف باختلاف المفروح به والمتلذذ به فلذات الجنان أفضل اللذات وأفراحها أفضل الأفراح كما أن غموم النار شر الغموم وآلامها شر الآلام وكذلك لذات العرفان أفضل من لذات الاعتقاد»(٣).

---

(١) (البخاري) في «الإيمان» (٥٢) و«البيوع» (٢٠٥١)، و(أبو داود) في «البيوع» (٣٣٢٩ و٣٣٣٠)، و(الترمذي) في «البيوع» (١٢٠٥)، و(النسائي) في «البيوع» (٧/ ٢٤١).

(٢) شرح الأربعين للعلامة العثيمين (٤/ ١).

(٣) الفوائد في اختصار المقاصد (١٤٥/ ١).

❁ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رفعه قال: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»(١).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رحمه الله: «فيه إشارة إلىٰ أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإن كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوق للشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدًا، قد استولىٰ عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلىٰ كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوىٰ القلب.

ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء، وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحًا كانت هذه الجنود صالحة، وإن كان فاسدًا كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم، كما قال

---

(١) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وغيرهما وقال الترمذي رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه قال وهو أصح وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧١)، وقال: حسن.

تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

❁ وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم إني أسألك قلبًا سليمًا**»(١)، فالقلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس فيه سوىٰ محبة الله وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يباعد منه.

❁ وفي «مسند الإمام أحمد» عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتىٰ يستقيم قلبه**»(٢).

والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعنىٰ استقامة القلب: أن يكون ممتلئا من محبة الله، ومحبة طاعته، وكراهة معصيته.

✍ **وقال الحسن لرجل**: دَاوِ قلبك؛ فإن حاجة الله إلىٰ العباد صلاح قلوبهم، يعني: أن مراده منهم ومطلوبه صلاح قلوبهم، فلا صلاح للقلوب

---

(١) أخرجه: أحمد ٤/ ١٢٣ و١٢٥، والترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي ٣/ ٥٤، وفي «الكبرىٰ» له (١٠٦٤٨)، وابن حبان (١٩٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٥، و٧١٧٥)، والحاكم ١/ ٥٠٨ من حديث شداد بن أوس، به. وإسناده فيه سعيد الجريري، مختلط، وحماد بن سلمة روىٰ عنه بعد الاختلاط، لكن صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٢٢٨)..

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٨٢٢: أخرجه أحمد (٣/ ١٩٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (رقم ٩)، والخرائطي في «المكارم» (رقم ٤٤٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ق ٧٥/ ١)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب(٢٨٦٥).

حتىٰ تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه، وتمتلئ من ذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنىٰ «لا إله إلا الله:، فلا صلاح للقلوب حتىٰ يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له، ولو كان في السماوات والأرض إله يؤله سوىٰ الله، لفسدت بذلك السماوات والأرض، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢] فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معا حتىٰ تكون حركات أهلها كلها لله، وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده، فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإراداته لغير الله تعالىٰ فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب»(١).

✍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «القلب ملك الأعضاء والأعضاء جنوده فإن طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده»(٢).

❁ وعن شداد بن أوس قال: كان رسول الله ﷺ يقول في صلاته: «**اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم**»(٣).

---

(١) البحر المحيط الثجاج (٢٧/ ٧٣٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ١١٣) روضة المحبين (١٧٠/ ١).

(٣) رواه النسائي وروىٰ أحمد نحوه صححه الألباني السلسلة الصحيحة (٣٢٢٨).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان. فما شئت من بدع وضلالة، واتباع هوىٰ، واجتناب هدىٰ، وإعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة! فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فقد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمىٰ الذي يجوس في حنادس الظلمات»(١).

ما يمنع سلامة القلب:

(١) الغل والحسد

❁ عن عبد الله بن عمرو قال: «قيل: يا رسول الله أي الناس أفضل الناس؟ قال: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**»(٢).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد»(٣).

✍ **وقال العلامة ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضل الأعمال سلامة الصدور من أنواع الشحناء»(٤).

---

(١) الداء والدواء (٤١٧/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٦٦٩: رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وابن عساكر (١٧/ ٢٩/ ٢) قال العلامة الألباني: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٤٢/ ١٣).

(٤) لطائف المعارف (١٣٩/ ١).

❁ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافرا ثم سدد وقارب ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد**»(١).

✍ **وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري** وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قومًا ألأم من إخوانك قال: مه ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك قال: هذا والله من كرمهم يأتوننا في حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف منا عنهم.

✍ **قال الماوردي معلقًا**: «فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتىٰ جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر غدرهم وفاء وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم»(٢).

❁ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولىٰ فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل علىٰ مثل حاله الأول فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو فقال إني لاحيت أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتىٰ تمضي فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله

---

(١) سنن النسائي(٣١٠٩)، قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (١٩٤/ ١).

يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار تقلب علىٰ فراشه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وكبر حتىٰ يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا علىٰ خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»(١).

✍ **وعن سفيان بن دينار قال:** «قلت لأبي بشير وكان من أصحاب علي: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا» وقال: قلت: ولم ذاك؟ قال: «لسلامة صدورهم»(٢).

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب وقال: رواه أحمد بإسناد علىٰ شرط البخاري ومسلم والنسائي، وأورده الهيثمي وقال: رواه (أحمد والطبراني)، ورجال أحمد رجال الصحيح.
وأورده المنذري وقال: رواه (أبو داود، والنسائي، بإسناد علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(٢) الزهد لهناد السري (٢/ ٦٠٠).

تعريف السلف للقلب السليم

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اختلفت عبارات الناس في معنىٰ القلب السليم، والأمر الجامع لذلك: أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره»(١).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة فالقلب الصحيح: هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، وحديثه والحديث عنه أشهىٰ إليه من كل حديث، وأفكاره تحوم علىٰ مراضيه ومحابه، والخلوة به آثر عنده من الخلطة إلا حيث تكون الخلطة أحب إليه وأرضىٰ له، قرة عينه به، وطمأنينته وسكونه إليه»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرياسة. فسلم من كل آفة تبعده من الله وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي الجنة يوم المعاد.

ولا تتم له سلامته مطلقًا حتىٰ يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر،

---

(١) إغاثة اللهفان (٧/ ١).

(٢) إغاثة اللهفان (٧٣/ ١).

وهوىٰ يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة:

حجب عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادا لا تنحصر»(١).

✍ **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن استقام قلبه ولسانه، استقام شأنه كله.

فالقلب السليم: هو الذي ليس فيه شيء من محبة ما يكرهه الله، فدخل في ذلك سلامته من الشرك الجلي والخفي، ومن الأهواء والبدع، ومن الفسوق والمعاصي -كبائرها وصغائرها- الظاهرة والباطنة، كالرياء والعجب، والغل والغش، والحقد والحسد وغير ذلك. القلب السليم هو الذي لا ينفع يوم القيامة سواه قال تعالىٰ: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] إذا سلم القلب لم يسكن فيه إلا الرب، في بعض الآثار يقول الله: «ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»(٢).

ساكن في القلب يعمره ∴ لست أنساه فأذكره
غاب عن سمعي وعن بصري ∴ فسويداء القلب تبصره

متىٰ سكن في القلب غير الله، فالله أغنىٰ الأغنياء عن الشرك، وهو لا يرضىٰ بمزاحمة أصنام الهوىٰ.

---

(١) الداء والدواء (٢٨٣/ ١).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا ما ذكروه في الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه: وسع قلبه محبتي ومعرفتي. «الفتاوىٰ» (١٨/ ١٢٢)..

أردناكم صرفا فلما مزجتم ∴ بعدتم بقدر التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ∴ فأسكنتم الأغيار ما أنتم منا

سلامة الصدور من الرياء والغل، والحسد والغش والحقد، وتطيرها من ذلك أفضل من التطوع بأعمال الجوارح.

✍ **قال بعضهم**: ما بلغ عندنا من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بسلامة الصدور، وسخاوة النفوس والنصيحة وكثرة أعمال الجوارح مع تدنس القلب بشيء من هذه الأوصاف لا تزكوا، وهو كزرع في أرض كثيرة الآفات لا يكاد يسلم ما ينبت فيها»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله.

* خلقت النار لإذابة القلوب القاسية.

* أبعد القلوب من الله القلب القاسي.

* إذا قسا القلب قحطت العين.

* قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة. كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم ينفع فيه المواعظ.

* من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله علىٰ شهوته.

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣٥٥/ ١).

* القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.

* القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

* شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت إلىٰ أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد.

* إذا غذي القلب بالتذكر، وسقي بالتفكر، ونقي من الدغل، ورأىٰ العجائب وألهم الحكمة.

* خراب القلب من الزمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر»[(١)].

[علامة القلب السليم]

قال عثمان بن عفان: «لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله، وما أحب أن يأتي علي يوم ولا ليلة إلا أنظر في كلام الله يعني في المصحف»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الصحيح: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتىٰ الله به، فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالىٰ: إرادة ومحبة، وتوكلا، وإنابة، وإخباتًا، وخشية، ورجاء. وخلص عمله لله، فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطىٰ أعطىٰ لله، وإن منع

---

(١) الفوائد (١٠٢/ ١).

(٢) الحلية لأبي نعيم (٣٠٠/ ٧)، ورواه أحمد في الزهد (٦٧٨)، وفي زوائده فضائل الصحابة (٧٧٥).

منع لله ولا يكفيه هذا حتىٰ يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسول الله ﷺ، فيعقد قلبه معه عقدا محكما علىٰ الائتمام والاقتداء به وحده، دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب، وهي العقائد، وأقوال اللسان؛ وهي الخبر عما في القلب. وأعمال القلب، وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها، وأعمال الجوارح. فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقه وجله هو ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل وسلامة القلب من إرادة تعارض الإخلاص، وهوىٰ يعارض الاتباع. فهذه حقيقة سلامة القلب الذي ضمنت له النجاة والسعادة»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الصحيح السليم: ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوىٰ إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تام الانقياد والقبول له»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الصحيح الحىٰ إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضىٰ الله تعالىٰ عنه: «هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر»(٣).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي علىٰ الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

---

(١) إغاثة اللهفان (٧-٨/ ١).

(٢) إغاثة اللهفان (١٠/ ١).

(٣) إغاثة اللهفان (٢١/ ١).

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء.

- **ومن علامات صحته أيضًا:** أن يرتحل عن الدنيا حتىٰ ينزل بالآخرة، ويحل فيها حتىٰ يبقىٰ كأنه من أهلها وأبنائها، جاء إلىٰ هذه الدار غريبا يأخذ منها حاجته، ويعود إلىٰ وطنه، وكلما صح القلب من مرضه ترحل إلىٰ الآخرة وقرب منها حتىٰ يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتىٰ يصير من أهلها.

- **ومن علامات صحة القلب** أنه لا يزال يضرب علىٰ صاحبه حتىٰ ينيب إلىٰ الله ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلىٰ محبوبه، الذي لا حياة له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف. فذكره قوته وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره، والالتفات إلىٰ غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه، فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة، فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوىٰ الله تعالىٰ أبدًا، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده، فهو دائمًا يضرب علىٰ صاحبه حتىٰ يسكن ويطمئن إلىٰ إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرىٰ غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خلق الخلق، ولأجله خلقت الجنة والنار، وله أرسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفىٰ به جزاء وكفىٰ بفوته حسرة وعقوبة. ومن علامات صحة

القلب: أن لا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

- **ومن علامات صحته:** أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده.

- **ومن علامات صحته:** أنه يشتاق إلىٰ الخدمة، كما يشتاق الجائع إلىٰ الطعام والشرب.

- **ومن علامات صحته:** أن يكون همه واحدا، وأن يكون في الله.

- **ومن علامات صحته:** أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه وسرور قلبه.

- **ومن علامات صحته:** أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعا من أشد الناس شحا بماله.

- **ومنها:** أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص علىٰ الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في حق الله»[(١)].

- **ومن علامة سلامة القلب أن يكون رقيقًا خاشعًا لينًا:**

وقد استعاذ النبي ﷺ من قسوة القلب ومن قلب لا يخشع.

---

(١) إغاثة اللهفان (٧٢-٧٣/ ١).

❁ عن أبي هريرة يقول كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الأربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع**»(١).

❁ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتىٰ لا ترىٰ فيها خاشعًا**»(٢).

❁ وعن أسامة بن زيد: أن ابنة لرسول الله ﷺ أرسلت إليه وأنا معه وسعد وأحسب أبيا أن ابني أو بنتي قد حضر فاشهدنا فأرسل يقرئ السلام فقال: «**قل لله ما أخذ وما أعطىٰ وكل شيء عنده إلىٰ أجل**» فأرسلت تقسم عليه فأتاها فوضع الصبي في حجر رسول الله ﷺ ونفسه تقعقع ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال له سعد ما هذا قال: «**إنها رحمة وضعها الله في قلوب من يشاء وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٣).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكا إلىٰ رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: «**إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**»(٤).

---

(١) صحيح ابن ماجة (٣٠٩٤)، وجامع الترمذي (٣٤٨٠) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن. انظر [صحيح الترغيب والترهيب (٥٤٢)]. قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٥٦٩ في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، وفي سنن أبي داود (٣١٢٤).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٥٣٣: أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣) أخرجه الطبراني في «مختصر مكارم الأخلاق» (١/ ١٢٠/ ١)، قد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤).

❁ للحديث شاهد يمكن أن يرتقي به إلىٰ درجة الحسن وهو ما روىٰ الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء قال: «أتىٰ النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، قال: «**أتحب أن يلين قلبك؟ وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك**».

✍ **وذكر أن أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان**: «يا أخي أدن اليتيم وامسح برأسه وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وأتاه رجل يشكو إليه قسوة القلب فقال: أدن اليتيم وامسح برأسه وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتقدر علىٰ حاجتك»(١).

❁ وعن أبي عنبة الخولاني يرفعه إلىٰ النبي ﷺ: «**إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها**»(٢).

- ومن أدلة صلاح القلب وسلامته ورقته تأثره بكلام الله وآياته قال تعالىٰ: ﴿❁ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد:١٦].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٥٣٣: أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣) أخرجه الطبراني في «مختصر مكارم الأخلاق» (١/ ١٢٠/ ١)، قد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٤).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢٦٣: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ق ٤٠/ ١ - المنتقىٰ منه): قلت: وهذا إسناد قوي الإمام أحمد في «الزهد» (٣٨٤): قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح والحديث حسن بشواهده.

✍ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟ وهذا فيه الحث علىٰ الاجتهاد علىٰ خشوع القلب لله تعالىٰ، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم علىٰ ذلك، ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد:١٦] أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلىٰ أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين»(١).

✍ **وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] [الآية] إلا أربع سنين»(٢).

✍ **وقال**: «فيه إشارة إلىٰ أنه، تعالىٰ، يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارىٰ بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة

---

(١) تفسير الكريم المنان (٨٤٠/ ١).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٣٠٢٧).

المجدبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الإضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تنبت الارض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبذر فيها كل بذر فإذا كان القلب قاسيًا غليظًا جافيًا لا يعمل فيه العلم شيئًا وكذلك إذا كان مريضًا مهينًا مائيًا لا صلابة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد روىٰ عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**» قيل: يا رسول الله ﷺ فما جلاؤها؟ قال: «**تلاوة القرآن**».

✍ **وقال بعض العارفين**: إن الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصدأ حتىٰ يفسده كذلك القلب إذا عطل من حب الله والشوق إليه وذكره غلبه الجهل حتىٰ يميته ويهلكه وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال أذبه بالذكر وأبعد القلوب من الله القلب القاسي»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢١/ ٨).

(٢) زاد المعاد (٩٦/ ١).

(٣) روضة المحبين (١٦٧/ ١).

وإذا بعد القلب عن الله ماذا يحدث له؟

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه. ومن تولاه عدوه واستولىٰ عليه لم يأله وبالا، ولم يدع أذىٰ يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله.

فما الظن بقلب تمكن منه عدوُّه وأحرص الخلق علىٰ غيه وفساده، وبعد منه وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن القلب إذا كان رقيقا لينا كان قبوله للعلم سهلًا يسيرًا ورسخ العلم فيه وثبت وأثر وإن كان قاسيًا غليظًا كان قبوله للعلم صعبًا عسيرًا. ولا بد مع ذلك أن يكون زكيًّا صافيًا سليمًا حتىٰ يزكو فيه العلم ويثمر ثمرًا طيبًا وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم وكان كالدغل في الزرع إن لم يمنع الحب من أن ينبت منعه من أن يزكو ويطيب وهذا بين لأولي الأبصار»(٢).

❁ وعن عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربىٰ ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال**»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا اجتمع لين الفؤاد إلىٰ رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة والإحسان ومعرفة الحق وقبوله فإن اللين موجب

---

(١) الداء والدواء (٤٩٤/ ١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣١٥/ ٩).

(٣) رواه مسلم.

للقبول والفهم والرقة تقتضي الرحمة والشفقة وهذا هو العلم والرحمة وبهما كمال الإنسان»(١).

(٩) السعيد الموفق يتزود للآخرة ويزداد كل يوم خيرًا

✍ قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص»(٢).

✍ وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول: «الفقيه حق الفقيه هو الذي يتعاهد إيمانه نقص أم زاد) فالفطن الذي يجعل لنفسه ساعة ينظر في إيمانياته علت أم انتقصت، وما هي الأسباب التي يعلو بها الإيمان فيأخذ بها، وما هي الأسباب التي ينقص فيها الإيمان فيبعد عنها».

✍ وكان وهب بن منبه كما في «مسند الإمام أحمد» يقول: «على المرء أربع ساعات، منها ساعة يخلو بنفسه يتدبر أمره ينظر علا إيمانه أم قل»(٣).

✍ عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه: أنه كان لا يتمنىٰ الموت،

---

(١) التبيان (٢٣٦/ ١).

(٢) رواه اللالكائي في السنة رقم (١٧١٠) من طريق الإمام أحمد، وابن بطة في الإبانة رقم (٨٤٩).

وقال محقق الإبانة رواه الإمام أحمد في الإيمان (ق ١٤١/ ١)؛ وأورده ابن تيمية في الإيمان (ص ٢١١) من رواية الإمام أحمد؛ وكذا المؤلف في لوامع الأنوار (١/ ٤١١).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/ ٤٢).

يقول: إني أصلي في اليوم كذا، وكذا(١).

إذا عرف المؤمن شرف عمره وقيمة حياته وأهمية وقته وأنفاس عمره اهتم به غاية الاهتمام وحافظ أشد المحافظة والعناية فكل يوم في أيامه

❁ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يتضمن غاية الحث علىٰ أفعال الخير، وخصوصًا في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة، فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قولي وفعلي.

ثم أمر تعالىٰ بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالًا واستشرافًا، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه، فهو زاد التقوىٰ الذي هو زاد إلىٰ دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبدًا، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٨٧ / ٥().

وممنوع من الوصول إلىٰ دار المتقين. فهذا مدح للتقوىٰ»[(١)].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنىٰ أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب**»[(٢)].

❁ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه فإن كان لابد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[(٣)].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنىٰ أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات انقطع أمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**»[(٤)].

✍ **وقال ابن حجر** رحمه الله: «فيه إشارة إلىٰ أن المعنىٰ في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت فإن الحياة يتسبب منها العمل والعمل يحصل زيادة الثواب ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال»[(٥)].

✍ **وقال** رحمه الله: «واستشكل بأنه قد يعمل السيئات فيزيد عمره شرا

---

(١) تفسير الكريم المنان (٩١/ ١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٩٤) باب التمني: باب ما يكره من التمني.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٨٧٤)، ومسلم برقم (٤٨٤٠).

(٤) رواه مسلم (٤٨٤٣).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣٠/ ١٠).

وأجيب بأجوبة:

أحدها: حمل المؤمن علىٰ الكامل، وفيه بعد.

والثاني: أن المؤمن بصدد أن يعمل ما يكفر ذنوبه إما من اجتناب الكبائر وإما من فعل حسنات أخر قد تقاوم بتضعيفها سيئاته ومادام الإيمان باق فالحسنات بصدد التضعيف والسيئات بصدد التكفير. والثالث: يقيد ما أطلق في هذه الرواية بما وقع في الرواية المتقدمة من الترجي حيث جاء بقوله لعله والترجي مشعر بالوقوع غالبا لا جزما، فخرج الخبر مخرج تحسين الظن بالله وأن المحسن يرجو من الله الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ولا قطع رجاءه»(١).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رجلان من بلي حي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذكر لرسول الله ﷺ فقال: «**أليس قد صام بعده رمضان وصلىٰ ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة**»(٢).

❁ وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي**

---

(١) فتح الباري (١٣١/ ١٠).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٣٣) بإسناد حسن، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٢).

التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر»(١).

✍ **قال الإمام الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما من يَومٍ ينشق فجره إلّا ويُنادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلىٰ عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلىٰ يوم القيامة»(٢).

✍ **قال بعض السلف**: «كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة»(٣).

❁ عن عبد الله بن شداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن نفرًا من بني عذرة ثلاثة، أتوا النبي ﷺ فأسلموا، قال: فقال النبي ﷺ: «**من يكفينيهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثًا، فخرج فيه أحدهم، فاستشهد، قال: ثم بعث بعثًا، فخرج فيهم آخر، فاستشهد، قال: ثم مات الثالث علىٰ فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت علىٰ فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرًا يليه، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم؟ قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، قال: فقال رسول الله ﷺ: وما أنكرت من ذلك؟ ليس أحد «**ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام، لتسبيحه وتكبيره وتهليله**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٤٨٩٧).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٤٧/ ٢).

(٣) لطائف المعارف (٣٠٢/ ١).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٢٥٧: أخرجه أحمد (١/ ١٦٣)، وعنه الضياء في «المختارة» (١/ ٢٨٣)، وهذا إسناد حسن، وهو صحيح علىٰ شرط مسلم قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٣٧١ في صحيح الجامع.

✍ **وقال عمر بن ذر**: كتب سعيد بن جبير إلىٰ أبي بكتاب أوصاه فيه بتقوىٰ الله، وقال: يا أبا عمر، إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة له، فذكر الصلوات الفرائض وما يرزقه الله من ذكره»(١).

✍ **وقال بعض السلف**: «كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة»(٢).

✍ **ولذلك قال بعضهم**: «لا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله علما ولا بورك لي في طلوع شمس يوم لم أزدد فيه من الله قربا»

✍ **وقال ابن مسعود** رضي الله عنه: «ما ندمت علىٰ شيء ندمي علىٰ يوم غربت شمسه نقص فيه عمري ولم يزد فيه عملي»(٣).

(**فائدة**) واختلف مالك والشافعي في توبة القاذف ما هي؟ فقال الشافعي: توبته أن يكذب نفسه

روىٰ ذلك عن عمر بن الخطاب، واختاره إسماعيل بن إسحاق. وقال مالك: توبته أن يزداد خيرًا(٤).

✍ **وقال عبد الرحمن بن مهدي**: «لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا»

✍ **وقال عفان**: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، لكن ما رأيت

---

(١) حلية الأولياء (١١٠/ ٥).

(٢) لطائف المعارف (٣٢٢/ ١).

(٣) مشهور متداول لم أقف له علىٰ مصدر.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٨/ ١٥).

أشد مواظبة علىٰ الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله -تعالىٰ- منه

✍ **قال الحافظ الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد»(١).

✍ **وقال موسىٰ بن اسماعيل التبوذكي**: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان مشغولا: إما أن يحدث أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلي، وقد قسم النهار علىٰ ذلك. قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة، رحمة الله عليه(٢).

✍ **وقال أحد السلف**: «من أمضىٰ يومًا من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد ورثه أو حمد حصله أو خيرًا أسسه أو علم استفاده فقد عق يومه وظلم نفسه»

✍ **وقال المحدث إبراهيم الحربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد صحبت أحمد بن حنبل عشرين سنة صيفًا وشتاءً وحرًّا وبردًا وليلًا ونهارًا، فما لقيته في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس»(٣).

✍ **وقال معن بن عبد الرحمن**: ما رأيت مسعرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم إلا قلت: هو أفضل منه قبل ذلك(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠٨/ ٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢٠٢/ ١)، وسير أعلام النبلاء(٤٤/ ٤).

(٣) [الحلية (تهذيبه) ٢/ ٤٢٠].

(٤) تاريخ مدينة دمشق (١١٦/ ٥٥).

✍ **وقال محمد بن كامل قال:** «جئت إلىٰ عراك بن خالد وهو جالس في مسجد أيام ابن محرز فقلت يا ابا الضحاك طاب الموت فقال يا بن أخي لا تفعل لساعة تعيشها تستغفر الله خير لك من موت الدهر»(١).

وفي كتاب «البقايا» لأبي هلال العسكري: «قال عبد الرحمن بن مهدي: ما ندمت علىٰ شيء ندمي علىٰ أن لا أكون تعلمت العربية».

✍ **قال إبراهيم الحربي يقول:** «يقول الناس أحمد بن حنبل بالتوهم والله ما أعرف لأحد من «لتابعين عليه مزية ولا أعرف أحدًا يقدره قدره ولا نعرف من الإسلام محله ولقد صحبته عشرين سنة صيفًا وشتاءً وحرًّا وبردًا وليلًا ونهارًا فما لقيته لقاة في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس»(٢).

✍ **قال الإمام أحمد يقول:** «أبو عبيد عندنا ممن يزداد كل يوم خيرًا»(٣).

✍ **وعن أبي بكر بن عياش قال:** «إن أحدهم، لو سقط منه درهم لظل يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، ولا يقول: ذهب يومي، ما عملت فيه»(٤).

✍ **وقال أحمد بن حنبل:** أبو عبيد يعني «القاسم بن سلام» أستاذ، وهو يزداد كل يوم خيرًا(٥).

---

(١) إكمال تهذيب الكمال (٨/ ٢٣٦).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٩٣).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٩) (١/ ٢٦٢).

(٤) حلية الأولياء (٨/ ٣٠٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢١٩).

✍ **وعمرو بن عون وقال فيه يزيد بن هارون:** هو ممن يزداد كل يوم خيرًا.

✍ **وعن المحاملي**، ابن برهان الفقيه الإمام، أبو الحسين، محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل، الضبي المحاملي البغدادي من كبار الشافعية قال الدارقطني عنه «وهو ممن يزداد كل يوم خيرًا»(١).

✍ **وقال أبو عوانة الوضاح:** صحبت يزيد بن زريع أربعين سنة، يزداد في كل سنة خيرًا(٢).

✍ **محمد بن ثابت البناني، قال:** «ذهبت ألقن أبي وهو في الموت لا إله إلا الله» فقال: يا بني دعني فإني في وردي السادس أو السابع»(٣).

✍ **محمد بن سوقة، قال:** «أمران لو لم نعذب إلا بهما لكنا مستحقين بهما العذاب: أحدنا يزداد في دنياه فيفرح فرحا ما علم الله منه قط أنه فرح بشيء قط زيد في دينه مثله، وأحدنا ينقص من دنياه فيحزن حزنا ما علم الله منه قط أنه حزن علىٰ شيء نقصه من دينه مثله»(٤).

✍ **سفيان الثوري قال:** «خمسة من أهل الكوفة يزدادون في كل يوم خيرًا، فذكر ابن أبجر، وأبا حيان التيمي، وابن سوقة، وعمرو بن قيس، وأبا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٧٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٨).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٢٢).
(٤) حلية الأولياء (٥/ ٤).

سنان»[١].

✍ **وإبراهيم بن عيسىٰ وكان من كلامه:** «المؤمن حسن بالله ظنه واثق بوعده، اتخذ التقوىٰ رقيبا، والقرآن دليلا، والخوف محجة والشوق مطية، والوجل شعارا، والصلاة كنزا، والصبر وزيرا، والحياء أميرا، لا يزداد لله برا وصلاحا إلا ازداد الله عليه خوفا، أحسن الظن بالله فأحسن العمل»[٢].

✍ **وكانت معاذة العدوية إذا جاء الليل تقول:** هذه ليلتي التي أموت فيها، فما تنام حتىٰ تصبح، فإذا جاء النهار، قالت: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتىٰ تمسي وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق، حتىٰ يمنعها البرد من النوم[٣].

✍ **وقال أحد السلف:** «إذا رأيت الرجل يزداد في دنياه وينقص من دينه وهو راض فعلم أنه مخذول»

✍ **قيل لبعض السلف:** طاب الموت. قال: يا ابن أخي، لا تفعل. لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر.

✍ **وقيل لشيخ كبير منهم:** أتحب الموت؟ قال: لا، قد ذهب الشباب وشره، وجاء الكبر وخيره، فإذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحمد الله، فأنا أحب أن يبقىٰ لي هذا.

---

(١) حلية الأولياء (٨٤/ ٥).

(٢) حلية الأولياء (٣٩٣/ ١٠).

(٣) كتاب التهجد لابن أبي الدنيا (٥٣/ ٢).

✍ **وقيل لشيخ آخر**: ما بقي منك مما تحب له الحياة؟ قال: البكاء علىٰ الذنوب.

ولهذا كان كثير من السلف يبكي عند موته تأسفا علىٰ انقطاع أعماله الصالحة.

وكان يزيد الرقاشي يقول عند موته يا يزيد من يصلي لك بعدك ومن يصوم؟ ومن يتوب لك من الذنوب السالفة.

ولهذا يتحسر الموتىٰ علىٰ انقطاع أعمالهم الصالحة.

❁ ففي الترمذي[(١)] عن النبي ﷺ: «**ما أحد يموت إلا ندم: إن كان محسنًا أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا أن يكون استعتب**».

ورئي بعض الموتىٰ من السلف في المنام، فسئل عن حاله فقال: قدمنا علىٰ أمر عظيم، نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان في نسخة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها.

وصلىٰ بعض السلف ركعتين خفيفتين بقرب من المقابر، ولم يرضهما لتخفيفهما، ثم غلبته عينه فرأىٰ صاحب القبر الذي هو بقربه يقول له: صليت ركعتين ولم ترضهما؟ قال: نعم. قال: لئن يكون لي مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها»[(٢)].

---

(١) برقم (٢٤٠٣) ضعيف الترغيب والترهيب (١٩٦٠). قال الشيخ الألباني: (ضعيف جدًّا).

(٢) لطائف المعارف (١٥٧/ ١).

وكان أحد الصالحين إذا ذكر الموت عند منامه بكىٰ وقال: طوبىٰ لمن نفعه عيشه، فكان طول عمره زيادة في عمله، والله ما أراني كذلك.

❁ وفي الجملة فينبغي للمؤمن أن يكون طول عمره زيادة في عمله، كما في «صحيح مسلم»(١) عن النبي ﷺ: «**أنه كان يدعو: واجعل الحياة زيادة لي في كل خير**».

✍ **قال بعضهم**: من لا خير له في الموت لا خير له في الحياة.

يعني من لا تكون حياته زيادة في حسناته فلا خير له في الموت ولا في الحياة وقد رأىٰ بعضهم النبي ﷺ في منامه فقال له: «من استوىٰ يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون، ومن لم يتفقد الزيادة في عمله فهو في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له»(٢).

✍ **وقال ميمون بن مهران**: لا خير في الحياة إلا لتائب، أو لرجل يعمل في الدرجات يعني أن التائب يمحو بتوبته ما سلف من السيئات، والعامل في الدرجات تعلو درجاته بما يعمل من الحسنات، فهذا يزيد حسناته والأول يمحو سيئاته، فما عدا هذين الرجلين فلا خير لهما في الحياة.

---

(١) برقم (٢٧٢٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٩٨٧) عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت النبي ﷺ في النوم... فذكره.
والحديث ليس في نسخة الزهد المخطوطة وإنما هو مما استدركه المحقق من كتب أخرىٰ ونسب فيها الحديث للبيهقي في «الزهد». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٥) قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: بلغني أن الحسن البصري رأىٰ النبي ﷺ في منامه....

ولهذا قال بقية: عمر المؤمن لا قيمة له إلا أن يتوب فيه من السيئات ويستدرك فيه ما مات»(١).

(١٠) السعيد الموفق يجعل الله له القبول في الأرض والذكر الحسن والسمعة الحسنة

❁ عن أنس رضي الله عنه قال: «مر علىٰ النبي ﷺ بجنازة، فأثني عليها خيرًا، (وتتابعت الألسن بالخير)، فقالوا: كان - ما علمنا - يجب الله ورسوله)، فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، ومر بجنازة فأثني عليها شرًّا، (وتتابعت الألسن لها بالشر)، (فقالوا: بئس المرء كان في دين الله)، فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت وجبت وجبت**»، فقال عمر: فدىٰ لك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقلت: «**وجبت وجبت وجبت**»؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، (الملائكة شهداء الله في السماء، و)أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**، (وفي رواية: **والمؤمنون شهداء الله في الأرض**)، (**إن لله ملائكة تنطق علىٰ ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر**)» (٢).

---

(١) لطائف المعارف (١٦٢/ ١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٧٧ - ١٧٨، ٥/ ١٩٢ - ١٩٣)، ومسلم (٣/ ٥٣)، والنسائي (١/ ٢٧٣)، والترمذي (٢/ ١٥٨) وصححه، وابن ماجه (١/ ٤٥٤)، والحاكم (١/ ٣٧٧)، والطيالسي (٢٠٦٢)، وأحمد (٣/ ١٧٩، ١٨٦، ١٩٧، ٢١١، ٢٤٥، ٢٨١)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤ / ٢٦٨): أخرجه الحاكم (١ / ٣٧٧)، والديلمي (١ / ٢ / =⇦

وأثنىٰ الله علىٰ أنبيائه في القرآن الكريم إبقاءً لذكرهم وإشادة بآثارهم وفضائلهم ومناقبهم ليقتدي بها من بعدهم ويعلم منازلهم وشرف مقامهم عند الله تعالىٰ في أعظم كتاب وخير أمة ومنهم خليله إبراهيم دعا ربه أن يعطيه هذه الكرامة قال تعالىٰ عنه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء:٨٤].

✍ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: اجعل لي ثناء صدق، مستمر إلىٰ آخر الدهر. فاستجاب الله دعاءه، فوهب له من العلم والحكم، ما كان به من أفضل المرسلين، وألحقه بإخوانه المرسلين، وجعله محبوبًا مقبولًا معظمًا مثنىٰ عليه، في جميع الملل، في كل الأوقات»(١).

✍ **وقال المفسر ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: واجعل لي ذكرًا جميلًا بعدي أُذكر به، ويُقتدىٰ بي في الخير.

وقال مجاهد، وقتادة: يعني: الثناء الحسن. قال مجاهد: وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، وكقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل:١٢٢].

= ٢٥٨) وقال الحاكم : «صحيح علىٰ شرط مسلم». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا . وهو في «الصحيحين» وصححه في «صحيح الجامع». انظر: حديث رقم : ٢١٧٥ في «صحيح الجامع».

(١) تفسير الكريم المنان (٥٩٣/ ١).

وقال ليث بن أبي سليم: كل ملة تحبه وتتولاه. وكذا قال عكرمة.

وقوله: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥﴾ [الشعراء:٨٥] أي: أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم»(١).

وقد امتن الله علىٰ نبيه بنعمة رفعة ذكره وإبقاء اسمه وتخليد أثره فقال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح:٤].

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به، حين أخذ الميثاق علىٰ جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه.

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»(٢).

✍ **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلىٰ الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ.

وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/١٤٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٤٣١).

بعد الله تعالىٰ، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزىٰ نبيا عن أمته»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومِن أعْظَمِ نعَمِ الله عَلَىٰ العَبدِ أن يَرفعَ لَه بيْن العَالَمِين ذِكْره ويُعْلِي قَدْره»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن تأمل أحوال أئمة الاسلام - كأئمة الحديث والفقه - كيف هم تحت التراب؛ وهم في العالَمين كأنهم أحياء بينهم، لم يَفقِدُوا منهم إلاّ صُورهم، وإلاّ فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع، وهذه هي الحياة حقًّا، حتىٰ عُدّ ذلك حياةً ثانية»(٣).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكن أهل السنة يبقون ويبقىٰ ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم وذلك أن أهل البدعة شنئوا بعض ما جاء به الرسول ﷺ فأبترهم بقدر ذلك والذين أعلنوا ما جاء به النبي ﷺ فصار لهم نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح:٤]، فإن ما أكرم الله به نبيه من سعادة الدنيا والآخرة فللمؤمنين المتابعين نصيب بقدر إيمانهم»(٤).

ولما ذكر الله الأنبياء في القرآن في سورة الصافات بدأ بنبي الله نوح وقال بعد ذكرته قصته ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات:٧٩-٨٠].

---

(١) تيسير الكريم المنان (٤٣١/ ٨).

(٢) الدَّاءُ والدَّواء (١٠١).

(٣) [مفتاح دار السعادة ١/ ٣٨٧].

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٨).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجعل له ثناء حسنا مستمرا إلىٰ وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلىٰ الخلق، وهذه سنته تعالىٰ في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء علىٰ حسب إحسانهم»(١).

✍ **ذكر ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس: يذكر بخير.

✍ **وقال مجاهد**: يعني لسان صدق للأنبياء كلهم.

✍ **وقال قتادة والسدي**: أبقىٰ الله عليه الثناء الحسن في الآخرين. قال الضحاك: السلام والثناء الحسن.

❁ وقوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات:٧٩] مفسر لما أبقىٰ عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات:٨٠] أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله، نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك»(٢).

وكذلك لما ذكر سبحانه وتعالىٰ في بقية الصافات ذكر موسىٰ وهارون ويونس ولوط قال بعد قصتهم: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات:٧٨-٨٠].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ [مريم:٥٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧٠٥/ ١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٢/ ٧).

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني الثناء الحسن. وكذا قال السدي، ومالك بن أنس.

✍ **وقال ابن جرير**: إنما قال: ﴿عَلِيًّا﴾؛ لأن جميع الملل والأديان يثنون عليهم ويمدحونهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»(١).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أيضًا من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متجددة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٢).

❁ قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٣٧/ ٥).

(٢) تفسير الكريم المنان (٤٩٤/ ١).

لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق»(١).

❁ قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

✍ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما البشارة في الدنيا، فهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت:٣٠]»(٢).

❁ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦].

✍ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من نعمه علىٰ عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة ووداداً في

---

(١) تفسير الكريم المنان (٣٦٨/ ١).

(٢) تيسر الكريم المنان (٣٦٧/ ١).

قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «**إن الله إذا أحب عبدًا، نادىٰ جبريل: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض وإنما جعل الله لهم ودًّا، لأنهم ودوه، فوددهم إلىٰ أوليائه وأحبابه**»(١).

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالىٰ أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهي الأعمال التي ترضي الله، عَزَّوَجَلَّ، لمتابعتها الشريعة المحمدية -يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه. وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من غير وجه.

✍ **وقال مجاهد، عن ابن عباس**: محبة في الناس في الدنيا.

✍ **وقال سعيد بن جبير، عنه**: يحبهم ويحببهم، يعني: إلىٰ خلقه المؤمنين. كما قال مجاهد أيضًا، والضحاك وغيرهم.

✍ **وقال العوفي، عن ابن عباس أيضًا**: الود من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن، واللسان الصادق.

✍ **وقال قتادة**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦] إي والله، في قلوب أهل الإيمان، ذكر لنا أن هرم

---

(١) تفسير الكريم المنان (١/ ٥٠١).

ابن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلىٰ الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتىٰ يرزقه مودتهم ورحمتهم.

✍ **وقال قتادة:** وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه، يقول: ما من عبد يعمل خيرًا، أو شرًّا، إلا كساه الله عز وجل رداء عمله»(١).

وهذه يا رعاك الله جملة من الأدلة التي ترغب وتحث المؤمن أن يكون له صيت حسن وسمعة طيبة في الأرض:

❁ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض. وإذا ابغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانًا فأبغضه. فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه. قال: فيبغضونه. ثم يوضع له البغضاء في الأرض**»(٢).

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ «**إذا أحب الله عبدًا نادىٰ جبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الأرض فذلك قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦]، **وإذا أبغض الله عبدًا نادىٰ جبريل إني أبغضت**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٦٧/ ٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري برقم (٥٥٨٠)، ومسلم برقم (٤٧٧٢).

فلانًا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض»(١).

❁ عن أبي هريرة قال: مروا علىٰ النبي ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «**وجبت**». ثم مروا بأخرىٰ فأثنوا شرًّا، فقال: «**وجبت، إن بعضكم علىٰ بعض شهداء**»(٢).

❁ وعن أنس قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا. فقال النبي ﷺ: «**وجبت**» ثم مروا بأخرىٰ فأثنوا عليها شرًّا. فقال: «**وجبت**» فقال عمر: ما وجبت؟ فقال: «هذا **أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض**». وفي رواية: «**المؤمنون شهداء الله في الأرض**»(٣).

❁ وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليلتمس مرضاة الله فلا يزال بذلك فيقول الله** عَزَّوَجَلَّ **لجبريل: إن فلانًا عبدي يتلمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل: رحمة الله علىٰ فلان ويقولها حملة العرش**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٥٩) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٨٤ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ١٩٢: أخرجه الطيالسي (٢٣٨٨)، وأحمد (٢/ ٤٦٦ و٤٧٠)، وأبو داود (٣٢٣٣)، والنسائي (٢/ ٢٧٣).

✍ **قلت**: وهذا إسناد صحيح.

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦١ و٤٩٨ و٥٢٨)، وابن ماجه (١٤٩٢)، وابن حبان (٧٤٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢٧٨).

ويقولها من حولهم حتىٰ يقولها أهل السماوات السبع ثم تهبط له إلىٰ الأرض»(١).

❁ عن الربيع بنت معوذ أن النبي ﷺ قال: «**إذا صلوا علىٰ جنازة وأثنوا خيرًا، يقول الرب** عَزَّوَجَلَّ: **أجزت شهادتهم فيما يعلمون وأغفر له ما لا يعلمون»**(٢).

❁ عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة**» قلنا: وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**». قلنا واثنان؟ قال: «**واثنان**» ثم لم نسأله عن الواحد»(٣).

❁ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين إنهم لا يعلمون إلا خيرًا إلا قال الله قد قبلت علمكم فيه وغفرت له ما لا تعلمون»**(٤).

❁ عن أبي هريرة قال: مر علىٰ النبي ﷺ بجنازة فأثني عليها خيرًا في مناقب الخير فقال «**وجبت**» ثم مروا عليه بأخرىٰ فأثني عليها شرا في مناقب

---

(١) رواه البخاري (٢١٣٦٧)، ورواه أحمد في مسنده.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٣٥١: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ١٥٤)، وبالجملة فالحديث ضعيف الإسناد، لكن له شواهد كثيرة تراها في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤)، وقد خرجت بعضها في «كتاب الجنائز» (ص ٤٥).

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٧٩).

(٤) رواه أبو يعلىٰ وابن حبان في صحيحه [صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١٥)، قال الشيخ الألباني: (حسن لغيره).

الشر فقال «**وجبت إنكم شهداء الله في الأرض**»(١).

❁ وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء**»(٢).

❁ وعند أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**إن شهداء الله في الأرض أمناء الله في الأرض في خلقه، قتلوا أو ماتوا**»(٣).

❁ عن يزيد بن شحرة قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة فقال الناس خيرًا وأثنوا عليه خيرًا فجاء جبرائيل فقال: «**إن الرجل ليس كما ذكروا ولكن أنتم شهداء الله في الأرض وقد غفر له ما لا يعلمون**»(٤).

❁ جاء أن أبا سعيد الضحاك ابن قيس الفهري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أتىٰ الرجل القوم فقالوا مرحبا، فمرحبا به يوم يلقىٰ ربه، وإذا**

---

(١) صحيح ابن ماجة (١٢١٢) (صحيح) الصحيحة ٢٦٠٠. وأيضًا: أحكام الجنائز.

(٢) رواه الطبراني في المعجم قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ١٤٩٠ في صحيح الجامع.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٢٥: أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٠)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٧١٦ في صحيح الجامع.

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٢٩٥: أخرجه ابن منده بسند ضعيف من رواية خالد بن العلاء عن مجاهد عن يزيد بن شجرة لكن الحديث صحيح فقد جاء من حديث أنس وصححه الحاكم والذهبي وعن أبي هريرة وعن بشر بن كعب وقد خرجت أحاديثهم في «أحكام الجنائز» (ص ٤٦)، وبينت هناك أن قول بعض الناس عقب صلاة الجنازة: «ما تشهدون فيه؟ اشهدوا له بالخير» بدعة قبيحة، وأن الحديث لا يشهد لها.

أتىٰ الرجل القوم فقالوا له: قحطا، فقحطا له يوم القيامة»(١).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإذا كان صيته في السماء حسنًا وضع في الأرض حسنًا، وإذا كان صيته في السماء سيئًا وضع في الأرض سيئًا**»(٢).

❁ وعن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالنباوة أو البناوة قال والنباوة من الطائف قال: «**يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار**» قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: «**بالثناء الحسن والثناء السيئ أنتم شهداء الله بعضكم علىٰ بعض**»(٣).

❁ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرًا، وهو يسمع، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شرا، وهو يسمع**»(٤).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١٨٦: أخرجه الحاكم (٣/ ٥٢٥)، والحديث قال في «المجمع» (١٠/ ٢٧١ - ٢٧٢): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحاح غير أبي ضرير الأكبر وهو ثقة»..

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٤٥: أخرجه البزار (ص ٣٢٦ - زوائده)، وابن عدي (٥٨/ ٢). قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٧٣٢ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح ابن ماجة (٣٤٠٠) قال الشيخ الألباني: (حسن).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٣٢٠: أخرجه ابن ماجة (٤٢٢٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (رقم - ١٢٧٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٢/ ١).

⇦=

❁ وعن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس عليه. وفي رواية: يحبه الناس عليه قال: «**تلك عاجل بشرىٰ المؤمن**»(١).

❁ وعن عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبدا عسله**» قالوا ما عسله يا رسول الله قال: «**يوفق له عملًا صالحًا بين يدي أجله حتىٰ يرضىٰ عنه جيرانه أو قال من حوله**»(٢).

❁ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت؟ قال: «**إذا سمعت جيرانك يقولون أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت**»(٣).

❁ وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ: فقال: يا رسول الله دلني علىٰ عمل إذا أخذت به دخلت الجنة ولا تكثر علي، فقال: «**لا تغضب**». وأتاه رجل آخر فقال: يا نبي الله دلني علىٰ عمل إذا عملته دخلت

= قلت: وهذا إسناد حسن هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»! نعم الحديث صحيح، فإن له شواهد كثيرة منها عن أنس مرفوعًا نحوه. أخرجه البزار (ص ٣٢٦ زوائد ابن حجر)، والحاكم (١/ ٣٧٨).

(١) رواه مسلم (٤٧٨٠).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي من طريقه وغيرهما [صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٨)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٣١٧: رواه النسائي في «مجلس من الأمالي» (٥٥/ ٢) رواه الطبراني أيضًا (٣/ ٧٧/ ٢)، وصححه ابن حبان والحاكم كما ذكرت في «المشكاة» (٤٩٨٨).

الجنة. فقال «**كن محسنا**». قال: وكيف أعلم أني محسن؟ فقال: «**تسأل جيرانك، فإن قالوا: إنك محسن، فأنت محسن وإن قالوا: إنك مسيء، فأنت مسيء**»(١).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان العبد يجد أعمال الخير ميسرة له، مسهلة عليه، ويجد نفسه محفوظًا بحفظ الله من الأعمال التي تضره، كان هذا من البشرىٰ التي يستدل بها المؤمن علىٰ عاقبة أمره؛ فإن الله أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين. وإذا ابتدأ عبد بالإحسان أتمه. فأعظم منة وإحسان يمن به عليه إحسانه الديني. فيسر المؤمن بذلك أكمل سرور: سرور بمنة الله عليه بأعمال الخير، وتيسيرها؛ لأن أعظم علامات الإيمان محبة الخير، والرغبة فيه، والسرور بفعله. وسرور ثان بطمعه الشديد في إتمام الله نعمته عليه، ودوام فضله. وترتب علىٰ ذلك محبة الناس له، وثناؤهم عليه، ودعاؤهم له- كان هذا من البشرىٰ أن هذا العمل من الأعمال المقبولة، التي جعل الله فيها خيرًا وبركة.

ومن البشرىٰ في الحياة الدنيا، محبة المؤمنين للعبد: لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦] أي محبة منه لهم، وتحبيبا لهم في قلوب العباد.

ومن ذلك الثناء الحسن؛ فإن كثرة ثناء المؤمنين علىٰ العبد شهادة منهم له. والمؤمنون شهداء الله في أرضه»(٢).

---

(١) رواه النسائي (٥٦/ ٢) السلسلة الصحيحة (١٣٢٧).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (٢١٤/ ١).

✍ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله بما ذكرنا من العلم الباطن وصل إلىٰ الله، فاشتغل به عما سواه، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا، فإن الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه؛ بل يهرب منه أشد الهرب ويفر أشد الفرار؛ خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله.

❁ **قال الله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦] أي: في قلوب عباده.

وفي حديث: «**إن الله إذا أحب عبدًا نادىٰ: يا جبريل، إني أحب فلانًا. فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**».

والحديث معروف، وهو مخرج في «الصحيح» وبكل حال؛ فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف الدنيا، وإن يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا يمنع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي علىٰ الفاني»(١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم نعم الله علي العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره ويعلىٰ قدره ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦﴾ [ص:٤٥-٤٦] أي خصصناهم بخصيصة وهو الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٩٦/ ١).

لسان الصدق الذي سأله ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء:٨٤] وقال سبحانه وتعالىٰ عنه وعن نبيه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾ [مريم:٥٠]، وقال لنبيه: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح:٤]، فاتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم وكل من خالفهم فإنه من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم»(١).

✍ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أقبل عبد بقلبه إلىٰ الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتىٰ يرزقه ودهم»(٢).

✍ **ويروىٰ عن بعض السلف**: «إذا أثنىٰ علىٰ الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه»(٣).

✍ **وعن عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إن الله تعالىٰ إذا أحب عبدًا حبَّبه إلىٰ خلقه؛ فاعرف منزلتك من الله بمنزلتك من الناس»(٤).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له، وعلىٰ قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده. فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده. وإذا لم يبق له جاء

---

(١) الداء والدواء (٥٣/ ١).

(٢) صفة الصفوة (٤١٣/ ١).

(٣) قوت القلوب أبو طالب المكي (٤٤٧/ ٢).

(٤) أدب الدنيا والدين (ص١٣٨).

عند الخلق وهان عليهم عاملوه علىٰ حسب ذلك، فعاش بينهم أسوأ عيش خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال لا حرمة له، فلا فرح له ولا سرور. فإن خمول الذكر وسقوط القدر والجاه معه كل غم وهم وحزن، ولا سرور معه ولا فرح.

وأين هذا الألم من لذة المعصية، لولا سكر الشهوة؟

ومن أعظم نعم الله علىٰ العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره.

ولهذا خص أنبياءه ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ص:٤٥-٤٦] أي خصصناهم بخصيصة، وهو الذكر الجميل الذي يذكرون به في هذه الدار وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء:٨٤].

وقال سبحانه عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم:٥٠].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح:٤] فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم. وكل من خالفهم فاته من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم.

وأن الذنوب تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكسوه أسماء الذم والصغار. فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والمصلح، والعابد، والخائف، والأواب،

والطيب، والمرضي ونحوها

وتكسوه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والمفسد، والخبيث، والمسخوط، والزاني، والسارق، والقاتل، والكاذب، والخائن، واللوطي، والغادر، وقاطع الرحم وأمثالها. فهذه أسماء الفسوق و﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١١]»(١).

✍ **قال ابن المنكدر لأبي حازم:** «يا أبا حازم ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيرًا قط، قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك، ولكن انظر الذي ذلك من قبله فاشكره، وقرأ ابن زيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦]»(٢).

✍ **قال الشاعر:**

أحاديث تبقىٰ والفتىٰ غير خالد ∴ ومن يبقىٰ خيرًا بعد موته سوف يذكر

✍ **وقيل:**

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ∴ وعاش قوم وهم في الناس أموات

✍ **وقيل:**

إن مات فلم يمت من ذكره ∴ حي علىٰ مر الأيام باقي

---

(١) الداء والدواء (١٩٣ - ١٩٤/ ١).

(٢) حلية الأولياء (٢٣٣/ ٣).

✍ وقال القاضي الفاضل:

الخير يبقىٰ ويبقىٰ ذكر صاحبه ∴ والذكر يبقىٰ فأبق الخير يبقيك

✍ وقال أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له ∴ إن الحياة دقائق وثواني

فارفع لنفسك يوم موتك ذكرها ∴ فالذكر للإنسان عمر ثاني

✍ وقال شوقي أيضًا:

وخذ لك زادين من سيرة ∴ ومن عمل صالح مدخر

وكن رجلًا إن أتوا بعده ∴ يقولون مر هذا الأثر

✍ وقال آخر:

كم طامع بالثناء من غير بذل يدٍ ∴ ومشتهٍ حمدا ولكن بمجاني

والناس طبعهم لا يمدحوا رجلًا ∴ حتىٰ يروا عنده آثار إحسان

✍ وقال القائل:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي ∴ إلا الثناء فإنه لك باقي

لو أنني خيرت كل فضيلة ∴ ما اخترت غير فضائل الأخلاق

✍ وقال آخر:

علمٌ وتعليمٌ من بعده عملٌ ∴ تبقي لصاحبها ذكرا له حسن

✍ قال العلامة الصفدي:

من جاد ساد وأحيا العالمون له ∴ بديع حمد بمدح الفعل متصل

✍ قال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

حديثك هم وأنت غدا حديث ∴ لغيرهم فأحسن ما استطعتا
يعود المرء بعد الموت ذكرا ∴ فكن حسن الحديث إذا ذكرتا

✍ وقال آخر:

فما شيء يدوم فكن حديثا ∴ جميل الذكر في الدنيا حديث

✍ وأنشد أبو جعفر الراشي(٢):

كل الأمور تزول عنك وتنقضي ∴ إلا الثناء فإنه لك باق
لو أنني خيرت كل فضيلة ∴ ما اخترت غير مكارم الأخلاق

[الذنوب تميت ذكر صاحبها وتخمله وتطوي محاسن عمله وتورث له البغض في قلوب الخلق]

✍ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولقد قال بعض المراقبين لله تعالىٰ: قدرت علىٰ لذة وليست بكبيرة، فنازعتني نفسي إليها، اعتمادا علىٰ صغرها، وعظم فضل الله تعالىٰ وكرمه، فقلت إن غلبت هذه، فأنت أنت، وإذا أتيت هذه، فمن أنت؟! وذكرتها حالة أقوام كانوا يفسحون لأنفسهم في مسامحة، كيف انطوت أذكارهم، وتمكنت عقوبة الإعراض عنهم منهم، فارعوت ورجعت عما همت به، والله الموفق»(٣).

---

(١) ذم قسوة القلب للحافظ ابن رجب (١٠).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣١٣).
(٣) صيد الخاطر (١٤٩/ ١).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، يحترمه عند الخلوات، يفترك ما يشتهي حذرا من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالا له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودا هنديا علىٰ مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو؟

وعلىٰ قدر المجاهدة في ترك ما يهوىٰ تقوىٰ محبته، أو علىٰ مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود، فترىٰ عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لهم؟ ولا يقدرون علىٰ وصفه: لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأراييح بعد الموت علىٰ قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسىٰ، ومنهم من يذكر مئة سنة، ثم يخفىٰ ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقىٰ ذكرهم أبدًا.

وعلىٰ عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق، فإنه علىٰ قدر مبارزته بالذنوب، وعلىٰ مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة، فتمتقته القلوب: فإن قل مقدار ما جنىٰ، قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه. وإن كثر، كان قصارىٰ الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذمونه»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو لم يكن في ترك الذنوب إلا تيسير ما عسر علىٰ أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم

---

(١) صيد الخاطر (١٨٥/ ١).

والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة الي تلقىٰ له في قلوب الناس وتنافس الناس علىٰ خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته»(١).

✍ **وقال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما(٢): إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنا في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق(٣).

---

(١) الفوائد (١٦٣/ ١).

(٢) قارن بما نقله المصنف عن ابن عباس وأنس في روضة المحبين (٥٨٦).

(٣) قال المحقق: لم أقف عليه. وقد ورد نحوه عن الحسن البصري ومالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم وأنس بن مالك مرفوعًا.

فأما الحسن، فأخرج قوله ابن أبي الدنيا في التوبة (١٩٣،١٩٧)، والبيهقي في الشعب (٦٨٢٦)، وغيرهما بلفظ «إن الرجل ليعمل الحسنة فتكون نورا في قلبه، وقوة في بدنه. وإن الرجل ليعمل السيئة فتكون ظلمة في قلبه، ووهنا في بدنه». هذا لفظ ابن أبي الدنيا، وسنده صحيح.

وأما مالك بن دينار، فأخرج كلامه أحمد في الزهد (١٨٧٦) بلفظ «إن لله تبارك وتعالىٰ عقوبات في القلوب والأبدان، وضنكًا في المعيشة، وسخطًا في الرزق، ووهنًا في العبادة».

وأما إبراهيم بن أدهم فقال: «إن للذنوب ضعفًا في القوة، وظلمة في القلب وإن للحسنات قوةً في البدن ونورًا في القلب». أخرجه البيهقي في الشعب (٦٨٢٧).

وأما حديث أنس بن مالك، فذكره ابن أبي حاتم في العلل (١٩٠٩)، وقال: «هذا حديث منكر، وأبو سفيان مجهول».

✍ **وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلىٰ العلم، أهملوا نظر الحق عَزَّوَجَلَّ إليهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلىٰ لقائهم»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن العبد إذا أعرض عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه أعرض الله عنه فأعرضت عنه ملائكته وعباده، كما أنه إذا أقبل علىٰ الله أقبل الله عليه وأقبل بقلوب خلقه إليه»(٢).

✍ **وقال الأصمعي**: «لما حضرت جدي علي بن أصمع الوفاة جمع بنيه وقال: يا بني، عاشروا الناس معاشرة حسنة، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم!»(٣).

(١١) السعيد الموفق مَن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر

❁ فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبىٰ لمن جعل اللهُ مفاتيحَ الخير علىٰ يديه، وويل لمن جعل اللهُ مفاتيحَ الشر علىٰ يديه**»(٤).

---

(١) صيد الخاطر (١٤٨/ ١).

(٢) طريق الهجرتين (٢٧٣/ ١).

(٣) نور القبس (٤٦/ ١).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٣٢٠: أخرجه ابن ماجة (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٥١ - منسوخة المكتب)، ورواه المروزي في «زوائد الزهد» =⇦

✍ وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن للخير مفاتيح وإن ثابتًا البناني من مفاتيح الخير»(١).

✍ فعن مكحول أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقول: «من الناس مفاتيح للخير ومغاليق للشر ولهم بذلك أجر ومن الناس مفاتيح للشر ومغاليق للخير وعليهم بذلك إصر وتفكر ساعة خير من قيام ليلة»(٢).

❁ وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لهذا الخير خزائن وجعل له مفاتيح ومفاتيحه الرجال فطوبىٰ لرجل جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر، وويل لرجل جعله الله مغلاقًا للخير ومفتاحًا للشر**»(٣).

✍ وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن**

= (٩٦٨)، وهو رواية لابن أبي عاصم (٢٥٣ - ٢٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٧٩ - طبع الهند). وله عند ابن ماجة وكذا ابن أبي عاصم (٢٥٢) شاهد وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن إن شاء الله تعالىٰ. وراجع «تخريج السنة» لابن أبي عاصم (٢٩٦ - ٢٩٩) ففيه زيادة تخريج.

(١) مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٥/ ٢) قال الشيخ الألباني: وهذا معروف جيد الإسناد يشعر بأن الحديث كان مشهورا لديهم ومثله.

(٢) الزهد لابن المبارك (٣٣٢/ ١) قال ابن صاعد: «تفرد به ابن المبارك غريب الإسناد صحيح».

(٣) رواه ابن ماجه واللفظ له وابن أبي عاصم وفي سنده لين وهو في الترمذي والطبراني والضياء المقدسي في المختارة قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٤١٠٨ في صحيح الجامع(صحيح الترغيب والترهيب(٦٦)، وفي مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٤/ ٢).

سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

✍ وعنه ﷺ قال: «**الدال علىٰ الخير كفاعله**»(٢).

✍ وعن عطاء ابن السائب قال: سمعت عبد الرحمن بن الحضرمي يقول: أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: «**إن من أمتي قومًا يعطون مثل أجور أولهم، ينكرون المنكر**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٣٠٥ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢١٦: ورد من حديث عن أبي مسعود البدري وعبد الله بن مسعود وسهل بن سعد وبريدة بن الحصيب وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ١ - أما حديث أبي مسعود فيرويه الأعمش عن أبي عمرو الشيباني: سعيد بن إياس الأنصاري عنه مرفوعًا به. أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٤٨٤)، وأحمد (٥/ ٢٧٤)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ١٦ - ١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٦٧ و٨٦٨)، وابن عبد البر في «الجامع» (١/ ١٦) من طرق عن الأعمش به. واللفظ للخرائطي، ولفظ ابن حبان: «أتىٰ رجل النبي ﷺ فسأله، فقال: ما عندي ما أعطيك، ولكن ائت فلانًا، فأتاه الرجل، فأعطاه، فقال رسول الله ﷺ: «**من دل علىٰ خير فله مثل أجر فاعله**» ولفظ الطحاوي مثله إلا أنه قال: «**الدال علىٰ الخير له كأجر فاعله**». قلت: وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، وقد أخرجه مسلم (٦/ ٤١) باللفظ الثاني وهو رواية لأحمد (٤/ ١٢٠)، وأبي داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢/ ١١٢)، وقال: «حسن صحيح».

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢٧٥: أخرجه أحمد (٤/ ٦٢ و٥/ ٣٧٥) ⇦=

✍ وعن أبي هريرة. رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من دعا إلىٰ هدىٰ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١).

✍ **قال الصنعاني في «التنوير»**: «أي جعله يساق علىٰ أيديهم من إعطاء سائل وقضاء حاجة محتاج وإرشاد ضال وتعليم جاهل وأبواب الخير غير منحصرة (مغاليق للشر) يدفعون الخصومات ويصلحون بين الناس ونحوه. (وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير) بالضد في الأمرين (فطوبىٰ) أي يقال له ذلك أو يجعل له الطيب من العيش في الدارين.

(لمن جعل الله مفاتيح الخير علىٰ يديه) فإنه تعالىٰ علم منه قبول الخير وفعله فيسره لليسرىٰ (وويل) شدة وهلاك وخسران (لمن جعل مفاتيح الشر علىٰ يديه) لأنه من التيسير للعسرىٰ وما ييسر لها إلا من امتنع من الخير وقبوله»(٢).

= فذكره. قلت: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم رجال الصحيح، وفي زيد بن الحباب كلام لا يضر إن شاء الله تعالىٰ، وأما جهالة الصحابي فلا تضر قطعًا لأنهم عدول. وللحديث شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا نحوه بإسناد ضعيف، خرجته في «المشكاة» (٥١٤٤). قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٢٢٤ في صحيح الجامع.

(١) رواه أحمد ومسلم في صحيحه، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٢٣٤ في صحيح الجامع.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١١٣/ ٤).

✍ **قال الشاعر:**

للخير أهل صالحون تدل عليه ∴ لا تزال فعالهم تدعو إليه
طوبىٰ لمن جرت الأمور ∴ الصالحات علىٰ يديه
ما لم يضق خلق الفتىٰ ∴ فالأرض واسعة عليه
من كان قبل الموت أبقىٰ صالحًا ∴ فالناس بعد الموت تثني عليه
يا ويح من آذىٰ العباد وضرهم ∴ فالناس بعد الموت تدعو عليه

✍ **وقال البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أفضل المسلمين من أحيا سنة من سنن رسول الله ﷺ قد أميتت»(١).

✍ **وقال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإياك أن تدل الناس علىٰ الله ثم تفقد أنت الطريق واستعذ بالله دائمًا أن تكون جسرًا يعبر عليه إلىٰ الجنة ثم ترمىٰ في النار».

✍ **أخبرنا أبو الحسن العباس** بن عمر بن العباس الكلوذاني، قال: سمعت أبا بكر محمد بن يحيىٰ الصولي، سمعت أمير المؤمنين الراضي بالله، يقول: لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام مفاتيح الشر، فمن أراد به خيرًا قصد به أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته، فهو الشريك في الثواب والشكر، ومن أراد الله به سوءًا عدل به إلىٰ غيرنا فهو الشريك في الوزر والإثم»(٢).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١١٢).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٥٢٠).

❁ **ويشهد لذلك** قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء:٧٣].

✍ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يهدون الناس بديننا، لا يأمرون بأهواء أنفسهم، بل بأمر الله ودينه، واتباع مرضاته، ولا يكون العبد إماما حتىٰ يدعو إلىٰ أمر الله.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء:٧٣] يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد»(١).

[١٢] السعيد الموفق من يثبت على الحق ويستقيم على دينه حتى يلقى ربه عليه

وقد أوصىٰ الله عباده المؤمنين بالثبات علىٰ دينهم والاستقامة علىٰ عبادته حتىٰ يلقوه.

❁ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا علىٰ ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلىٰ الممات، فإن من عاش علىٰ شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته

---

(١) تيسير الكريم المنان (٥٢٧/ ١).

ونشاطه وإمكانه مداومًا لتقوىٰ ربه وطاعته، منيبًا إليه علىٰ الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة»(١).

✍ **قال المفسر ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: حافظوا علىٰ الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرىٰ عادته بكرمه أنه من عاش علىٰ شيء مات عليه، ومن مات علىٰ شيء بعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك»(٢).

وقد وصىٰ بها خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ونبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بنيه الأسباط لما حضرتهما الوفاة.

۞ وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة:١٣١-١٣٢].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه. فإن المرء يموت غالبًا علىٰ ما كان عليه، ويبعث علىٰ ما مات عليه. وقد أجرىٰ الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه. ومن نوىٰ صالحًا ثبت عليه»(٣).

وقد سأل نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام ربه بعد أن مكنه الله من

---

(١) تفسير الكريم المنان (١/ ١٤١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤٦).

الملك وجمع بينه وبين أبويه وإخوته وشعر بأهمية الاستعداد للآخرة وقرب الرحيل وتوقع الموت هتف داعيا ربه بالثبات علىٰ ما وفق إليه والموت علىٰ ما هداه إليه

❁ قال تعالىٰ: ﴿ ❁ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف:١٠١].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عَزَّوَجَلَّ، لما تمت النعمة عليه، باجتماعه بأبويه وإخوته، وما من الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عَزَّوَجَلَّ، كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه»(١).

وقد دعا الصالحون من أولي الألباب العارفون لعظمة نعمة الثبات دعوا ربهم كما أخبر عنهم ربهم في خواتيم آل عمران كما بدأ السورة أيضًا بسؤال الراسخون في العلم بالثبات وألا تزيغ قلوبهم بعد الهداية والعمل الصالح.

❁ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٧-٨].

❁ ثم قال تعالىٰ في آخر السورة: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤١٤).

أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران:١٩٣].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلىٰ الممات.

ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلىٰ تمام النعمة، سألوه الثواب علىٰ ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به علىٰ ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالىٰ لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم»(١).

❁ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت**»(٢).

[١٣] السعيد الموفق غريب في زمن الغربة لا يعرفه الناس لمخالفته لهم

وقد أخبر النبي ﷺ عن سعادتهم وعن طيب عيشتهم التي يعيشونها في قلوبهم وما تنتظرهم في دار البرزخ ودار الآخرة.

❁ وذلك ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: قال

---

(١) تفسير الكريم المنان (١/ ١٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤١)، وأحمد وابن حبان ومالك قال الشيخ الألباني: صحيح. انظر حديث رقم: ٣٠٥ في صحيح الجامع.

رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده «**طوبىٰ للغرباء**»، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(١).

❁ وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء**». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»(٢).

❁ ثم رواه البيهقي من طريق كثير بن مروان الشامي حدثنا عبد الله بن يزيد الدمشقي - الذي كان بالباب - قال: حدثني أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: فذكره إلا أنه قال: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس، ولا يماروا (!) في دين الله ولا يكفروا (!) أهل القبلة بذنب**»

❁ عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا: «**إن من أمتي من لو جاء أحدكم يسأله دينارًا**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٥٣: رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٠/ ٢ من الكواكب ٥٧٥ - ورقم ٧٧٥ مطبوعة)، وأخرجه أحمد (٢/ ١٧٧ و٢٢٢) قلت: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات من رجال «الصحيح» غير ابن لهيعة وهو ثقة صحيح الحديث إذا روىٰ عنه العبادلة وقد روىٰ عنه هذا الحديث عبدالله بن المبارك وبه صح الحديث والحمد الله.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٢٦٧: أخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٥/ ١) هذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير محمد بن آدم المصيصي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره. رواه الآجري في «الغرباء» (١/ ٢) من هذا الوجه والترمذي (٢/ ١٠٤).

لم يعطه [ولو سأله درهمًا لم يعطه ولو سأله فلسًا لم يعطه]، ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه، ذو طمرين لا يؤبه له، لو أقسم علىٰ الله لأبره»(١).

❁ عن أنس مرفوعًا بلفظ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين، مصفح عن أبواب الناس، لو أقسم علىٰ الله لأبره»(٢).

❁ عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «رب أشعث مدفوع علىٰ الأبواب، لو أقسم علىٰ الله لأبره»(٣).

✍ **قال العلامة النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما معنىٰ طوبىٰ فاختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ فروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه فرح وقرة عين وقال عكرمة: نعم ما لهم وقال الضحاك: غبطة لهم وقال قتادة: حسنىٰ لهم وعن قتادة أيضًا: معناه أصابوا خيرًا وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة وقال ابن عجلان: دوام الخير وقيل: الجنة وقيل شجرة في الجنة وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث، والله أعلم»(٤).

✍ **وعن الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٢٩٦: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٧٧/ ٢/ ٧٦٩٩ - بترقيمي) رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح. لكن للحديث شواهد يتقوىٰ بها.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٤٠٦)، وهذا إسناد حسن في الشواهد رواته موثقون.

(٣) أخرجه مسلم (٨/ ٣٦/ ١٥٤)، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٨).

(٤) شرح النووي «صحيح مسلم» (٢/ ١٧٦).

أقل الناس(١).

✍ **وعن سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء(٢).

✍ **وعن سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول؛ إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما ما أقل أهل السنة والجماعة(٣).

✍ **وقال الصَّحابي ابن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يأتي علىٰ الناس زمان يكون المؤمن فيه أذلَّ من الأمَة، وإنما ذُلّ المؤمن آخر الزَّمان لغُربته بين أهل الفساد من أهل الشَّهوات وأهل الشُّبهات، فكلُّهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم»(٤).

✍ **وقال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا جاء في أحاديث متعددة مدح المتمسك بدينه في آخر الزمان وأنه كالقابض علىٰ الجمر، وأن للعامل منهم أجر خمسين ممن قبلهم، لأنهم لا يجدون أعوانًا في الخير.

وهؤلاء الغرباء قسمان: أحدهما من يصلح نفسه عند فساد الناس، والثاني من يصلح ما أفسد الناس وهو أعلىٰ القسمين وهو أفضلهما»(٥).

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٥٧/ ١٩).
(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٤/ ٤٩).
(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ٦٤/ ٥٠).
(٤) [مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (٢/ ٣٢٩)].
(٥) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (١/ ٣٢١).

✍ **وقال العلامة التركماني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليست الغربة مفارقة الأهل والأوطان والسفر من مكان إلىٰ مكان ولكن الغريب هو العامل بالقرآن والسنة ولم من يساعده علىٰ ذلك فيصير بين الخلق غريبا ومن الله قريبًا»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس جدًّا؛ سموا غرباء، فإن أكثر الناس علىٰ غير هذه الصفات، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء.

وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦]، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:

فليس غريبا من تناءت دياره ∴ ولكن من تنأين عنه غريب

بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلىٰ الله بالعبودية له وحده، وإلىٰ رسوله بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون علىٰ الجمر حقًّا، وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم.

فلغربتهم بين هذا الخلق: يعدونهم أهل شذوذ وبدعة، ومفارقة للسواد

---

(١) اللمع في الحوادث والبدع (١/ ٥٤٨).

الأعظم»[(١)].

✍ **وقال العلامة عبدالرحمن بن محمد بن القاسم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمستقيم علىٰ المنهج السوي، والطريق النبوي، عند فساد الزمان ومروج الأديان، غريب ولو عند الحبيب، إذ قد توفرت الموانع، وكثرت الآفات وتظاهرت القبائح والمنكرات، وظهر التغيير في الدين والتبديل، واتباع الهوىٰ والتضليل، وفقد المعين، وعز من تلوذ به من الموحدين، وصار الناس كالشيء المشوب، ودارت بين الكل رحىٰ الفتن والحروب، وانتشر شر المنافقين، وعيل صبر المتقين، وتقطعت سبل المسالك، وترادفت الضلالات والمهالك، ومنع الخلاص ولات حين مناص؛ فالموحد بينهم أعز من الكبريت الأحمر، ومع ذلك فليس له مجيب ولا راع، ولا قابل لما يقول ولا داع. وقد نصبت له رايات الخلاف، ورمي بقوس العداوة والاعتساف، ونظرت إليه شزر العيون، وأتاه الأذىٰ من كل منافق مفتون، واستحكمت له الغربة، وأفلاذ كبده تقطعت مما جرىٰ في دين الإسلام وعراه من الانثلام والانفصام، والباطل قد اضطرمت ناره، وتطاير في الآفاق شراره؛ ومع هذا كله، فهو علىٰ الدين الحنيفي مستقيم، وبحجج الله وبراهينه مقيم، فبالله، قل لي: هل يصدر هذا إلا عن يقين صدق راسخ في الجنان، وكمال توحيد وصبر وإيمان، ورضىٰ وتسليم لما قدره الرحمن؟ وقد وعد الله الصابرين جزيل الثواب: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠]»[(٢)].

---

(١) مدارج السالكين (١٨٨/ ٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩٢/ ٨).

✍ **وقال الشيخ ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن تكلمت عن التوحيد نبذك أهل الشرك

- وإن تكلمت عن السنة نبذك أهل البدعة، وإن تكلمت عن الدليل والحجة نبذك أهل التعصب المذهبي والمتصوفة والجهلة، وإن تكلمت عن طاعة ولاة الأمر بالمعروف، والدعاء والنصح لهم، وعقيدة أهل السنة، نبذك الخوارج والمتحزبة وإن تكلمت عن الإسلام وربطته بالحياة، نبذك العلمانيون والليبراليون وأشباههم، ممن يريدون فصل الدين عن الحياة.

غربة شديدة علىٰ أهل السنة!

حاربونا بجميع الوسائل، حاربونا بالإعلام المسموع والمرئي والمكتوب حتىٰ أصبح الأهل والأصحاب يحاربون هذا الغريب، المتمسك بكتاب اللّه وسنة رسول الله، ورغم هذا، نحن سعداء بهذه الغربة، ونفتخر بها، لأن رسول اللّه ﷺ أثنىٰ علىٰ هؤلاء الغرباء، فقال النبي ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعودُ غريبا كما بدأ، فطُوبىٰ للغُرباءِ**» قيل: من هم يا رسولَ الله؟ قال: «**الذين يصلحون إذا فسدَ الناسُ**»

✍ **وقال سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغني أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يتعوذون أن يدركوا هذا الزمان، وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا علىٰ قلّة علمٍ وبصر، وقلّة صبر، وقلّة أعوان علىٰ الخير، مع كدر من الزمان، وفساد من الناس»(١).

---

(١) الجرح والتعديل ٨٧/ ١).

✍ **وقال محمد بن الحسين**: «أغرب الغرباء في وقتنا هذا من أخذ بالسنن وصبر عليها، وحذر البدع وصبر عنها، واتبع آثار من سلف من أئمة المسلمين، وعرف زمانه وشدة فساده وفساد أهله، فاشتغل بإصلاح شأن نفسه من حفظ جوارحه، وترك الخوض فيما لا يعنيه وعمل في إصلاح كسرته، وكان طلبه من الدنيا ما فيه كفايته وترك الفضل الذي يطغيه، ودارىٰ أهل زمانه ولم يداهنهم، وصبر علىٰ ذلك، فهذا غريب وقل من يأنس إليه من العشيرة والإخوان، ولا يضره ذلك»(١).

[١٤] السعيد الموفق كالغيث أينما وقع نفع وكالنحلة في طيب مدخلها وطيب مخرجها

❁ فالمؤمن الموفق السعيد ينتفع به الأقرب من أهله جيرانه وأصحابه فأول الناس يصل خيره إليهم هم الأقربون منه لتظهر صدق دعوته وأثر بركتها بانتفاعهم واستجابتهم لها ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ. «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٢).

---

(١) الغرباء للآجري (٧٨/ ١).

وانظر في هذا الموضوع:

١- مدارج السالكين(١٨٤-١٩٠/ ٣).

٢- وكتاب كشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب الحنبلي.

٣- الغرباء للآجري.

٤- الدرر السنية (ج٨).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥١٣: أخرجه الترمذي (٢/ ٣٢٣)، والدارمي (٢/ ١٥٩)، وابن حبان (١٣١٢).

❁ وفي رواية عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**خياركم خياركم لأهله**»(١).

✍ **قال العلامة الصنعاني** رحمه الله: «وذكره في معرض حسن الخلق للناس أجمعين إشارة إلىٰ أنه لا يتم حسن الخلق ويكون صاحبه خير الناس حتىٰ يكون خيرهم لأهله لأنهم أحق الناس بحسن صحبته»(٢)، وقد أمر الله تعالىٰ نبيه في بداية دعوته حين أمر بالبلاغ أمره بدعوة الأقربين لديه قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، فامتثل النبي ﷺ أمر ربه فدعا أهله فأسلمت خديجة رضي الله عنها زوجته وكانت أول من أسلم من أمته بالإجماع كما ذكره ابن عبد البر ثم بناته وأسلم أول من أسلم من الصبيان ابن عمه علي رضي الله عنه وأول من أسلم من الموالي مولاه أسامة بن زيد رضي الله عنه ثم قام علىٰ جبل الصفا وأول من نادىٰ بالخطاب كما روىٰ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤] دعا النبي ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعم وخص فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤١) (٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٦٦).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٨١/ ٣).

لكم رحما سأبلها ببلالها». رواه مسلم

وفي المتفق عليه قال: «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا. ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا**»(١).

ومن هذا ينبغي لمن وفقه الله لنفع المسلمين بمال يتصدق به فأهله وأقربوه أولىٰ وأعظم أجر أجر الصدقة وأجر الصلة لحديث سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصدقة علىٰ المسكين صدقة وعلىٰ ذي القرابة اثنتان صدقة وصلة**»(٢)، وكذلك صاحب العلم ليكن أهله أحق بعلمه وحفظه للقرآن وأمر بالمعروف ونهيه عن المنكر فيظهر أثر الصلاح والعلم والخير وحفظ القرآن علىٰ أهله قبل طلابه بما يستطيع بعد الدعاء والمجاهدة فالتربية من الآباء والصلاح والهداية من الله.

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟ خيركم من يرجىٰ خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره**»(٣).

❁ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم:٣١].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له والبخاري والترمذي والنسائي بنحوه.

(٢) صحيح ابن ماجة (١٤٩٤) (صحيح) التعليق الرغيب ٣٢/ ٢، المشكاة ١٩٣٩.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٦٠٣ في صحيح الجامع.

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله في من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلىٰ الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه»(١).

✍ **وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال مجاهد، وعمرو بن قيس، والثوري: وجعلني معلمًا للخير. وفي رواية عن مجاهد: نفاعًا.

✍ **وقال ابن جرير**: حدثني سليمان بن عبد الجبار، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي، سمعت وهيب بن الورد مولىٰ بني مخزوم قال: لقي عالم عالمًا هو فوقه في العلم، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من عملي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلىٰ عباده

وقد أجمع الفقهاء علىٰ قول الله: «﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]، وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أينما كان»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن بركة الرجل تعليمه للخير حيث حل ونصحه لكل من اجتمع به قال الله تعالىٰ إخبارًا عن المسيح ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] أي معلمًا للخير داعيًا إلىٰ الله مذكرًا به مرغبًا في

---

(١) تفسير الكريم المنان (٤٩٢/ ١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٢٩/ ٥).

طاعته فهذا من بركة الرجل ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة ومحقت بركة لقائه والاجتماع به بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠].

فتضمنت الآيتان ذكر شرعه وذكر الأعمال وجزائها وحكمة القدر في تيسير هذا لليسرىٰ وهذا للعسرىٰ وأن العبد ميسر بأعماله لغاياتها ولا يظلم ربك أحدا وذكر للتيسير لليسرىٰ ثلاثة أسباب:

(أحدها) إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل إرادة للإطلاق والتعميم أي أعطىٰ ما أمر به وسمحت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك يتناول إعطاءه من نفسه الإيمان والطاعة والإخلاص والتوبة والشكر وإعطاءه الإحسان والنفع بماله ولسانه وبدنه ونيته وقصده فتكون نفسه نفسا مطيعة باذلة لا لئيمة مانعة فالنفس المطيعة هي النافعة المحسنة التي طبعها الإحسان وإعطاء الخير اللازم والمتعدي فتعطي خيرها لنفسها ولغيرها فهي بمنزلة العين التي ينتفع الناس بشربهم منها وسقي دوابهم وأنعامهم وزرعهم فهم ينتفعون بها كيف شاءوا فهي ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك ميسر للنفع حيث حل فجزاء هذا أن ييسره الله لليسرىٰ كما كانت نفسه ميسرة للعطاء»(٢).

---

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه (٦/ ١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٦/ ١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن النافع هو المبارك وأنفع الأشياء أبركها والمبارك من الناس أينما كان هو الذي ينتفع به حيث حل»(١).

✍ **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التي يدرك بها هذا الوصف الجليل ويجتهد في التحقق به، حتىٰ يمتلئ قلبه من الرحمة، والحنان علىٰ الخلق. ويا حبذا هذا الخلق الفاضل، والوصف الجليل الكامل.

وهذه الرحمة التي في القلوب، تظهر آثارها علىٰ الجوارح واللسان، في السعي في إيصال البر والخير والمنافع إلىٰ الناس، وإزالة الأضرار والمكاره عنهم.

وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد: أن يكون محبًّا لوصول الخير لكافة الخلق عمومًا، وللمؤمنين خصوصًا، كارها حصول الشر والضرر عليهم. فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته»(٢).

✍ **وقال العلامة البرقاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما اجتمعت مع حمزة بن محمد إلا وفارقته بفائدة»(٣).

✍ **وسفيان بن عيينة، يقول**: قال لقمان «خير الناس الحيي الغني، قيل: الغني في المال؟ قال: لا، ولكن الذي إذا احتيج إليه نفع، وإذا استغني عنه

---

(١) الطب النبوي (١٢٤/ ١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (١٨٩/ ١).

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٨٤).

نفع، قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئًا»(١).

✍ **وعن قتادة عن خليد قال:** «المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها»(٢).

✍ **وقال القائل:**

كن نافعا كالغيث يرجىٰ خيره ∴ بالسيل يأتي حاملا بركاته
لا يقصر الإحسان علىٰ نفسه ∴ كنخلة طوبىٰ بها خيراته

نفىٰ يزيد بن عبد الملك الإمام عراك بن مالك إلىٰ دهلك (جزيرة بين بر اليمن وبر الحبشة) فنفع الله بعلمه أهل تلك الجزيرة فكان أهل دهلك يقولون: جزىٰ الله عنا يزيد خيرًا، أخرج إلينا رجلًا علمنا الله الخير علىٰ يديه(٣)..

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن المؤمن خير كله ونفع»(٤).

وقد وصف الله العبد الموفق والمؤمن السعيد بأوصاف ومثله بأشياء نافعة محسوسة للناس منها:

(١) شجرة النخلة الشجرة الطيبة

❁ قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٧).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٣٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ١٧٣).
(٤) زاد المعاد (٤/ ٣٣٩).

ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٥].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ منتشر ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وهي كثيرة النفع دائمًا.

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائمًا يصعد إلىٰ الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره»(١).

❁ وعن مجاهد عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شيء نفعك**»(٢).

❁ وعن بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهو مثل المؤمن حدثوني ما هي**» قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فقال النبي ﷺ: «**هي النخلة**» فاستحييت أن أقول قال عبد الله فحدثت عمر بالذي وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها

---

(١) تفسير الكريم المنان (٤٢٥/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٥٥: رواه الطبراني (٣/ ٢٠٤/ ١): ثم رواه (٢٠٤/ ٢) عن شريك عن سلمة بن كهيل عن مجاهد به دون الشطر الثاني منه. قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير السقطي هذا وهو ثقة كما قال الخطيب (٣/ ١٥٣).

أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»(١).

✍ **وقال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجه الشبه قال الحافظ ابن حجر: قد أفصح بالمقصود بأوجز عبارة فإن توقع المشبه بينهما من جهة أن أصل دين الإسلام ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والحبور قوت للأرواح، مستطاب وأنه لا يزال مستورًا بدينه، وأنه ينتفع بكل ما صدر عنه حيًّا وميتًا»(٢).

✍ **وقال أبو الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ «ويشبهها بالمسلم لكثرة خيرها ودوام ظلها، وطيب ثمرها ووجوده علىٰ الدوام. وأما في رؤوسها فمن حين تطلع إلىٰ أن تيبس تؤكل أنواعا، ثم بعد هو مما يدخر فلا ينقطع نفعها، قال الله تعالىٰ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

ثم في جميعها منافع من استعمال جذوعها في البناء والآلات، وجرائدها حطبًا وعصيًا ومخاصر ومشاجب وحصرًا. واستعمال [ليفها حبالًا وخطمًا وحشو الوسائد والمرافق والبراذع وغير ذلك، واستعمال] خوصها مكاتل وحبالا وحصرا. ثم في جمال بنائها واعتدال قيامها واستدارة جذوعها وثمرها، ثم تؤكل رطبة وجمارة، فهي منفعة كلها وخير وجمال، وهذا أولىٰ الوجوه. كما أن المؤمن منفعة كله، وخير كله؛ لاتصافه بأفعال الخير؛ من

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٠- ٥٩)، ومسلم برقم (٥٠٢٧- ٥٠٢٨)، والترمذي (٢٧٦٥).

(٢) نقله الصنعاني من فتح الباري (١/ ١٤٧). التنوير (٥٣٢/ ٩).

المواظبة علىٰ الصلوات كل يوم وليلة. وقيل: بل شبهها بالمؤمن لأنها متىٰ قطع رأسها ماتت، بخلاف سائر الشجر»(١).

(٢) مثل المؤمن أو المسلم مثل النحلة

❁ عن أبي رزين رضي الله عنه مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا**»(٢).

✍ **قال العلامة المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد مر أنه إذا أطلق المؤمن غالبا أنه يعني به المؤمن الذي تكاملت فيه خصال الخير باطنًا وأخلاق الإسلام ظاهرا فشبه المؤمن بذبابة العسل لقلة مؤنتها وكثرة نفعها كما قيل إن قعدت علىٰ عش لم تكسره وإن وردت علىٰ ماء لم تكدره وقال علي: كونوا في الدنيا كالنحلة كل الطير يستضعفها وما علموا ما ببطنها من النفع والشفاء. ومعنىٰ إن أكلت إلخ: أي أنها لا تأكل بمرادها وما يلذ لها بل تأكل بأمر مسخرها في قوله ﴿كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [النحل:٦٩] حلوها ومرها لا تتعداه إلىٰ غيره من غير تخليط فلذلك طاب وصفها لذة وحلاوة وشفاء فكذا المؤمن لا يأكل إلا طيبًا وهو الذي حلىٰ بإذن ربه لا بهوىٰ نفسه فلذلك لا يصدر من

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٤٥).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٦٢٢: أخرجه ابن حبان (رقم ٣٠)، وابن عساكر (٢/ ٤٣/ ١) للحديث طريق أخرىٰ أخرجها الحسين المروزي في «زوائد الزهد لابن المبارك» (ق ١٢٣/ ١ كواكب ٥٧٥) بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة قال: «ذكر لي أن أبا سبرة بن سلمة سمع.... عبد الله بن عمرو.....» فذكره مرفوعًا وفيه قصة. وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق حسن أو صحيح. والله أعلم. قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٨٤٧ في صحيح الجامع.

باطنه وظاهره إلا طيب الأفعال وذكي الأخلاق وصالح الأعمال فلا يطمح في صلاح الأعمال إلا بعد طيب الغذاء وبقدر صفاء حله تنمو أعماله وتذكو»(١).

❁ وعبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «**إن مثل المؤمن كمثل النحلة أكلت طيبًا ووضعت طيبًا ووقعت فلم تكسر ولم تفسد**»(٢).

✍ **قال العلامة الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم وجدت له طريقًا أخرىٰ يتقوىٰ بها إن شاء الله تعالىٰ، فقال البزار في «مسنده» (ص ٢٣٨ - زوائده): حدثنا يوسف بن موسىٰ حدثنا عبد الرحمن بن مغراء عن الأعمش عن أيوب عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا بلفظ: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يظهر الفحش وقطيعة الرحم وسوء الجوار، (ويخون) الأمين**»، قيل: يا رسول الله! فكيف المؤمن؟ قال: «**كالنحلة، وقعت فلم تفسد وأكلت فلم تكسر ووضعت طيبًا**»(٣).

[١٥] السعيد الموفق تزيده الطاعة إيمانا والمعصية تنقص إيمانه وتصلح من حاله بعد التوبة

❁ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢].

---

(١) فيض القدير (٥/ ٥١٤).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٦٠: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٩)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٥٠/ ١ - ٢)، والأصبهاني في «الترغيب» (١١/ ٢).

(٣) السلسلة الصحيحة [٥/ ٣٦٠] رقم الحديث: ٢٢٨٨).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنىٰ كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلىٰ كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان»(١).

✍ **وجاء عن جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر**: «تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، فهم كانوا يتعلمون الإيمان، ثم يتعلمون القرآن»(٢).

✍ **وقال عمير بن حبيب**: «وكانت له صحبة إن للإيمان زيادة ونقصانا قيل فما زيادته قال إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وحمدناه فذلك زيادته وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ عدي بن عدي إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان»(٣).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ازدادوا إيمانًا من وجهين:

الوجه الأول: التصديق بما اخبر الله به من أمور الغيب الماضية والمستقبلة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣١٥/ ١).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٩/ ٤٤٩)، وتفسير البغوي (٣/ ٣٢٩)، وتفسير الخازن (٥/ ٣).

(٣) تفسير البغوي (٢٢٩/ ٢).

الوجه الثاني: القبول والإذعان لأحكام الله، فيمتثلون ما أمر الله به، فيزداد بذلك إيمانهم وينتهون عما نهىٰ الله عنه، تقربا إليه وخوفًا منه، فيزداد أيمانهم فهم إذا تليت عليهم آياته ازدادوا إيمان من هذين الوجهين. وهكذا إذا رأيت من نفسك أنك كلما تلوت القرآن ازددت إيمانا، فإن هذا من علامات التوفيق»(١).

وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتىٰ نزداد إيمانًا.

✍ **وقال علي بن أبي طالب:** إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد ذلك البياض حتىٰ يبيض القلب كله، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتىٰ يسود القلب كله، وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود(٢).

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

﴿وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ أي: يبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته،

---

(١) شرح رياض الصالحين (٥٤٥/ ١).

(٢) تفسير البغوي (٤٠٦/ ٢).

والتوفيق لفهمها والعمل بها. وهذا دال علىٰ انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه»(١).

[١٦] السعيد الموفق من رزق حلاوة الإيمان وأسبابها

من الحرمان الذي يصاب به العبد بسبب موانع السعادة والتوفيق حرمان حلاوة الإيمان

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتىٰ يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف:٢٤].

فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلىٰ ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له وذلك يقتضي انجذاب القلب إلىٰ الله فيصير القلب منيبا إلىٰ الله خائفًا منه راغبًا راهبًا»(٢).

✍ **وقال العلامة مقبل الوادعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للإيمان حلاوة لا يذوقها إلا صاحب الإيمان الصادق»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (٣٥٦/ ١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢١٦/ ١٠).

(٣) البشائر من السماع المباشر (١/ ١٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النفس ذواقة تواقة، فإذا ذاقت تاقت، ولهذا إذا ذاق العبد طعم الإيمان، وخالطت بشاشته قلبه رسخ فيه حبه، ولم يؤثر عليه شيئًا أبدًا»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها فليرجع وليقتبس نورًا يجد به حلاوة الإيمان»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه فإن الرب تعالىٰ شكور يعني أنه لابد أن يثيب العامل علىٰ عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول والقصد: أن السرور بالله وقربه وقرة العين به تبعث علىٰ الازدياد من طاعته وتحث علىٰ الجد في السير إليه»(٣).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإيمان له حلاوة في القلب ولذة لا يعدلها شيء ألبتة»(٤).

✍ **قال قيل لسعيد بن المسيب أن عبد الملك**: «قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ولا أحزن علىٰ السيئة أرتكبها فقال سعيد الآن تكامل موت قلبه»(٥).

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢٣/ ١).
(٢) مدارج السالكين (٦٧/ ٢).
(٣) مدارج السالكين(٦٨/ ٢).
(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٩٥/ ١٨).
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٣/ ٣٧).

أسباب حصول حلاوة الإيمان وموانع حصولها

أولاً: التوحيد وصلاح عقيدة العبد ورضاه بالله ورسوله دون غيرهما

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان وطعم الصدق واليقين حتىٰ تخرج الجاهلية كلها من قلبه»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا».

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار**».

فبين ﷺ أن ذوق طعم الإيمان لمن رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وأن وجد حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبه لله ورسوله أشد من حبه لغيرهما ومن كان يحب شخصًا لله لا لغيره ومن كان يكره ضد الإيمان كما يكره أن يلقىٰ في النار؛ فهذا الحب للإيمان والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان كما استلزم الرضىٰ المتقدم ذوق طعم الإيمان وهذا هو اللذة؛ وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب ولا نفس الحب الحاصل في القلب»(٢).

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٧١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٢٨).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن أهل الإيمان يجدون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة الإيمان ما يناسب هذه المحبة ولهذا علق النبي ﷺ ما يجدونه بالمحبة فقال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**». ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والإخلاص.

والتوكل والدعاء لله وحده، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله. والعبادة له. وحلاوة ذكره ومناجاته. وفهم كتابه. وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحًا. ويكون لوجه الله خالصا؛ فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم مما يجده الداعي المتوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه من الدنيا. أو اندفع عنه ما يضره؛ فإن حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل له من المنفعة أو اندفع عنه من المضرة ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله ولا أضر عليه من الإشراك. فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا. والله أعلم»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه، وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد. وهذا الذوق أصحابه

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٥٣/ ١٠).

فيه يتفاوتون فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلىٰ الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين لا يحبون شيئًا إلا له ولا يتوكلون إلا عليه ولا يوالون إلا فيه ولا يعادون إلا له ولا يسألون إلا إياه ولا يرجون إلا إياه ولا يخافون إلا إياه يعبدونه ويستعينون له وبه بحيث يكونون عند الحق بلا خلق وعند الخلق بلا هوىٰ»(١).

ومن موانع حصول طعم حلاوة الإيمان في القلب نزول الموت به بسبب الذنوب والمعاصي

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقَلْب المَيَّت لَا يَذُوقُ طَعْمَ الإِيمَان ولَا يَجِدُ حَلَاوته ولَا يَتمَتعُ بالحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ لَا في الدُّنيَا ولَا في الآخِرة»(٢).

ثانيًا: ترك المعاصي والذنوب والإقبال على الله تعالى

✍ **كما قال بعض أحبار بني إسرائيل**: «يا رب! كم أعصيك ولا تعاقبني! فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري! أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟»(٣).

✍ **وقال مبارك أبو حماد**، مولىٰ إبراهيم بن سام قال: سمعت سفيان الثوري، يقول فيما أوصىٰ به علي بن الحسن السلمي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واجتنب

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣٣٦/ ١٠).
(٢) طَرِيقُ الهجْرتيْن (١٣٥).
(٣) صيد الخاطر (٦٥/ ١).

المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان»(١).

✍ **قال مالك بن دينار**، قال: قال لي عبد الله الرازي: إن سرك أن تجد حلاوة العبادة وتبلغ ذروة سنامها فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطا من حديد(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فائه إذا واقع الذنب، سلب حلاوة الطاعة والقرب، ووقع في الوحشة»(٣).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا**: «ولو لم يكن في ترك الذنوب إلا ذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان»(٤).

✍ **وقال بشر بن الحارث** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تجد حلاوة العبادة حتىٰ تجعل بينك وبين الشهوات سدا»(٥).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا رأىٰ أنه لا ينشرح صدره ولا يحصل له حلاوة الإيمان ونور الهداية فليكثر التوبة والاستغفار»(٦).

---

(١) حلية الأولياء (٨٢/ ٧).
(٢) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا (٤٤/ ١).
(٣) طريق الهجرتين (٣٦٧/ ١).
(٤) الفوائد (١٥١/ ١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٤٩٠/ ٨).
(٦) مجموع الفتاوىٰ (٣٩٠/ ١١).

ثالثًا: التواضع لله وترك رضا الناس

✍ **قال أحمد بن حرب**: «عبدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتىٰ تركت ثلاثة أشياء: تركت رضىٰ الناس حتىٰ قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتىٰ وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتىٰ وجدت حلاوة الآخرة»(١).

✍ **وقال بشر بن الحارث**: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس»(٢).

✍ **وقال مبارك أبو حماد، مولىٰ إبراهيم بن سام**: سمعت سفيان الثوري، يقول فيما أوصىٰ به علي بن الحسن السلمي قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعلم أنه متىٰ استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها: ارتفعت همته وعلت نفسه عن خطفات المدح والذم فلا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم وهذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه وصار قلبه مطرحا لأشعة أنوار الأسماء والصفات وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه والوقوف عند مدح الناس وذمهم: علامة انقطاع القلب وخلوه من الله وأنه لم تباشره روح محبته

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٩).

(٢) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (١/ ٩٦).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٨٢).

ومعرفته ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه»(١).

✍ **وقال زيد بن أسلم**: «كام يقال: من اتقىٰ الله أحبه الناس وإن كرهوا».

✍ **وقال الثوري لابن أبي ذئب**: «إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا»(٢).

رابعًا: الصبر والرضا بالقدر خيره وشره والإيمان بهذا الركن من أركان الإيمان السادس

جاء عن النبي ﷺ نفي كمال الإيمان وصحته عن المتردد والشاك والمكذب بالقدر

❁ عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: «**لا يؤمن عبد حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره، حتىٰ يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه**»(٣).

❁ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتىٰ يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»(٤).

---

(١) مدارج السالكين (٦/ ٢).

(٢) الفوائد (٥٣/ ١).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٥٦٦: أخرجه الترمذي (٢/ ٢١)، وابن عدي في «الكامل» (٢١٧/ ١)، فالإسناد حسن إن شاء الله تعالىٰ.

(٤) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الصحيحة - مختصرة رقم الحديث: ٢٤٣٩.

أخرجه ابن أبي عاصم (٢٤٧) بإسناد حسن عنه.

✍ **وقال المعافىٰ بن عمران**: «سمعت سفيان الثوري يقول: لا يذوق العبد حلاوة الإيمان حتىٰ يأتيه البلاء من كل مكان»(١).

✍ **وقال الإمام شقيق البلخي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شكىٰ مصيبة إلىٰ غير الله لم يجد حلاوة الطاعة»(٢).

✍ ويحكىٰ عن امرأة من العابدات أنها عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطعت إصبعك فقالت: أخاطبك علىٰ قدر عقلك حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها إشارة إلىٰ أن عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام من ملاحظة المبتلىٰ ومشاهدة حسن اختياره لها في ذلك البلاء، وتلذذها بالشكر له والرضىٰ عنه ومقابلة ما جاء من قبله بالحمد والشكر كما قيل:

لـئن سـاءني أن نلتنـي بمسـاءة ∴ فقـد سـرني أني خطـرت ببالكـا»(٣)

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن علاج حر المصيبة» أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقلبها الله سبحانه كذلك، وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلىٰ حلاوة دائمة، خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا فانظر إلىٰ قول الصادق المصدوق: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»، وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال فأكثره مآثر الحلاوة المنقطعة علىٰ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٢٠٤/ ١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧٢/ ٨).

(٣) مدارج السالكين (١٦٧/ ٢).

الحلاوة الدائمة التي لا تزول»(١).

خامسًا: محبة الله تعالى وإيثار محبته على محبة ما سواه

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن محبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه. وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة. وكلما كانت أبعد عن الله كان ألمها وعذابها أعظم.

هذا إلىٰ ما في محبته من الإعراض عنك، والتجني عليك، وعدم الوفاء لك، إما لمزاحمة غيرك من المحبين له، وإما لكراهته ومعاداته لك، وإما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحب إليه منك، وإما لغير ذلك من الآفات.

وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير هذا الشأن، فإنه لا شيء أحب إلىٰ القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحييها. فمحبة نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن. فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلىٰ، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلىٰ لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلىٰ من كل لذة. كما أخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله «إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب».

---

(١) زاد المعاد (١٨٠/ ٤).

✍ **وقال آخر**: «إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربا بأنسه بالله وحبه له».

✍ **وقال آخر**: «مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها».

✍ **وقال آخر**: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوىٰ.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذوق والوجد، ومتىٰ ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حبًّا لغيره، ولا أنسابه، وكلما ازداد له حبًّا ازداد له عبودية وذلًّا، وخضوعًا ورقًّا له، وحرية عن رق غيره.

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن، إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها، ولم يسكن إليها، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقا، حتىٰ يظفر بما خلق له، وهيئ له: من كون الله وحده نهاية مراده، وغاية مطالبه»(١).

---

(١) إغاثة اللهفان (١٩٨/ ٢).

[١٧] السعيد الموفق من وفق لليقين والصبر

أولاً: اليقين: قوة في القلب تدل علىٰ كمال رضا العبد وتصديقه بوعد الله ووعيده وثباته علىٰ دينه.

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة:٢٤]:

أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلى درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلُّمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين(١).

✍ **وقال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اليقين وهو خلاف الشك والمراد به عزم القلب وعدم تردده في أن كل ما أصابه لم يكن ليخطئه وكل ما أخطأه لم يكن ليصيبه فلا يحزن علىٰ فقد فائت ولا يفرح بآت»(٢).

✍ **وقال خافان بن صبيح:** «لوحشة الشك التمسنا أنس اليقين، ومن ذل الجهل هر بنا إلىٰ عز المعرفة، ولخوف الضلالة لزمنا الجادة»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٥٦).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٤٥/ ٣).
(٣) زهر الآداب وثمر الألباب (٨٦٠/ ٣).

✍ **وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا هذا زاحم باجتهادك المتقين وسر في سرب أهل اليقين هل القوم إلا رجال طرقوا باب التوفيق ففتح لهم»(١).

❁ وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدىٰ، فالكتاب الذي أنزل إليهم، هدىٰ، والمؤمنون به منهم، علىٰ قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصديقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر علىٰ التعلم والتعليم، والدعوة إلىٰ الله، والأذىٰ في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله، إلىٰ درجة اليقين، وهو العلم التام، الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلىٰ درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعلما صحيحا، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين.

فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتىٰ وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين»(٢).

---

(١) التبصرة (٢/ ٤٥٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٦٥٦/ ١).

❁ وعن بن عمر رضي الله عنه قال: «قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وأجعله الوارث منا واجعل ثأرنا علىٰ من ظلمنا وانصرنا علىٰ من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رحمه الله: «الطريق إلىٰ الله خال من أهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصبر، وهو علىٰ الطريق كالأعلام ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾»(٢).

✍ **وقال العلامة ابن القيم** رحمه الله بعد أن أورد هذا الحديث: جمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه(٣).

✍ **قال ابن مسعود** رضي الله عنه: «فإن الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٥٠٠) قال الشيخ الألباني: حسن. انظر صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) الفوائد (٣٥/ ١).

(٣) انظر: زاد المعاد ٥/ ٢١٥-١٢٦، عدة الصابرين ١٣٨.

في اليقين والرضىٰ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[١].

✍ **عن الحسن البصري قال**: قال لقمان لابنه رضي الله عنهما: «يا بني العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله»، قال: وقال لقمان لابنه: «يا بني: إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين والصحة، وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والضمة، وإذا جاء من قبل الرغبة والرهبة فأخبره أن الدنيا مقارفة ومتروكة»[٢].

✍ **وقال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو ناظر إلىٰ الأهم فقد اشتمل علىٰ سؤال الإعانة علىٰ ترك المعاصي والإعانة علىٰ فعل الطاعات والإعانة علىٰ تحمل المصيبات وهذه الثلاثة لا يخلو عنها المكلف ما دام في دار الدنيا»[٣].

✍ **وقال العلامة ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واليقين: هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال، فيوجب قوة التصديق حتىٰ ينفي الريب ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به، وقد جعله ابن مسعود الإيمان كله. وكذا قال الشعبي – أيضًا– وهذا مما يتعلق به من يقول: إن الإيمان مجرد التصديق[٤].

حيث جعل اليقين: الإيمان كله، فحصره في اليقين، ولكن لم يرد ابن مسعود أن ينفي الأعمال من الإيمان، إنما مراده: أن اليقين هو أصل الإيمان

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٦٥/ ١) «رسالة شرح حديث ما ذئبان جائعان».
(٢) اليقين لابن أبي الدنيا (٤٦/ ١).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٤٥/ ٣).
(٤) «فتح الباري» لابن رجب (١٥/ ١).

كله، فإذا أيقن القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر انبعثت الجوارح كلها للاستعداد للقاء الله تعالىٰ بالأعمال الصالحة فنشأ ذلك كله عن اليقين.

✍ **وقال الحسن البصري**: «ما طلبت الجنة إلا باليقين ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا أديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر علىٰ الحق إلا باليقين»(١).

✍ **وقال سفيان الثوري**: «لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا إلىٰ الجنة وخوفا من النار»(٢).

✍ **ويذكر عن لقمان قال**: «العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله»(٣).

✍ **وقال عبد الله بن عكيم**: «سمعت ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفهما»(٤).

✍ **وقال إبراهيم بن فاتك**: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: «اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب»(٥).

---

(١) «حلية الأولياء» (٣٧/ ١)، اليقين لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٢).

(٢) «الحلية لأبي نعيم» (٧/ ١٧).

(٣) اليقين لابن أبي الدنيا (٤٥/ ١).

(٤) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٧٩٧)، (الطبراني) (ج٩ص١٠٥) رقم الحديث (٨٥٤٩)، (ابن ماجه) (٤٦) وصححه الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨).

(٥) طبقات الصوفية (٢٨٨/ ١).

✍ **وقال الحسين بن مصعب**: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: مرني بشيء حتىٰ ألزمه قال: «عليك باليقين»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن ذكر الله ههنا القرآن وهو ذكره الذي أنزله علىٰ رسوله به طمأنينة قلوب المؤمنين فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ولا سبيل إلىٰ حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه واضطرابه وقلقه من شكه والقرآن هو المحصل لليقين الدافع للشكوك والظنون والأوهام فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به»(٢).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا بد من الصبر علىٰ فعل الحسن المأمور وترك السيء المحظور ويدخل في ذلك الصبر علىٰ الاذىٰ وعلىٰ ما يقال والصبر علىٰ ما يصيبه من المكاره والصبر عن البطر عند النعم وغير ذلك من أنواع الصبر ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له ويتنعم به ويغتذىٰ به وهو اليقين كما في الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس سلوا الله اليقين والعافية، فإنه لم يعط أحد بعد اليقين خيرًا من العافية، فسلوهما الله**»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال السرىٰ اليقين السكون عند جولان

---

(١) حلية الأولياء (٢١٦/ ١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٥٠/ ٩).

(٣) الاستقامة لابن تيمية (٢٦٢/ ٢).

الموارد في صدرك ليتقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيًّا قلت هذا إذا لم تكن الحركة مأمورًا بها فإذا كانت مأمورًا بها فاليقين في بذل الجهد فيها واستفراغ الوسع وقيل إذا استكمل العبد حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة والمحنة منحة فالعلم أول درجات اليقين ولهذا قيل العلم يستعملك واليقين يحملك فاليقين أفضل مواهب الرب لعبده ولا تثبت قدم الرضاء إلا علىٰ درجة اليقين قال تعالىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١] قال ابن مسعود: هو والعبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضىٰ ويسلم فلهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه»(١).

والله تعالىٰ يخبر عن سهولة الطاعة وتيسرها عليهم قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾ [البقرة:٤٦].

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات»(٢).

✍ **وعن علقمة قال:** قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله»(٣).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٥٤).

(٣) رواه الطبراني في الكبير ورواته رواة الصحيح وهو موقوف وقد رفعه بعضهم صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٩٧)، قال الشيخ الألباني: (صحيح موقوف).

✍ **عَن الْحَسَن قَالَ**: «مَا أيْقَن عَبدٌ بالْجَنةِ والنار حَقَّ يَقِينهمَا إِلَّا خَشَعَ ووجِلَ، وذَلَّ واسْتقَامَ، واقْتصَر حَتىٰ يَأتيَه الْمَوت»(١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الايمان مبنىٰ علىٰ ركنين يقين وصبر وهما الركنان المذكوران في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤] فباليقين يعلم حقيقة الامر والنهىٰ والثواب والعقاب وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهىٰ عنه ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهىٰ انه من عند الله وبالثواب والعقاب إلا باليقين ولا يمكنه الدوام علىٰ فعل المأمور وكف النفس عن المحظور إلا بالصبر فصار الصبر نصف الإيمان والنصف الثاني الشكر بفعل ما أمر به وبترك ما نهىٰ عنه»(٢).

فائدة: يظن غلاة أهل البدع من الصوفية والإسماعيلية والباطنية والملاحدة أن اليقين مرحلة عمرية أو منزلة عملية علمية من بلغها سقطت عنه التكاليف ولم تجب في حقه الواجبات وهذا ضلال مبين.

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن ما كان واجبًا علىٰ العبد لم يكن مستغنيا عنه إذ لا بد للعبد من أداء الواجبات والصلاة عمود الدين لا تسقط لا عن الأنبياء ولا عن الأولياء ولا غيرهم ومن اعتقد سقوطها عن خواص الأولياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

---

(١) [اليقين لابن أبي الدنيا، صـ٣٨].

(٢) عدة الصابرين (١٠٩/ ١).

فإن كثيرًا من أهل الضلال يعتقدون سقوط الواجبات عن الأولياء الواصلين إلىٰ الحقيقة ويتأولون قوله ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

قالوا: فإذا حصل اليقين سقطت العبادة وهذا من جنس قول القرامطة الباطنية من المتفلسفة وغيرهم الذين يرون العبادات رياضة النفس حتىٰ تصل إلىٰ المعرفة التي يدعونها فإذا وصل إلىٰ المعرفة سقطت عنه.

ومن المعلوم أن هذا خلاف دين الإسلام وأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس لا تسقط عن أحد من الأولياء ولا عن شيء من واجباتها إلا لعذر شرعي مثل سقوط الطهارة للعجز عن استعمالها لعدم أو خوف ضرر وسقوطها بالجنون وسقوط فعلها بالإغماء وفي وجوب القضاء نزاع مشهور ونحو ذلك مما هو معروف في مواضعه.

وقوله ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ المراد به ما يوقن به من الموت وما بعده باتفاق السلف كما في قوله الذي حكاه عن الكفار ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر:٤٢-٤٧]، ومنه قول النبي ﷺ عن عثمان بن مظعون «**أما هذا فقد جاءه اليقين من ربه**»، ولهذا قال الحسن البصري: لم يجعل الله لعبده المؤمن أجلا دون»(١).

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله:

---

(١) الرد علىٰ الشاذلي (٥٢/ ١).

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩] علىٰ أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة علىٰ الإنسان ما دام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب**».

ويستدل بها علىٰ تخطئة من ذهب من الملاحدة إلىٰ أن المراد باليقين المعرفة، فمتىٰ وصل أحدهم إلىٰ المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء عليهم السلام، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة ومواظبة علىٰ فعل الخيرات إلىٰ حين الوفاة. وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. ولله الحمد والمنة، والحمد لله علىٰ الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا علىٰ أكمل الأحوال وأحسنها [فإنه جواد كريم] [وحسبنا الله ونعم الوكيل]»(١).

[من نماذج اليقين]

لقد حث النبي ﷺ علىٰ سؤال اليقين والاجتهاد في تحقيقه وأنه من أعظم النعم علىٰ العبد السعيد الموفق بعد العافية في الدين والدنيا.

❁ وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرًا من المعافاة،**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٥).

ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، كما أمركم الله»(١).

أولاً: اليقين بالقضاء والقدر والرضا بالخير والشر منه

❁ عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢).

❁ وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(٣).

✍ **قال علي** رضي الله عنه:

أي يومي من الموت أفر ∴ يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم قدر لا أرهبه ∴ ومن المقدور لا ينجي الحذر

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده وانظر صحيح ابن ماجه في سننه(٣١٠٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٤٠٧٢ في صحيح الجامع.

(٢) جامع الترمذي (٢٥١٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) رواه مسلم (٥٣١٨).

ثانيًا: اليقين بالأرزاق

وقد ذكر النبي ﷺ ما يطمئن العبد المؤمن أن رزقه مكتوب وأجله محسوب لن ينفد أجله حتىٰ ينفد رزقه وأن الرزق لا يجبله حرص الحريص.

❁ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»(١).

❁ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتىٰ تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم**»(٢).

❁ عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا قال: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتىٰ تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالىٰ لا ينال ما عنده إلا بطاعته**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥٥٧: أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي (٢/ ٥٥ بولاق) الحاكم (٤/ ٣١٨) أخرجه أحمد (١/ ٥٢)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وهو عنده من رواية عبد الله ابن وهب عنه. فالسند صحيح أيضًا.

(٢) صحيح ابن ماجة (١٧٤٣) (صحيح) التعليق الرغيب ٧/ ٣، أحاديث البيوع الصحيحة ٢٦٠٧.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٠٨٥ في صحيح الجامع.

✍ **قال ابن مسعود**: «اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحدًا علىٰ رزق الله، ولا تلم أحدًا علىٰ ما لم يؤتك الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله تبارك وتعالىٰ بقسطه وعلمه وحلمه جعل الروح والفرج في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»(١).

✍ **قال رجل للحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما هو سر زهدك في الدنيا؟

قال: علمت أن رزقي لن يأخذه غيره فاطمأنت نفسي».

وكان الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

✍ **قال الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأت في تسعين موضعًا في القرآن أن الله قدر الأرزاق وضمنها لخلقه وقرأت في موضع واحد ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فشككنا في قول الصادق في تسعين موضعًا، وصدقنا الكاذب في موضع واحد»(٣).

✍ **وقال محمد بن أبي عمران**: حدثنا حاتم الأصم، وكان من جلة أصحاب شقيق البلخي، وسئل: علام بنيت أمرك؟ قال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا

---

(١) كتاب اليقين لأبي أبي الدنيا (٦/٥٥٥).

(٢) كتاب اليقين لأبي أبي الدنيا (٦/٥٥٥).

(٣) قمع الحرص بالزهد والقناعة للقرطبي (١/٦٠) الأثر (١٢٠).

مشغول به. وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت، فأنا مستحي منه(١).

❁ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتىٰ تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم**»(٢).

فأيقن بأن الرزق ليس سببه وفور العقل وشدة الذكاء فهي لا تقتضي كثرة الرزق(٣):

✍ **قال القائل:**

لـو أن الأرزاق تـأتىٰ علـىٰ الحجـىٰ ∴ لهلكـن إذا مـن جهلهـن البهـائم
كـم عـاجز في النـاس يـأتي رزقـه ∴ رغـدا ويحـرم كـيس ويخيـب

قوة البدن ليست سببا لكثرة الرزق:

✍ **لذا قيل:**

يـا طالـب الـرزق الهنـىٰ بقـوة ∴ هيهـات أنـت بباطـل مشـغول
رعـت الأسـود بقـوة جيـف الفـلا ∴ ورعىٰ الذباب الشهد وهو ضعيف

---

(١) تاريخ الإسلام (٨٠٣/ ٥).

(٢) صحيح ابن ماجة (١٧٤٣) (صحيح) التعليق الرغيب ٧/ ٣، أحاديث البيوع الصحيحة ٢٦٠٧، المشكاة ٥٣٠٠.

(٣) (اليقين والتوكل) لمحمد علي محمد إمام (٢١/ ١).

✍ وقيل:

فكيف تخاف الفقر والله رازق ∴ فقد رزق الطير والحوت في البحر
ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة ∴ ما أكل العصفور شيئًا مع النسر

✍ قال علي رضي الله عنه:

فلَو كانت الدُنيا تنالُ بفطنةٍ ∴ وفضلٍ وعَقَلٍ نلت أعلىٰ المَراتب
ولَكِنما الأرزاقُ حَظٌّ وقِسمَةٌ ∴ بفضلِ مَليكٍ لا بحيلَةِ طالِب

ثالثًا: اليقين بالعوض والخلف في الصدقة

❁ وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ:٣٩].

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال شيئًا، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(١).

❁ وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة:٢٦٨].

✍ قال ابن القيم رحمه الله: «وإنما وعد الشيطان له بالفقر وأمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه فيستوجب منه الحرمان وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلا بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة فهذا وعد الله

---

(١) رواه مسلم (٤٦٨٩).

وذاك وعد الشيطان فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو أوثق وإلىٰ أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء وهو الواسع العليم»(١).

✍ **عن يزيد بن الشخير**، أن عامر بن عبد قيس كان يأخذ عطاءه، فيجعله في طرف ثوبه، فلا يلقىٰ مسكينا إلا أعطاه، فإذا دخل بيته رمىٰ به إليهم، فيعدونها، فيجدونها كما أعطيها(٢).

✍ **قال إسرائيل بن يونس**: كان أبو ميسرة إذا أخذ عطاءه، تصدق منه، فإذا جاء أهله فعدوه، وجدوه سواء، فقال لبني أخيه: «ألا تفعلون مثل هذا؟ فقالوا: لو علمنا أنه لا ينقص، لفعلنا. قال: إني لست أشترط علىٰ ربي»(٣).

✍ **وقال ابن وهب**: كان حيوة يأخذ عطاء في السنة ستين دينارا، فلم يطلع إلىٰ منزله حتىٰ يتصدق بها ثم يجيء إلىٰ منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له فأخذ عطاءه فتصدق به كله، وجاء إلىٰ تحت فراشه، فلم يجد شيئًا، قال: فشكا إلىٰ حيوة، فقال: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيته تجربة(٤).

❁ وعن أنس بن مالك قال: أتىٰ رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فمره يعطيني أقيم بها حائطي، فقال رسول

---

(١) طريق الهجرتين (٥٥٥/ ١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥١٨/ ٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٧٠/ ٥).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤/ ٤) تذكرة الحفاظ (١٨٥/ ١).

الله ﷺ: «**أعطه إياها بنخلة في الجنة**»، فأبىٰ فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل فأتىٰ أبو الدحداح النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ابتعت النخلة بحائطي وقد أعطيتكما فاجعلها له، فقال رسول الله ﷺ: «**كم من عذق دواح لأبي الدحداح في الجنة**» مرارًا، فأتىٰ أبو الدحداح امرأته فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح السعر»(١).

❁ وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ [الحديد:١١] قال أبو الدحداح الأنصاري وإن الله يريد منا القرض؟ فقال النبي ﷺ: «**نعم يا أبا الدحداح**»، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله ﷺ يده، قال: فإني أقرضت ربي حائطي، قال: وحائطه له ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال فجاء أبو الدحداح فنادىٰ يا أم الدحداح! قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط فإني أقرضته ربي عَزَّوَجَلَّ»(٢).

---

(١) انظر «مسند أحمد» (١٢٤٨٢)، و«صحيح ابن حبان» (٧١٥٩)، و«مستدرك الحاكم» (٢١٩٤)، وغيرهم، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان» (٧١١٥)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٩٦٤)، وصححه شيخنا مقبل في «الصحيح المسند» (٣٢)، و«الجامع الصحيح» (٥/ ٥١٩) رقم (٣٩١٨)، و «ذم المسألة» (ص: ٣٤).

(٢) الطبراني في «الكبير» (٧٦٤)، وصححه الألباني في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر (١٢٠).

✍ **قال الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «موارد الظمآن»: «فتأمل قوة اليقين فيما عند الله كيف تعمل، وتأمل موقف زوجته من عمله هذا، ولو كانت من نساء هذا الزمان، لقالت: أنت مجنون، وأقلقت راحته، وألبت عليه أولاده، وأمه وأباه، وقالت: خذوا علىٰ يديه، نسأل الله العافية»(١).

[١٨] الموفق السعيد من رزق العافية وأكثر من سؤالها:

لقد وردت الأدلة الكثيرة في الترغيب في الإكثار من سؤال الله نعمة العافية لأنها جماع الخير كله وبها يعان العبد علىٰ الطاعة ويستطيع التفرغ إن كان في عافية للعبادة والعلم ونفع المسلمين وفيها من صفاء الذهن وحضور القلب طيب النفس وقوة النشاط قال مطرف بن عبدالله: «لئن أعافىٰ فأشكر أحب إلي من أن أبتلىٰ فأصبر»(٢).

فهي نعمة عظيمة لمن وفق لاستغلالها وللانتفاع بها والمغبون من استغلها في الضياع واللعب فهو المحروم حقًّا والمغبون صدقًا روىٰ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٣).

واغتنامها فإن الحياة فرص أو غصص وأغتنم صحتك قبل سقمك كما جاء عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك،**

---

(١) موارد الظمآن في زوائد ابن حبان (٦٨/ ٣).

(٢) الزهد لوكيع (٢٠١)، وعدة الصابرين لابن القيم (٣٩١/ ١).

(٣) رواه البخاري (٥٩٣٣)، والترمذي (٢٢٢٦).

وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(١).

❁ **وكتب أبو الدرداء إلىٰ سلمان:** أما بعد يا أخي، فاغتنم صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل أن ينزل من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده، ويا أخي اغتنم دعوة المؤمن المبتلىٰ، ويا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المسجد بيت كل تقي**»(٢).

حث النبي ﷺ على سؤال العافية والإكثار منها

❁ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة**»(٣).

❁ وله شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعًا بلفظ: «**ما سأل العباد شيئًا أفضل من أن يغفر لهم ويعافيهم**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي مرسلًا (٢٣٣٢)، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس، وأخرجه أحمد في الزهد قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٠٧٧ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه القضاعي أيضًا (٨/ ٢ - النسخة المغربية)، وابن عساكر (١٣/ ٣٧٨/ ١)، وللحديث طريق يتقوىٰ بها ويرتقي إلىٰ درجة الحسن إن شاء الله تعالىٰ.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١٣٠: أخرجه ابن ماجة (٢/ ٤٣٥)، وقال البوصيري في «الزوائد» (٢٣٢/ ٢): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٥٥) عن معاذ أورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٧٥)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٤٧)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٥٧٠٣ في صحيح الجامع.

(٤) رواه البزار قال الشيخ الألباني ورجاله رجال «الصحيح». [انظر السلسلة الصحيحة ١١٣٨].

✍ **قال الحافظ ابن حجر** في شرحه علىٰ حديث ابن عباس المتقدم ذكر كلام ابن بطال، قال ابن بطال معنىٰ الحديث أن المرء لا يكون فارغا حتىٰ يكون مكفيا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص علىٰ أن لا يغبن بأن يترك شكر الله علىٰ ما أنعم به عليه ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه فمن فرط في ذلك فهو المغبون وأشار بقوله كثير من الناس إلىٰ أن الذي يوفق لذلك قليل.

✍ **وقال ابن الجوزي**: «قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون»(١).

❁ وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: حين قبض النبي ﷺ يقول قام رسول الله ﷺ في مقامي هذا عام الأول ثم بكىٰ أبو بكر ثم قال: «**عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلوا الله المعافاة، فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرًا من المعافاة، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**»(٢).

---

(١) فتح الباري (٢٣٠/ ١١).

(٢) صحيح ابن ماجة (٣١٠٤)، وانظر: تخريج الروض النضير ٩١٧، تخريج المختارة ٦٢ – ٦٤.

❁ عن أنس أن النبي ﷺ مر بقوم مبتلين، فقال: «**أما كان هؤلاء يسألون العافية؟!**»(١).

❁ عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلًا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟**». قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا! فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله! لا تطيقه، أو لا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟**». قال: فدعا الله له، فشفاه(٢).

❁ وفي زيادة الترمذي «**أما كنت تسأل ربك العافية**»(٣).

❁ عن العباس بن عبد المطلب قال قلت: يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله عَزَّوَجَلَّ قال: «**سل الله العافية**» فمكثت أياما ثم جئت فقلت يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله فقال لي «**يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة**»(٤).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٢٣١: أخرجه البزار في «مسنده» (٣١٣٤ - كشف الأستار) فالإسناد صحيح. وقال الهيثمي (١٠/ ١٤٧): «ورجاله ثقات».

(٢) «صحيح مسلم» (٨/ ٦٧).

(٣) جامع الترمذي (٣٤٨٥) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٦)، والترمذي (٢/ ٢٦٦)، وأحمد (١/ ٢٠٩).

❁ ولفظ الطبراني: «**يا عم! أكثر الدعاء بالعافية**»(١).

❁ عن عبد الله بن أبي أوفىٰ: أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتىٰ مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: «**يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» ثم قال: «**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب واهزمهم وانصرنا عليهم**»(٢).

❁ عن الحسن بن علي قال علمني جدي رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «**اللهم عافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، واهدني فيمن هديت، وقني شر ما قضيت، وبارك لي فيما أعطيت، إنك تقضي ولا يُقضىٰ عليك، إنه لا يذل من واليت، سبحانك ربنا تباركت وتعاليت**»(٣).

❁ وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي قال: «**قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، ويجمع أصابعه إلا الإبهام، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**»(٤).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢٨: أخرجه الطبراني (رقم ١١٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٢٩)، والضياء في «المختارة» (٦٦/ ٨٦/ ١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٤٤)، وأخرجه مسلم (٣٢٧٦).

(٣) قال العلامة الألباني: (صحيح) الإرواء ٤٢٩: المشكاة ١٢٧٣: التعليق علىٰ ابن خزيمة ١٠٩٥: صحيح أبي داود ١٢٨١صحيح ابن ماجة (٩٦٧) صحيح سنن النسائي (١٧٤٥).

(٤) رواه مسلم (٤٨٦٥).

❁ وعن علي رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يدعو: «**اللهم أمتعني بسمعي وبصري حتىٰ تجعلهما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي، وانصرني ممن ظلمني حتىٰ تريني فيه ثأري، اللهم إني أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وخليت وجهي إليك، لا ملجأ ولا منجىٰ منك إلا إليك، آمنت برسولك الذي أرسلت، وبكتابك الذي أنزلت**»(١).

فأمر النبي ﷺ وحثه من قوله ودلالته علىٰ سؤالها لمن سأله ووصيته لأصحابه وتعليمه لهم بالدعاء بها دليل علىٰ أن من ظفر بها فقد ظفر بأعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

❁ فعن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه مرفوعًا: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىٰ في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم(١/ ٣٥٨٠) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ١٢٦٩ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٤٠٨: روي من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري وأبي الدرداء وابن عمر وعلي.١ - أما حديث الأنصاري فيرويه ابنه سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه مرفوعًا. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، و«التاريخ» (٣/ ١/ ٣٧٣)، والترمذي (٢٣٤٧)، وابن ماجة (٢/ ٥٢٥)، والحميدي في «مسنده» رقم (٤٣٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (١٦٦)، وابن أبي الدنيا في «القناعة» (٢/ ٤/ ٢)، والخطيب في «التاريخ» (٣/ ٣٦٤)، والبيهقي في «الزهد» (١٤/ ١)، والقضاعي في «مسنده» (٤٥/ ٢) كلهم عنه به.

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت الصحة من أجل نعم الله علىٰ عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه، بل العافية أجل النعم علىٰ الإطلاق، فحقيق لمن رُزق حظًّا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية، فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن الجَوزِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسَّعِيدُ مَن ذَلَّ لله وسَأَلَ العَافيَةَ فإِنه لَا يُوهب العَافيةَ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ؛ إِذْ لَا بدَّ مِن بلَاءٍ»(٢).

مواضع يستحب فيها الدعاء بالعافية وينبغي للمؤمن أن يستغلها ويغتنمها

أولًا: عند زيارة القبور

❁ عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلىٰ المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»(٣).

ثانيًا: أذكار الصباح والمساء

❁ ابن عمر يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر**

---

(١) الطب النبوي (١٦٧/ ١).

(٢) صَيْدُ الخَاطِر (١٢٣).

(٣) رواه مسلم (١٨١٦)، صحيح ابن ماجة (١٢٥٧)، الإحكام ١٨٩ - ١٩٠: الإرواء ٣/٢٣٥.

عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي»(١).

ثالثًا: عند زيارة المريض

❁ عن أبي هريرة قال: جاءت الحمىٰ إلىٰ النبي ﷺ فقالت: ابعثني إلىٰ آثر أهلك عندك فبعثها إلىٰ الأنصار فبقيت عليهم ستة أيام ولياليهن فاشتد ذلك عليهم فأتاهم في ديارهم فشكوا ذلك إليه فجعل النبي ﷺ يدخل دارًا دارًا وبيتًا بيتًا يدعو لهم بالعافية فلما رجع تبعته امرأة منهم فقالت: والذي بعثك بالحق إني لمن الأنصار وإن أبي لمن الأنصار فادع الله لي كما دعوت للأنصار قال: «**ما شئت إن شئت دعوت الله أن يعافيك وإن شئت صبرت ولك الجنة**» قالت بل أصبر ولا أجعل الجنة خطرًا»(٢).

رابعًا: في دعاء الاستفتاح في الصلاة

✍ قال عائشة رضي الله عنها: «ماذا كان النبي ﷺ يفتتح به قيام الليل قالت لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان يكبر عشرًا ويحمد عشرًا ويسبح عشرًا ويستغفر عشرًا ويقول: «**اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة**»(٣).

---

(١) صحيح ابن ماجة (٣١٢١) قال الشيخ الألباني: (صحيح). تخريج الكلم الطيب رقم ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد قال الألباني: (صحيح) سند الحديث: ٥٠٢.

(٣) صحيح ابن ماجة (١١١٥)، قال الشيخ الألباني: (حسن صحيح) صحيح أبي داود ٧٤٢.

❁ وعن عبد الله بن أبي أوفىٰ قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئًا فعلمني ما يجزئني منه قال: «**قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله**» قال يا رسول الله هذا لله عَزَّوَجَلَّ فما لي قال: «**قل اللهم ارحمني وارزقني وعافني واهدني**» فلما قام قال هكذا بيده فقال رسول الله ﷺ «**أما هذا فقد ملأ يده من الخير**»(١).

خامسًا: بين السجدتين

❁ عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**»(٢).

فائدة: العافية نعمة من الله تعالى يعطيها من يشاء

✍ **قال العلامة ابن الجزري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أعطي العافية فاز بما يرجوه ويحبه قلبه قالبًا ودينًا ودنيا ووقىٰ بما يخافه في الدين.

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما يسأل ربه العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والغفلة والإعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه فهذا حقيقة العافية ولهذا ما سئل الرب شيئًا أحب إليه من العافية لأنها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه»(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٨٣١) قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) رواه أبو داود والترمذي قال الشيخ الألباني: (صحيح) مشكاة المصابيح (٩٠٠ - [١٤]).

(٣) شفاء العليل (١/ ١١١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت الصحة من أجل نعم الله علىٰ عبده وأجزل عطاياه وأوفر منحه بل العافية المطلقة أجل النعم علىٰ الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها»(١).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلمت أن الله تعالىٰ لم يطلع علىٰ شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ [فصلت:٣٥].

فائدة: حقيقة العافية

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن فاته القرب من مولاه فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم كل العافية في الذكر والطاعة وكل البلاء في الغفلة والمخالفة»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم وقال بعض أهل العلم في الأثر المروىٰ إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية فإن أهل البلاء المبتلون بمعاصي الله والأعراض والغفلة عنه وهذا وإن كان أعظم البلاء فاللفظ يتناول انواع المبتلين في أبدانهم وأديانهم والله أعلم»(٣).

---

(١) زاد المعاد (١٩٦/ ٤).

(٢) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (٥٤/ ١).

(٣) عدة الصابرين (٥٨/ ١).

✍ **عن يحيىٰ أبي كثير قال:** «أن سليمان، قال لابنه: يا بني لا تعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا، يا بني لا غنىٰ أفضل من صحة جسم، ولا نعيم أفضل من قرة عين»(١).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان شيخ يدور في المجالس ويقول: من سره أن تدوم له العافية، فليتق الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

✍ **قال الشاعر يحيىٰ الضامري**(٣):

ما زل من طلب السلامة إنها ∴ للمرء حصن في الصروف العاتيه
أسلم إلىٰ مولاك نفسك واجتهد ∴ واجعل لعيشك طيب نفس راضيه
أبعد فؤادك عن مشين فعاله ∴ واثبت كما أصل الجبال الراسيه
لم يعط إنسان ولا ذو همة ∴ بعد اليقين بمثل نيل العافية

[١٩] المؤمن الموفق السعيد من رزق الفراسة والفهم

ولقد عبَّر اللهُ عن هذه النعمة لهذا الموفق بأنه قد أعطي حظًّا كبيرًا من الخير.

❁ قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩].

---

(١) حلية الأولياء (٧٢/ ٣).
(٢) صيد الخاطر (٣١/ ١).
(٣) هو شاعر يمني وخطيب وأديب يقطن مدينة حريب بمحافظة مأرب.

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما أمر تعالىٰ بهذه الأوامر العظيمة المشتملة علىٰ الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن من عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف علىٰ الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك»(١).

❁ وعن أنس بن مالك مرفوعًا: «**إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم**»(٢).

❁ **وفي قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾ [الحجر:٧٥].

✍ **قال المفسر السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: المتأملين المتفكرين، الذين لهم فكر وروية وفراسة، يفهمون بها ما أريد بذلك، من أن من تجرأ علىٰ معاصي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١١٥/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢٦٧: رواه أبو الشيخ في «عواليه» (٢/ ٣٢/ ١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٨٦)، والقضاعي (٨٤/ ٢)، والواحدي في «التفسير» عن أبي بشر المزلق عن ثابت البناني. قلت: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات غير أبي بشر هذا واسمه بكر بن الحكم التميمي، وثقه أبو عبيدة الحداد وأبو سلمة التبوذكي وسعيد بن محمد الحربي وابن حبان.

الله، خصوصا هذه الفاحشة العظيمة، وأن الله سيعاقبهم بأشنع العقوبات، كما تجرأوا علىٰ أشنع السيئات»(١).

✍ **وقال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال: المتفرسين.

وعن ابن عباس، والضحاك: للناظرين. وقال قتادة: للمعتبرين. وقال مالك عن بعض أهل المدينة: ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ للمتأملين.

❁ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله**». ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

رواه الترمذي، وابن جرير، من حديث عمرو بن قيس الملائي(٢)، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

❁ وقال ابن جرير أيضًا: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإن المؤمن ينظر بنور الله**»(٣).

❁ وقال ابن جرير: عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**احذروا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله**»(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٣٢/ ١).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣١٢٧)، وتفسير الطبري (١٤/ ٣١).

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٢)، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٤) من طريق فرات بن السائب به، وقال: «غريب من حديث ميمون لم نكتبه إلا من هذا الوجه». والفرات متروك.

(٤) تفسير الطبري (١٤/ ٣٢)، ورواه أبو نعيم في الحلية، قال الألباني في « السلسلة الضعيفة و الموضوعة » ٤ / ٢٩٩ :(ضعيف).

وقد ذكر الله ما يصيب المخذولين من عباده العصاة لأمره والمخالفين لشرعه من عمىٰ القلوب والبصائر عن رؤية الحق وإتباعه والضلال عن الاهتداء به وهو في غاية الوضوح والبيان ولكن لا يشاهده قلبه بل لربما رآه أنه يشهد لباطله ويستدل بمتشابه ويستشهد بآياته علىٰ شبهه وانحرافه، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فصلت:٤٤] وأما الذين آمنوا فقال في حقهم ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ﴾ [فصلت:٤٤].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج:٤٦].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس الأعمىٰ البصر، وإنما العمىٰ عمىٰ البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلىٰ العبر، ولا تدري ما الخبر. وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنىٰ -وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة الأندلسي الشنتريني، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة:

يا من يصيخ إلىٰ داعي الشقاء، وقد ∴ نادىٰ به الناعيان: الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرىٰ، ففيم ∴ في رأسك الواعيان: السمع
ليس الأصم ولا الأعمىٰ سوىٰ ∴ لم يهده الهاديان: العين والأثر
لا الدهر يبقىٰ ولا الدنيا، ولا الفلك الـ ∴ أعلىٰ ولا النيران: الشمس والقمر

ليـــرحلن عـــن الـــدنيا، وإن كرهـــا ∴ فراقها الثاويان: البدو والحضر»[١]

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هذا العمىٰ الضار في الدين، عمىٰ القلب عن الحق، حتىٰ لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمىٰ المرئيات، وأما عمىٰ البصر، فغايته بلغة، ومنفعة دنيوية»[٢].

وصحة الفهم نعمة من الله للموفقين من عباده

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها علىٰ عبده بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والهدىٰ والضلال والغي والرشاد ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوىٰ الرب في السر والعلانية ويقطع مادته اتباع الهوىٰ وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوىٰ»[٣].

فالمؤمن صاحب العلم ذا بصيرة نافذة وفهم ثاقب ونور في قلبه يحصل بها الفضائل ويتقي بها المكاره.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٣٩/ ٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥٤٠/ ١).

(٣) إعلام الموقعين (٨٧/ ١).

❁ عن أبي حميد أو أبي أسيد مرفوعًا: «**إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه**»(١).

❁ عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»(٢).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإنسان الموفق هو الذي لا يكون بليدا كالحجر بل يكون ذكيا كالزجاجة فإنها صلبة ولكن يرىٰ ما وراءها من صفاء فيكون عنده قوة وصلابة لكن عنده يقظة بحيث يعرف وكأنما يرىٰ بالغيب ما ينفعه مما يضره فيحرص علىٰ ما ينفعه ويتجنب ما يضره نسأل الله

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٣٦٩: رواه ابن سعد (١/ ٣٨٧ - ٣٨٨)رواه ابن وهب في «المسند» (٨/ ١٦٤/ ٢)، وابن حبان (٩٢)، والبزار كما في «الأحكام الكبرىٰ» رقم (١٠١). وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ٤٣٤): هذا سند حسن، وهو علىٰ شرط مسلم، وانظر حديث رقم: ٦١٢ في صحيح الجامع.

فائدة: وقال العلامة الألباني: وبينت في تعليقي عليه وجه كونه حسنًا ومن صححه، وأن الحديث خاص بطبقة معينة من أهل العلم.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١٦٩: أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٠/ ٤٣٦)، وفي «الأدب المفرد» (ص ١٨٥)، ومسلم (٨/ ٢٢٧)، وأبو داود (٢/ ٢٩٧)، والدارمي (٢/ ٣١٩ و٣٢٠)، وابن ماجة (٢/ ٤٧٦)، وأحمد (٢/ ٣٧٩).

لنا وللمسلمين التوفيق»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نور الحكمة وهو النور الذي نور الله به قلوب أتباع الرسل وهو نور الحكمة ونور الحكمة ههنا هو العلم الذي يميز به العبد بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال والضار والنافع والكامل والناقص والخير والشر ويبصر به مراتب الأعمال راجحها ومرجوحها ومقبولها ومردودها»(٢).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه البصيرة وهبية وكسبية فمن أدار النظر في أعلام الحق وأدلته وتجرد لله من هواه: استنارت بصيرته ورزق فرقانا يفرق به بين الحق والباطل»(٣).

✍ **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة؟»(٤).

✍ **قال شيخ الاسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال حذيفة بن اليمان: إن في قلب المؤمن سراجًا يزهر. وفي الحديث الصحيح: «**إن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ**» فدل علىٰ أن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره؛ ولا سيما في الفتن وينكشف له حال الكذاب الوضاع علىٰ الله

---

(١) شرح رياض الصالحين (١٩/ ٤).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٧١).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٦).
(٤) الفرقان لابن تيمية (١/ ٤٧).

ورسوله؛ فإن الدجال أكذب خلق الله مع أن الله يجري علىٰ يديه أمورا هائلة ومخاريق مزلزلة حتىٰ إن من رآه افتتن به فيكشفها الله للمؤمن حتىٰ يعتقد كذبها وبطلانها. وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له؛ وعرف حقائقها من بواطلها وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم؛ ولهذا قال بعض السلف في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥].

قال: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق وإن لم يسمع فيها بالأثر فإذا سمع فيها بالأثر كان نورًا علىٰ نور. فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن؛ فالإلهام القلبي تارة يكون من جنس القول والعلم؛ والظن أن هذا القول كذب. وأن هذا العمل باطل؛ وهذا أرجح من هذا؛ أو هذا أصوب. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر**».

والمحدَّثُ: هو الملهم المخاطب في سره. وما قال عمر لشيء: إني لأظنه كذا وكذا إلا كان كما ظن وكانوا يرون أن السكينة تنطق علىٰ قلبه ولسانه. وأيضًا فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن لقوة إيمانه يقينًا وظنًّا؛ فالأمور الدينية كشفها له أيسر بطريق الأولىٰ؛ فإنه إلىٰ كشفها أحوج فالمؤمن تقع في قلبه أدلة علىٰ الأشياء لا يمكنه التعبير عنها في الغالب فإن كل أحد لا يمكنه إبانة المعاني القائمة بقلبه فإذا تكلم الكاذب بين يدي الصادق عرف كذبه من فحوىٰ كلامه فتدخل عليه نخوة الحياء الإيماني فتمنعه البيان ولكن هو في نفسه قد أخذ حذره منه وربما لوح أو صرح به

خوفا من الله وشفقة علىٰ خلق الله ليحذروا من روايته أو العمل به. وكثير من أهل الإيمان والكشف يلقي الله في قلبه أن هذا الطعام حرام؛ وأن هذا الرجل كافر؛ أو فاسق؛ أو ديوث؛ أو لوطي؛ أو خمار؛ أو مغن؛ أو كاذب؛ من غير دليل ظاهر بل بما يلقي الله في قلبه. وكذلك بالعكس يلقي في قلبه محبة لشخص وأنه من أولياء الله؛ وأن هذا الرجل صالح؛ وهذا الطعام حلال وهذا القول صدق؛ فهذا وأمثاله لا يجوز أن يستبعد في حق أولياء الله المؤمنين المتقين. وقصة الخضر مع موسىٰ هي من هذا الباب وأن الخضر علم هذه الأحوال المعينة بما أطلعه الله عليه. وهذا باب واسع يطول بسطه قد نبهنا فيه علىٰ نكت شريفة تطلعك علىٰ ما وراءها»[١].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤٦-٤٧-٤٨/ ٢٠).

أسباب تورث الفراسة والفهم والحكمة

أولا: التقوى وترك الذنوب والإيمان واتباع السنة

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتقوىٰ سبب لزيادة الفهم، ويدخل في ذلك أيضًا الفراسة، إن الله يعطي المتقي فراسة يميز بها حتىٰ بين الناس، فبمجرد ما يري الإنسان يعرف انه كاذب أو صادق، أو انه بر أو فاجر، حتىٰ انه ربما يحكم علي الشخص وهو لم يعاشره ولم يعرف عنه شيئًا، بسبب ما أعطاه الله من الفراسة»(١).

✍ **قال أبو شجاع الكرماني**: «من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة»(٢).

ومن عقوبة الذنوب «أنها تعمي بصيرة القلب وتطمس نوره، وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية»(٣).

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٥١٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٤٨)، وروضة المحبين (٢٠٠). وفي إغاثة اللهفان (١٠٥): «أبو شجاع» وفي المدارج (٢/ ٤٨٤)، والروح (٥٣٥): «شاه الكرماني»، وهذا الأخير هو الصواب. فهو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني. كان من أولاد الملوك وعلماء الصوفية. مات قبل الثلاثمائة. طبقات الصوفية (١٩٢).

(٣) الجواب الكافي (١/ ١٨٧).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمعلوم أن المعاصي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه. بل قد تتوارد علىٰ القلب حتىٰ ينعكس إدراكه، كما ينعكس سيره، فيدرك الباطل حقًّا، والحق باطلا، والمعروف منكرا، والمنكر معروفا. فينتكس في سيره، ويرجع عن سفره إلىٰ الله والدار الآخرة، إلىٰ سفره إلىٰ مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا، واطمأنت بها، وغفلت عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقائه»(١).

✍ **وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان القلب معمورًا بالتقوىٰ انجلت له الأمور وانكشفت؛ بخلاف القلب الخراب المظلم»(٢).

ثانيًا: غض البصر

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ثمرة غض البصر: أنه يورثه فراسة صادقة يميز بها بين المحق والمبطل والصادق والكاذب والله سبحانه يجزي العبد علىٰ عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضًا عن حبسه بصره لله، ويفتح عليه باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال»(٣).

---

(١) الجواب الكافي (٢٢٣/ ١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤٦/ ٢٠).

(٣) الجواب الكافي (٤١٧/ ١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الفائدة في غض البصر فهو: أنه يورث نور القلب والفراسة قال تعالىٰ عن قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر:٧٢]، فالتعلق في الصور يوجب فساد العقل وعمىٰ البصيرة وسكر القلب بل جنونه»(١).

ثالثًا: صحة المعتقد وسلامة المنهج واتباع طريقة السلف في القول والعمل

لذلك يتكلم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحوال كثير من العلماء من أهل الكلام والمنطق والعقل الذين تركوا النقل وحكموا العقل في معرفة الحق وتركوا الدليل فضلوا السبيل مع ما كان معهم من ذكاء خارق وعقل وافر لكن العقل والذكاء وحدهما ليست هما الألة الكافية لمعرفة الحق والهداية إليه بل هما مساعدان فالعقل وحده عاجز ضعيف من أن يهدي أو يرشد صاحبه أو يفرق بين الحق والباطل دون الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة وفهمها علىٰ طريقة السلف الصالح من غير تشدد ولا تمييع ولا إفراط ولا تفريط.

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبكل حال فالعبد مفتقر إلىٰ الله في أن يهديه ويلهمه رشده وإذا حصل له علم بدليل عقلي فهو مفتقر إلىٰ الله في أن يحدث في قلبه تصور مقدمات ذلك الدليل ويجمعها في قلبه ثم يحدث العلم الذي حصل بها.

وقد يكون الرجل من أذكياء الناس وأحدهم نظرا ويعميه عن أظهر الأشياء وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرا ويهديه لما اختلف فيه من

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٥٦/ ٢١).

الحق بإذنه فلا حول ولا قوة إلا به فمن اتكل علىٰ نظره واستدلاله أو عقله ومعرفته خذل»(١).

[٢٠] الموفق السعيد هو المؤمن القوي

❁ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**»(٢).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الله تعالىٰ يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلىٰ الكسل والبطالة المخلة بالقوىٰ المضعفة للنفس»(٣).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعني قوة الإيمان، لأن كلمة القوىٰ تعود إلىٰ الوصف السابق وهو الإيمان، كما تقول: الرجل القوي، أي في رجولته، كذلك المؤمن القوي يعني في إيمانه؛ لأن المؤمن القوي في إيمانه تحمله قوة إيمانه علىٰ أن يقوم بما أوجب الله عليه، وعلىٰ أن يزيد من النوافل ما شاء الله، والضعيف الإيمان يكون إيمانه ضعيفًا لا يحمله علىٰ فعل الواجبات، وترك المحرمات فيقصر كثيرًا»(٤).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٤/ ٩).

(٢) رواه مسلم (٤٨١٦).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» ٧١٢/ ١().

(٤) شرح رياض الصالحين (٧٧/ ٢).

✍ **قال العلامة النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا علىٰ العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر علىٰ الأذىٰ في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالىٰ وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالقلب محتاج إلىٰ ما يحفظ عليه قوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلىٰ حمية عن المؤذي الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات، وإلىٰ استفراغه من كل مادة فاسدة تعرض له، وذلك بالتوبة النصوح، واستغفار غافر الخطيئات»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب. كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته. فكماله باستعمال قوة العلم في إدراك الحق، ومعرفته، والتمييز بينه وبين الباطل، وباستعمال قوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره علىٰ الباطل. فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه. ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه»(٣).

---

(١) شرح «صحيح مسلم» للنووي (١٦/٢١٥).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٧).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٢٤).

✍ **قال شميط بن عجلان** «إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل قوة المؤمن في قلبه، ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك؟»(١).

للمؤمن قوتان في منها قوتين في نفسه أو طبعه أو قلبه وكلها مطلوب منه تحصيلها:

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للإنسان قوتان: قوة علمية نظرية، وقوة عملية ادارية. وسعادته التامة موقوفة علىٰ استكمال قوتيه العلمية والادارية. واستكمال القوة العلمية انما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها.

فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية. وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها. واستكمال القوة العملية الادارية لا يحصل إلا بمراعات حقوقه سبحانه علىٰ العبد، والقيام بها اخلاصا وصدقًا ونصحًا وإحسانًا ومتابعة وشهودًا لمنته عليه، وتقصيره هو في أداء حقه. فهو مستحيىٰ من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ودون ذلك وأنه لا سبيل له إلىٰ استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته. فهو يهديه إلىٰ الصراط المستقيم الذي هجىٰ إليه أولياءه وخاصت، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط،، اما بفساد في قوته العلمية فيقع في الضلال، واما بفساد في قوته

---

(١) حلية الأولياء (١٣٠/ ٣).

العملية فيوجب له الغضب فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان في القلب قوتان: قوة العلم والتمييز، وقوة الإرادة والحب. كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه، ويعود عليه بصلاحه وسعادته»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان الإنسان له قوتان قوة العلم وقوة العمل وله حالتان حالة يأتمر فيها بأمر غيره وحالة يأمر فيها غيره استثنىٰ سبحانه من كمل قوته العلمية بالإيمان وقوته العملية بالعمل الصالح وإنقاد لأمر غيره له بذلك وأمر غيره به من الإنسان الذي هو في خسر فإن العبد له حالتان حالة كمال في نفسه وحالة تكميل لغيره وكماله وتكميله موقوف علىٰ أمرين: علم بالحق وصبر عليه فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني من العلم النافع والعمل الصالح والاحسان إلىٰ نفسه بذلك وإلىٰ أخيه به وانقياده وقبوله لمن يأمره بذلك»(٣).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للقلب قوتان: قوة الطلب، وهي الرغبة، وقوة الهرب، وهي الرهبة، وكان العبد طالبا لمصالحه، هاربا من مضاره»(٤).

---

(١) الفوائد (١٩/ ١).

(٢) إغاثة اللهفان (٢٤/ ١).

(٣) التبيان (٥٧/ ١).

(٤) الطب النبوي (١٨٣/ ١).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كانت النفس لها قوتان: قوة الطلب وقوة الامساك، كان الأواب مستعملًا لقوة الطلب في رجوعه إلىٰ الله ومرضاته وطاعته. والحفيظ مستعملًا لقوة الحفظ في الامساك عن معاصيه ونواهيه»(١).

والموفق من وفق لهاتين القوتين في العلم والعمل وكان ظافرا بسبب من أعظم أسباب التوفيق والسعادة في الدارين:

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في تقسيم الناس من حيث القوة العلمية والعملية فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفا في القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرىٰ المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم يحضر العمل فإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم وهذا هو الغال علىٰ أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمة الله ولا قوة إلا بالله.

ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضىٰ هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والجد والتشمير في العمل، ويكون أعمىٰ البصر عند ورود الشبهات في العقائد والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات، فداء هذا من جهله وداء الأول من فساد

---

(١) الفوائد (١٣/ ١).

إرادته وضعف عقله، وهذا حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين علىٰ غير طريق العلم، بل علىٰ طريق الذوق والوجد والعادة، يرىٰ أحدهم أعمىٰ عن مطلوبه لا يدرىٰ من يعبد ولا بماذا يعبده، فتارة يعبده بذوقه ووجده، وتارة يعبده بعادة قومه وأصحابه من لبس معين أو كشف رأس أو حلق لحية ونحوها، وتارة يعبده بالأوضاع التي وضعها بعض المتحذلقين وليس له أصل في الدين، وتارة يعبده بما تحبه نفسه وتهواه كائنا ما كان.

وهنا طرق ومتاهات لا يحصيها إلا رب العباد، فهؤلاء كلهم عمىٰ عن ربهم وعن شريعته ودينه لا يعرفون شريعته ودينه الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد دينا سواه، كما أنهم لا يعرفون صفات ربهم التي تعرف بها إلىٰ عباده علىٰ ألسنة رسله ودعاهم إلىٰ معرفته ومحبته من طريقها، فلا معرفة له بالرب ولا عبادة له.

ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سيره إلىٰ الله تعالىٰ ورجىٰ له النفوذ وقوىٰ علىٰ رد القواطع والموانع بحول الله وقوته، فإن القواطع كثيرة شأنها شديد لا يخلص من حبائلها إلا الواحد بعد الواحد، ولولا القواطع والآفات لكانت الطريق معمورة بالسالكين، ولو شاء الله لأزالها وذهب بها، ولكن الله يفعل ما يريد»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في القلب قوتان:

الأولىٰ: قوة الحب والبغض.

الثانية: وقوة الإدراك، وشجاعة القلب.

---

(١) طريق الهجرتين (١٨٥/ ١).

فإن التخلف عن إيثار ما يحبه وبهواه والعمل بخلافه يكون إما لضعف الإدراك بحيث إنه لم يدرك مراتب المحبوب والمكروه علىٰ ما هي عليه، وإما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطاوعه لإيثار الأصلح له، مع علمه بأنه الأصلح. فإذا صح إدراكه، وقويت نفسه، وتشجع القلب علىٰ إيثار المحبوب الأعلىٰ والمكروه الأدنىٰ، فقد وفق لأسباب السعادة.

فمن الناس من يكون سلطان شهوته أقوىٰ من سلطان عقله وإيمانه، فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أقوىٰ من سلطان شهوته.

وإذا كان كثير من المرضىٰ يحميه الطبيب عما يضره، فتأبىٰ عليه نفسه وشهوته إلا تناوله، ويقدم شهوته علىٰ عقله، وتسميه الأطباء «عديم المروءة»؛ فهكذا أكثر مرضىٰ القلوب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له.

فأصل الشر من ضعف الإدراك، وضعف النفس ودناءتها. وأصل الخير من كمال الإدراك، وقوة النفس وشرفها وشجاعتها.

فالحب والإرادة أصل كل فعل ومبدؤه، والبغض والكراهة أصل كل ترك ومبدؤه. وهاتان القوتان في القلب أصل سعادة العبد وشقاوته»[(١)].

---

(١) الداء والدواء (٤٣٨/ ١).

القسم الثالث

أعمال الموفقين

القسم الثالث

أعمال الموفقين

في هذا الباب نتطرق إلىٰ أعمال الموفقين التي وصفوا بها ولحرصهم عليها وعملهم لها ابتغاء رضا ربهم وطلبا لثوابه ونعيم جنته فالذي وفقهم لهذه الأعمال هو الذي أحل لهم دار المقامة من فضله لذلك يقول أهل الجنة حين يروا ثواب أعمال ومنازلهم ودرجاتهم وما أعد الله لهم من النعيم ينسبوا فضل هذا لربهم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] فبتوفيقه عملوا وبهدايته أسلموا وآمنوا وأخلصوا ووحدوا وبرحمته في الجنة نزلوا فلما أحبهم اصطفاهم ووفقهم واجتباهم وهداهم وأخلصهم وخلصهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام:٥٥].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

والله تعالىٰ قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء وأولياء هؤلاء،

وأولياء هؤلاء وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلا سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما، وبينهما غاية البيان، حتىٰ شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام فالعالمون بالله وكتاب ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلىٰ مقصوده، والطريق الموصل إلىٰ الهلكة. فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة علىٰ جميع من أتىٰ بعدهم إلىٰ يوم القيامة»(١).

❁ عن أبي هريرة مرفوعًا به عن النبي ﷺ «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه**»(٢).

✍ **قال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي ومن يجتهد في تحصيل الخير يعطه الله تعالىٰ اياه ومن جد وجد»(٣).

❁ **وكذلك قول الله تبارك وتعالىٰ:** ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣].

---

(١) الفوائد (١١٤/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٦٠٥: أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٧)، وهذا إسناد حسن أو قريب من الحسن.

(٣) التيسير شرح الجامع الصغير (٣٦١/ ١).

✍ **قال العلامة القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي بينا له وعرفناه طريق الهدىٰ والضلال، والخير والشر ببعث الرسل، فآمن أو كفر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:١٠].

✍ **وقال مجاهد**: أي بينا له السبيل إلىٰ الشقاء والسعادة»(١).

❁ وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: سبيل الخير والشر(٢).

❁ وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال: الهدىٰ والضلالة(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمتى رُزق العبد انقيادًا للحق وثبات عليه فليبشر فقد بُشِّر بكل خير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٤).

أولًا: من أعمال الموفقين قبول الحق والرضا والتسليم له:

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي وصفه السرف والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/ ١٢٣).
(٢) الدر المنثور ٨/ ٥٢١- ٥٢٢.
(٣) الدر المنثور ٨/ ٥٢١- ٥٢٢.
(٤) طريق الهجرتين (١/ ٢٥٩).

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام:١١٠].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الصف:٧]»(١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الكمال الإنساني مداره علىٰ أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين»(٢).

❁ **قال تعالىٰ واصفًا عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين وهم عباده الموفقون:** ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور:٥١].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقيقة، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة، سالمة من الحرج. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ حصر الفلاح فيهم، لأن الفلاح: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المكروه، ولا يفلح إلا من حكم الله ورسوله، وأطاع الله ورسوله»(٣).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ٧٣٧/ ١().

(٢) «الداء والدواء» ٩٣/ ١().

(٣) تيسر الكريم الرحمن (٥٧٢/ ١).

ومن الخذلان وعدم التوفيق رد الحق والتكبر عليه وهذا سبب لزيغ القلب كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف:٥].

✍ **قال العلامة السعدي**: «أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عقوبة لهم علىٰ زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدىٰ، لأنهم لا يليق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر»(١).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتىٰ يعمىٰ قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف:٥] الآية»(٢).

✍ **وقال العلامة ابن رجب الحنبلي** «ومن علامات المرائين عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر علىٰ من يقول الحق، خصوصًا إن كان دونهم في أعين الناس، والإصرار علىٰ الباطل»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء:

أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب ورد ما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٥٨/ ١).

(٢) التحفة العراقية (٤٠/ ١)، مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٠).

(٣) فضل علم السلف (٨٣/ ١).

يرد عليك من الحق رأسًا ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك قال تعالىٰ نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لو لم يؤمنوا به أول مرة فعاقبهم علىٰ رد الحق اول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك

والثاني: التهاون بالأمر إذا حضر وقته فإنك إن تهاونت به ثبطك الله وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك قال تعالىٰ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة:٨٣]، فمن سلم من هاتين الآفتين والبليتين العظيمتين فليهنه السلامة»(١).

✍ **قال ابن بطة العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاعلم يا أخي أن من كره الصواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه، وينسيه ما ذكره، بل يخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه، لأن الحق من رسول الله إليك افترض عليك طاعته، فمن سمع الحق فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبرين علىٰ الله، ومن نصر الخطأ فهو من حزب الشيطان»(٢).

✍ **وقال رجل لعبد الله بن مسعود:** علمني كلمات جوامع نوافع، فقال: «لا تشرك به شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل، فاردده عليه، وإن كان قريبًا حبيبًا»(٣).

---

(١) بدائع الفوائد (٦٩٩/ ٣).

(٢) الإبانة الكبرىٰ (٥٤٧/ ٢).

(٣) شرح السنة للبغوي (٢٣٤/ ١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من أعرض عن الحق وجحده وقع في الباطل»(١).

✍ **وقال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من اتقىٰ الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه -وهو محوها- وغفرها: سترها عن الناس -سببًا لنيل ثواب الله الجزيل»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره علىٰ غيره، فإذا مات القلب، لم يبق فيه إحساس ولا تمييز بين الحق والباطل، ولا إرادة للحق وكراهة الباطل»(٣).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر سبحانه أن أهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه، وأهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق وضلوا عنه، أو علموه وخالفوه واتبعوا غيره»(٤).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمتىٰ رزق العبد انقيادًا للحق وثباتًا عليه فليبشر فقد بشر بكل خير وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٥).

✍ **وقال العلامة المعلمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكني أقول: الموفق حقًّا ومن وفق

---

(١) مدارج السالكين (١٨٣/ ١).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٣/ ٤).
(٣) شفاء العليل (٢٧٩/ ١).
(٤) إغاثة اللهفان (٢٥/ ١).
(٥) طريق الهجرتين (٢٥٩/ ١).

لمعرفة الحق وأتباعه ومحبته، والمحروم من حرم ذلك كله، فما بالك بمن وقع في التنفير من الحق وعيب أهله؟!»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا قيل من عرض عليه حق فرده فلم يقبله عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه ومن هنا قيل لا رأي لصاحب هوىٰ فإن هواه يحمله علىٰ رد الحق فيفسد الله عليه رأيه وعقله قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [النساء:١٥٥] أخبر سبحانه أن كفرهم بالحق بعد أن علموه كان سببًا لطبع الله علىٰ قلوبهم ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:١٥٥]»(٢).

ثانيًا: من أعمال الموفقين ترك رضا الناس لأجل رضا الله تعالى

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل إذا عرف هذا فلا يكون العبد متحققًا بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود، فهذا تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين أيضًا إلىٰ أربعة أقسام:

أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

---

(١) التنكيل (٢/ ٥٤٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٩).

«حقيقة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة، والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم، ورجاؤهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة، بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله علىٰ معاملتهم»(١).

وقد ذم الله المنافقين في هذا الخلق السيئ في ابتغائهم رضا الخلق وتركهم لرضا الله ورسوله.

❁ قال تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة:٦٢].

❁ وما روي عن عائشة مرفوعًا: «**من أرضىٰ الله بسخط الناس، كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضىٰ الناس، وكله الله إلىٰ الناس**»(٢).

---

(١) «مدارج السالكين» ١/ ١٠٦.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٩٢: أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب

⇦=

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضىٰ الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه من أسخطه في رضاه، حتىٰ يزينه ويزين قوله عمله في عينه**»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ المَاوردِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَدْ قَالَ عُمَر بن الخَطَّاب رضي الله عنه لِبعْضِ خُلَفائِه: «أوصِيكَ أن تخْشَىٰ الله في الناسِ ولَا تخْشَىٰ الناسَ في الله».

أيْ: ارضِ الله تعَالَىٰ ولَو سَخطُوا ولَا ترضِهم بسَخَطِ الله تعَالَىٰ وهذا هو الأصل الأصيل والركن الركين لصلاح الحكام علىٰ مدار الأزمان(٢).

✍ **قال ابن مسعود**: اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحدًا علىٰ رزق الله، ولا تلم أحدًا علىٰ ما يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره، فإن الله بقسطه وعلمه وحلمه جعل

= من المسند» (١٦٢/ ١ - ٢)، والجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (رقم ٢ - منسوختي)، وعنه ابن حبان (١٥٤١) رواه البيهقي في «الزهد» (ق ١٠٨/ ١)، وأخرجه ابن حبان (١٥٤٢)، والقضاعي (٤٢/ ٢)، ومشرق بن عبد الله في «حديثه» (٦١/ ٢)، وابن عساكر (١٥/ ٢٧٨/ ١). قلت: وهذا إسناد جيد وجملة القول أن الحديث قد صح عن عائشة مرفوعًا وموقوفًا، ولا منافاة بين الأمرين لما سبق. والله أعلم.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣٢/ ١/ ١)، ومع ذلك قال في «الترغيب» (٣/ ١٥٤): «رواه الطبراني بإسناد جيد قوي».

(٢) آدَاب الدِّين والدُّنيَا (٢٦٩).

الروح والفرج في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط(١).

✍ **وروىٰ عن يونس بن عبد الأعلىٰ عن الشافعي** رضي الله عنه أنه سمع رجلين يتعاتبان والشافعي يسمع كلامهما فقال لأحدهما إنك لا تقدر أن ترضىٰ الناس كلهم فأصلح ما بينك وبين الله ولا تبال بالناس»(٢).

✍ **وقال زيد بن أخزم**: «سمعت عبد الله بن داود يقول: من أمكن الناس من كل ما يريدون، أضروا بدينه ودنياه»(٣).

✍ **وقال إبراهيم بن أدهم** رحمه الله: «من أراد الراحة فليخرجِ الخلقَ من قلبه حتىٰ يستريح»(٤).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن الجَوزِيّ** رحمه الله: «العَاقِلُ مَن يَحْفظُ جَانب الله عز وجل وإن غَضِب الخَلْقُ وكُلُّ مَن يَحْفظُ جَانب المَخْلُوقِين ويُضَيِّعُ حَقَّ الخَالِقِ يُقَلِّب الله قَلْب الَّذِي قَصَدَ أن يُرضِيَه فيُسْخِطَه عَلَيْه»(٥).

✍ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: «فصل: السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله والسعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا [القناعة والتعفف ١٦٥/ ٥].
(٢) طبقات الشافعية للسبكي (١٨٤/ ٢).
(٣) تهذيب الكمال (٤٦٤/ ١٤).
(٤) سير السلف للأصبهاني (ص٤٧٧).
(٥) صَيْدُ الخَاطِر (١٣٩).

الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفا من الله لا منهم، كما جاء في الأثر: (ارج الله في الناس ولا ترج الناس في الله، وخف الله في الناس ولا تخف الناس في الله) أي: لا تفعل شيئًا من أنواع العبادات والقرب لأجلهم، لا رجاء مدحهم ولا خوفًا من ذمهم، بل ارج الله ولا تخفهم في الله فيما تأتىٰ وما تذر، بل افعل ما أمرت به وإن كرهوه. وفىٰ الحديث: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، أو تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله) فإن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا، لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان علىٰ ذلك، إما ميل إلىٰ ما في أيديهم من الدنيا، فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم. وإما ضعيف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك، ورزقك وكفاك مؤنتهم، فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم؛ وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلىٰ الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم علىٰ ما لم يقدر، كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، لكن من حمده الله ورسوله فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم»(١).

✍ **قال الشيخ العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو رضي الناس عنك كلهم والله لم يرض عنك فإنه لا ينفعك إلا رضا الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله إذا رضي عنك أرضي

---

(١) الجهاد في سبيل الله لابن تيمية (٢٤/ ١) مجموع الفتاوىٰ (٥١/ ١).

عنك الناس وأمال قلوبهم إليك، كما جاء في الحديث: (**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: أني أحب فلانًا فأحبه**) يعين الله الرجل له فيحبه جبريل، (**ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض**) فيكون مقبولًا لدي أهل الأرض كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم:٩٦]، لكن إذا التمس الإنسان رضا الناس بسخط الله فالأمر بالعكس، يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس.

وما أكثر الذين يطلبون رضا الناس بسخط الخالق عَزَّوَجَلَّ والعياذ بالله، هؤلاء هم في سخط الله ولو رضي عنهم الناس، فلا ينفعهم رضا الناس قال الله تعالىٰ هنا: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ [التوبة:٩٦]، حتىٰ لو رضي عنهم النبي ﷺ أشرف الخلق ما نفعهم؛ لأن الله لا يرضي عن القوم الفاسقين»(١).

✍ **قال سعيد الحداد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تحبب إلىٰ العباد بالمعاصي بغضه الله إليهم»(٢).

✍ **قال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة علىٰ ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفًا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه

---

(١) شرح رياض الصالحين (١٦٤/ ١).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣١/ ١١).

ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم»[(١)].

✍ **وقال أحمد بن حرب**: «عبدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتىٰ تركت ثلاثة أشياء: تركت رضىٰ الناس حتىٰ قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتىٰ وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتىٰ وجدت حلاوة الآخرة»[(٢)].

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال الجنيد: لا يكون العبد عبدًا حتىٰ يكون مما سوىٰ الله تعالىٰ حرًّا. وهذا مطابق لهذا الحديث فإنه لا يكون عبدًا لله خالصًا مخلصًا دينه لله كله حتىٰ لا يكون عبدًا لما سواه ولا فيه شعبة ولا أدنىٰ جزء من عبودية ما سوىٰ الله فإذا كان يرضيه ويسخطه غير الله فهو عبد لذلك الغير ففيه من الشرك بقدر محبته، وعبادته لذلك الغير زيادة. قال: الفضيل بن عياض: والله ما صدق الله في عبوديته من لأحد من المخلوقين عليه ربانية»[(٣)].

✍ **وقال يونس بن عبد الأعلىٰ**: قال لي الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الناس غاية لا تدرك، وليس لي إلىٰ السلامة من سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه»[(٤)].

✍ **وقال الربيع بن سليمان**: قال الشافعي: «يا ربيع، رضىٰ الناس غاية لا

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٨٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٩٩).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٩٨).
(٤) الحلية لأبي نعيم (٩/ ١٢٢).

تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه. فإنه لا سبيل إلىٰ رضاهم»[(١)].

✍ **وقال زيد بن أخزم**: سمعت عبد الله بن داود يقول: «من أمكن الناس من كل ما يريدون، أضروا بدينه ودنياه»[(٢)].

✍ **وقال ذو النون المصري**: «إنما دخل الفساد علىٰ الخلق من ستة أشياء

الأول: ضعف النية بعمل الآخرة،

والثاني: صارت أبدانهم مهيأة لشهواتهم

والثالث: غلبهم طول الأمل مع قصر الأجل

والرابع: آثروا رضاء المخلوقين علىٰ رضاء الله

والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ

والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم»[(٣)].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ «أن يستوي عنده المدح والذم وتدوم لائمته لنفسه ويعمىٰ عن نقصان الخلق عن درجته أعلم أنه متىٰ استقرت قدم العبد في منزلة الإخبات وتمكن فيها: ارتفعت همته وعلت نفسه عن خطفات

---

(١) الحلية لأبي نعيم (١٢٣/ ٩).

(٢) تهذيب الكمال (٤٦٤/ ١٤).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١٢٢/ ١).

المدح والذم فلا يفرح بمدح الناس ولا يحزن لذمهم وهذا وصف من خرج عن حظ نفسه وتأهل للفناء في عبودية ربه وصار قلبه مطرحا لأشعة أنوار الأسماء والصفات وباشر حلاوة الإيمان واليقين قلبه والوقوف عند مدح الناس وذمهم: علامة انقطاع القلب وخلوه من الله وأنه لم تباشره روح محبته ومعرفته ولم يذق حلاوة التعلق به والطمأنينة إليه»(١).

✍ **وقال ليونس بن عبد الأعلىٰ**: «لو جهدت كل الجهد علىٰ أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل إليه، فإذا كان كذلك فأخلص عملك ونيتك لله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلينا أن نخاف الله ونتقيه في الناس، فلا نظلمهم بقلوبنا ولا جوارحنا ونؤدي إليهم حقوقهم بقلوبنا وجوارحنا، ولا نخافهم في الله فنترك ما أمر الله به ورسوله خيفة منهم. ومن لزم هذه الطريقة كانت العاقبة له كما كتبت عائشة إلىٰ معاوية: «أما بعد: فإنه من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس وعاد حامده من الناس ذاما، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس». فالمؤمن لا تكون فكرته وقصده إلا رضا ربه واجتناب سخطه والعاقبة له ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٣).

✍ **وقال الشيخ بن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أن الإنسان سمع ما يقول الناس

---

(١) مدارج السالكين (٦/ ٢).

(٢) مناقب الشافعي (١٧٤/ ٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٣٣/ ٣).

وما يعترضون به ما مشىٰ خطوة، لكن أنت أصلح ما بينك وبين الله ولا يهمك أحد، فالكلام علىٰ إرضاء الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا التمست رضا الله بسخط الناس رضي الله عنك وأرضىٰ عنك الناس وكفاك مؤونتهم»(١).

✍ **وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاقل من يحفظ جانب الله عَزَّوَجَلَّ، وإن غضب الخلق. وكل من يحفظ جانب المخلوقين، ويضيع حق الخالق، يقلب الله قلب الذي قصد أن يرضيه، فيسخطه عليه.

✍ **قال المأمون لبعض أصحابه**: لا تعص الله بطاعتي، فيسلطني عليك»(٢).

✍ **وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أغضب أهله لله أرضاه الله وأرضاهم. فليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك»(٣).

✍ **وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس، والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة لا نسدَّ عليه أكثر أبواب الخير، وضيَّع علىٰ نفسه شيئًا عظيمًا من مهمَّات الدين، وليس هذا طريق العارفين»(٤).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: إيثار رضا الله علىٰ رضا غيره. وإن عظمت فيه المحن. وثقلت فيه المؤن، وضعف عنه الطول والبدن.

إيثار رضا الله عَزَّوَجَلَّ **علىٰ غيره**: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو

---

(١) التعليق علىٰ الاقتضاء (١٧٠/ ١).

(٢) صيد الخاطر (٢٦٧/ ١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٢٤/ ٢٥).

(٤) الأذكار للنووي (١/ ٩).

أغضب الخلق. وهي درجة الأنبياء. وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه. وأعلاها لأولي العزم منهم. وأعلاها لنبينا ﷺ عليه وعليهم. فإنه قاوم العالم كله. وتجرد للدعوة إلىٰ الله. واحتمل عداوة البعيد والقريب في الله تعالىٰ. وآثر رضا الله علىٰ رضا الخلق من كل وجه. ولم يأخذه في إيثار رضاه لومة لائم. بل كان همه وعزمه وسعيه كله مقصورا علىٰ إيثار مرضاة الله، وتبليغ رسالاته، وإعلاء كلماته، وجهاد أعدائه. حتىٰ ظهر دين الله علىٰ كل دين. وقامت حجته علىٰ العالمين. وتمت نعمته علىٰ المؤمنين. فبلغ الرسالة. وأدىٰ الأمانة. ونصح الأمة. وجاهد في الله حق جهاده. وعبد الله حتىٰ أتاه اليقين من ربه. فلم ينل أحد من درجة هذا الإيثار ما نال. صلوات الله وسلامه عليه.

وأما قوله: وإن عظمت فيه المحن. وثقلت فيه المؤن.

فإن المحنة تعظم فيه أولًا، ليتأخر من ليس من أهله. فإذا احتملها وتقدم انقلبت تلك المحن منحًا. وصارت تلك المؤن عونًا. وهذا معروف بالتجربة الخاصة والعامة. فإنه ما آثر عبد مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ مرضاة الخلق، وتحمل ثقل ذلك ومؤنته، وصبر علىٰ محنته: إلا أنشأ الله من تلك المحنة والمؤنة نعمة ومسرة، ومعونة بقدر ما تحمل من مرضاته. فانقلبت مخاوفه أمانا، ومظان عطبه نجاة، وتعبه راحة، ومؤنته معونة، وبليته نعمة، ومحنته منحة، وسخطه رضا. فيا خيبة المتخلفين، ويا ذلة المتهيبين.

هذا، وقد جرت سنة الله - التي لا تبديل لها - أن من آثر مرضاة الخلق علىٰ مرضاته: أن يسخط عليه من آثر رضاه، ويخذله من جهته. ويجعل

محنته علىٰ يديه. فيعود حامده ذامًّا. ومن آثر مرضاته ساخطا. فلا علىٰ مقصوده منهم حصل، ولا إلىٰ ثواب مرضاة ربه وصل. وهذا أعجز الخلق وأحمقهم.

هذا مع أن رضا الخلق: لا مقدور، ولا مأمور، ولا مأثور. فهو مستحيل. بل لا بد من سخطهم عليك. فلأن يسخطوا عليك وتفوز برضا الله عنك أحب إليك وأنفع لك من أن يسخوا عليك والله عنك غير راض. فإذا كان سخطهم لا بد منه - علىٰ التقديرين - فآثر سخطهم الذي ينال به رضا الله. فإن هم رضوا عنك بعد هذا، وإلا فأهون شيء رضا من لا ينفعك رضاه، ولا يضرك سخطه في دينك، ولا في إيمانك، ولا في آخرتك. فإن ضرك في أمر يسير في الدنيا فمضرة سخط الله أعظم وأعظم. وخاصة العقل: احتمال أدنىٰ المفسدتين لدفع أعلاهما. وتفويت أدنىٰ المصلحتين لتحصيل أعلاهما. فوازن بعقلك. ثم انظر أي الأمرين خير فآثره، وأيهما شر فابعد عنه. فهذا برهان قطعي ضروري في إيثار رضا الله علىٰ رضا الخلق.

هذا مع أنه إذا آثر رضا الله كفاه الله مؤنة غضب الخلق. وإذا آثر رضاهم لم يكفوه مؤنة غضب الله عليه.

✍ **قال بعض السلف**: لمصانعة وجه واحد أيسر عليك من مصانعة وجوه كثيرة. إنك إذا صانعت ذلك الوجه الواحد كفاك الوجوه كلها.

✍ **وقال الشافعي** رضي الله عنه: رضا الناس غاية لا تدرك. فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه.

ومعلوم: أنه لا صلاح للنفس إلا بإيثار رضا ربها ومولاها علىٰ غيره.

ولقد أحسن أبو فراس في هذا المعنىٰ - إلا أنه أساء كل الإساءة في قوله، إذ يقوله لمخلوق لا يملك له ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًّا:

فليتك تحلو، والحياة مريرة ∴ وليتك ترضىٰ. والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ∴ وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ∴ وكل الذي فوق التراب تراب

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يستطاع به هذا الإيثار العظيم الشأن. فقال:

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بطيب العود. وحسن الإسلام. وقوة الصبر.

من المعلوم: أن المؤثر لرضا الله متصد لمعاداة الخلق وأذاهم، وسعيهم في إتلافه ولا بد. هذه سنة الله في خلقه. وإلا فما ذنب الأنبياء والرسل. والذين يأمرون بالقسط من الناس، والقائمين بدين الله، الذابين عن كتابه وسنة رسوله عندهم؟

فمن آثر رضا الله فلا بد أن يعاديه رذالة العالم وسقطهم، وغرثاهم وجهالهم، وأهل البدع والفجور منهم، وأهل الرياسات الباطلة، وكل من يخالف هديه هديه. فما يقدم علىٰ معاداة هؤلاء إلا طالب الرجوع إلىٰ الله، عامل علىٰ سماع خطاب ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

ومن إسلامه صلب كامل لا تزعزعه الرجال. ولا تقلقله الجبال، ومن عقد عزيمة صبره محكم لا تحله المحن والشدائد والمخاوف.

قلت: وملاك ذلك أمران: الزهد في الحياة والثناء. فما ضعف من

ضعف، وتأخر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء، وثناء الناس عليه، ونفرته من ذمهم له. فإذا زهد في هذين الشيئين، تأخرت عنه العوارض كلها. وانغمس حينئذ في العساكر.

وملاك هذين الشيئين بشيئين: صحة اليقين. وقوة المحبة.

وملاك هذين بشيئين أيضًا: بصدق اللجأ والطلب، والتصدي للأسباب الموصلة إليهما فإلىٰ هاهنا تنتهي معرفة الخلق وقدرتهم

والتوفيق بعد بيد من أزمة الأمور كلها بيده ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣٠ - ٣١]»(١).

✍ **قال القائل:**

وكلّ الناس إن سَخِطوا فإني ∴ إذا أرضيت ربي لا أبالي
وإن ظلَموا وإن هجَروا جميعًا ∴ فحسبي أنت ربي ذو الجَلالِ

✍ **وقال القائل:**

إذا أنت لم تؤثر رضا الله وحده ∴ علىٰ كل ما تهواه فلست بصابر

✍ **وقال القائل:**

وإذا الفتىٰ عرف الرشاد لنفسه ∴ هانت عليه ملامة العذال

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٨).

✍ كما قال القائل:

والله لَـو صَـحِب الإِنسَـان جِـبرِيْلا ∴ لـمْ يَسْلَمِ الْمَرءُ مِن قَالٍ ومِن قِيْلا
قَـدْ قِيْـلَ في الله أقْـوالٌ مُصَـنفة ∴ تتلَـىٰ إِذَا رتـل القُـرآن تـرتيْلَا
قَـدْ قِيْـلَ إن لَـه ولَـدًا وصَـاحِبةً ∴ زُورا عَلَيْـه وبهتانـا وتضْـلِيْلَا
هـذَا قَـولُهمْ في الله خَـالِقِهمْ ∴ فكَيْف لَو قِيْلَ فيْنا بعْضُ مَا قِيْلَا

✍ وآخر يقول:

ضَـحِكت فقـالوا ألا تحتشـم ∴ بكيـت فقـالوا ألا تبتسـم
بسَـمت فقـالوا يرائـي بهـا ∴ عبسـت فقـالوا بـدا مـا كـتم
صـمَت فقـالوا كليـل اللسـان ∴ نطقـت فقـالوا كثيـر الكلـم
حَلُمْـت فقـالوا صـنيعُ الجبـان ∴ ولـو كـان مقتـدرًا لأنـتقم

ثالثًا: من أعمال الموفقين ترك ما لا يعنيهم والاهتمام بصلاح أنفسهم وحالهم وأمرهم الذي يخصهم

وفي هذا العمل للموفقين سأذكر الأدلة التي تنهىٰ عن الخوض فيما لا يعني العبد وتأمر بالصمت والكف عن عما لا يعنيه شأنه ولا يخصه أمره بما وفقت من الأحاديث والآثار وأقوال السلف في الحث علىٰ هذا الخلق العظيم.

❁ جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء**

تركه مالا يعنيه»(١).

❁ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**كيف بك إذا أبقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم؟ واختلفوا فكانوا هكذا؟**» وشبك بين أصابعه. قال: فبم تأمرني؟ قال: «**عليك بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم**». وفي رواية: «**إلزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة**»(٢).

❁ وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**إذا دخل أحدكم علىٰ أخيه المسلم فليأكل من طعامه ولا يسأل ويشرب من شرابه ولا يسأل**»(٣).

✍ **قال البيهقي** في «شعب الإيمان» وقال: هذا إن صح فلأن الظاهر أن المسلم لا يطعمه ولا يسقيه إلا ما هو حلال عنده.

✍ **عن مالك** رضي الله عنه **قال**: «بلغني أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما ترىٰ؟ يعني الفضل قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني»(٤).

✍ **قال مالك بن دينار** رحمه الله: «إذا رأيت قساوةً في قلبك، ووهنًا في

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٦) قال الشيخ الألباني: صحيح. وانظر صحيح ابن ماجة (٣٢١١) للألباني، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢٨٨١).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣).

(٣) روىٰ الأحاديث الثلاثة البيهقي في شعب الإيمان قال الشيخ الألباني «صحيح بدون زيادة «فإن خشي فليكسره بالماء». انظر السلسة الضعيفة (٦٣٢١).

(٤) رواه مالك في «الموطأ».

بدنك، وحرمانًا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك»(١).

✍ **وقال الإمام الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للمسلم أن يستعيذ من الفتن، ولا يَشْغَب بذكر غريب المذاهب لا في الأصول، ولا في الفروع فما رأيت الحركةَ في ذلك تحصِّل خيرًا، بل تثير شرًا وعداوةً ومقتًا للصُّلحاء والعُباد من الفريقين فتمسَّكْ بالسنة، وألزم الصمت، ولا تخُضْ فيما لا يعنيك، وما أشكل عليك فرده إلىٰ الله ورسوله، وقف، وقل: الله ورسوله أعلم»(٢).

✍ **وقال الإمامُ الشافعيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصاحبه الربيع: «يا ربيعُ، لا تتكلم فيما لا يَعنيك، فإنك إذا تكلَّمت بالكلمة مَلكتكَ ولم تملكها»(٣).

✍ **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيشتغل هذا المحسن بما يعنيه، مما يجب عليه تركه من المعاصي والسيئات، ومما ينبغي له تركه، كالمكروهات وفضول المباحات التي لا مصلحة له فيها، بل تفوت عليه الخير. ومفهوم الحديث: أن من لم يترك ما لا يعنيه: فإنه مسيء في إسلامه. وذلك شامل للأقوال والأفعال، المنهي عنها نهي تحريم أو نهي كراهة.

فهذا الحديث يعد من الكلمات العامة الجامعة، لأنها قسمت هذا التقسيم الحاصر، وبينت الأسباب التي يتم بها حسن الإسلام، وهو الاشتغال بما يعني، وترك ما لا يعني من قول وفعل. والأسباب التي يكون بها العبد

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣٦٩/ ١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٤٢).

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف(١١٩/ ١).

مسيئا. وهي ضد هذه الحال. والله أعلم»(١).

وقد ذم النبي ﷺ من تكلم فيما لا يعنيه وخاصة في الأمور الكبار وأمر العامة التي تحار فيها العقول وتجد هذا التافه يخوض فيها بسفاهة وطيش وتهور وتخرس عن جهل بالأمور والحقائق التي هي فوق مستواه وأكبر من عقله بل وسماهم النبي ﷺ الرويبضة وما أكثر هؤلاء اليوم في وسائل الإعلام والتواصل يتصدر السفهاء والجهال عبر هذه الوسائل بالمناقشة والتحليلات وهم أجهل كما يقال من حمار أهله وللأسف تجد من يسمع لهم ويتابع لهم ويغتر ويصدق وقد صدق من قال لكل ساقطة لاقطة وهذا مثال يضرب للأشياء الحقيرة السافلة التي لا قيمة لها ولا تساوي عند الناس شيء ومع ذلك تجد من يبحث عنها ويريدها ويحبها ويروج لها ويرىٰ لها قيمة عنده وهي في الحقيقة لا تسوىٰ بعرة

❁ ولذلك جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي علىٰ الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة**». قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**»(٢).

---

(١) بهجة قلوب الأبرار (١٥٤/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٠٨: أخرجه ابن ماجة (٤٠٤٢)، والحاكم (٤/ ٤٦٥، ٥١٢)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٣٠) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٦٥٠ في صحيح الجامع.

✍ **قال الإمام الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال: من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي، ويكون له خبيئة فيما بينه، وبين الله تعالىٰ من عمل، وفي رواية: فعليه بالخلوة»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان النبيُّ ﷺ طويلَ السكوت لا يتكلمُ في غير حاجة، ولا يتكلمُ فيما لا يعنيه ولا يتكلمُ إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كَره الشيءَ عُرف في وجهه»(٢).

✍ **وقال الإمام سَهلٌ التسْتريُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن تكَلَّمَ فيمَا لَا يَعْنيه حُرمَ الصِّدْقَ»(٣).

✍ **وقال محمد بن عجلان**: «إنما الكلام أربعة أن تذكر الله وتقرأ القرآن وتسأل عن علم فتخبر به أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك»(٤).

❁ وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا علىٰ عهد رسول الله ﷺ توفي، فقال رجل آخر: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يدريك؟ لعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا يغنيه**»(٥).

---

(١) المجموع شرح المهذب (٢٢/ ١).

(٢) زادُ المَعاد: (١٧٥/ ١).

(٣) غذاء الألباب (٧١/ ١). والسير للذهبي (١٣/ ٣٣٢).

(٤) جامع العلوم والحكم (١٣٥/ ١).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣١٦)، ولفظ الترمذي: «أوَلَا تدري، فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه».
وراه أبو يعلىٰ والبيهقي وابن أبي الدنيا وقال الألباني: (صحيح لغيره). صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٢).

✍ **وقال العلامة ابن الوزير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر الناس لا يصبر عن الخوض فيما لا يعنيه، ولا يتكلم بتحقيق ما يخوض فيه، وهذا هو الذي أفسد الدين والدنيا، فرحم الله من تكلم بعلم، أو سكت بحلم»(١).

✍ **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان السلف كثيرًا يمدحون الصمت عن الشر وعما لا يعني لشدته علىٰ النفس وذلك يقع الناس فيه كثيرًا فكانوا يعالجون أنفسهم ويجاهدونها علىٰ السكوت عما لا يعنيهم»(٢).

✍ **وقال معروف الكرخي**: «كلام العبد فيما لا يغنيه خذلان من الله له»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل ذي لب يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث جهات:

أحدها: التزيد والإسراف فيزيد علىٰ قدر الحاجة فتصير فضلة وهي حظ الشيطان ومدخله إلىٰ القلب وطريق الاحتراز من إعطاء النفس تمام مطلوبها من غذاء أو نوم أو لذة أو راحة فمتىٰ أغلقت هذا الباب حصل الأمان من دخول العدو منه **الثانية:** الغفلة فإن الذاكر في حصن الذكر فمتىٰ غفل فتح باب الحصن فولجه العدو فيعسر عليه أو يصعب إخراجه **الثالثة:** تكلف مالا يعنيه من جميع الأشياء»(٤).

---

(١) العواصم والقواصم (٥/ ٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٣٦/ ١).

(٣) طبقات الحنابلة (٣٨٣/ ١).

(٤) الفوائد (١٩١/ ١).

✍ **وقال معروف الكرخي يقول:** كلام الرجل فيما لا يعنيه مقت من الله عَزَّوَجَلَّ(١).

✍ **وقال عمر بن عبد العزيز:** «من علم أن للكلام ثوابا وعقابا قل كلامه إلا فيما يعنيه»(٢).

✍ **وقال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعنه: اجتناب المعاصي، وترك ما لا يعنيك ينور القلب عليك بالخلوة وقلة الأكل إياك ومخالطة السفهاء، ومن لا ينصفك إذا تكلمت فيما لا يعنيك ملكتك الكلمة ولم تملكها»(٣).

✍ **وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو يعظه:** «لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، والأمين من يخاف الله»(٤).

✍ **وعن عون بن عبد الله قال:** «قالت امرأة والله لقد أوجبت وما تحملت من كبيرة. فأتيت في منامها فقيل لها: أقلت: كذا وكذا؟ وأنت تنطقين فيما لا يعينك وتمنعين ما لا يضرك»(٥).

✍ **وعن أبا الدرداء كان يقول:** «تعلموا الصمت كما تتعلمون الكلام فإن الصمت حكم عظيم وكن إلىٰ أن تسمع أحرص منك إلىٰ أن تتكلم ولا

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (١٢١/ ٢).
(٢) المجالسة وجواهر العلم (٤٨٨/ ٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/ ٨).
(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي (٣١/ ٣).
(٥) مكارم الأخلاق للخرائطي (٩٧/ ١).

تتكلم في شيء لا يعنيك ولا تكن مضحاكا من غير عجب ولا مشاء إلىٰ غير أرب يعني إلىٰ غير حاجة»(١).

✍ **وقال الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه».

✍ **وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أحب أن يفتح الله قلبه وينوره فعليه بترك مالا يعني من الكلام»(٢).

✍ **وقال ابن المبارك**: كان مالك أشد الناس مدارة للناس وترك ما لا يعنيه(٣).

✍ **وقال الزهراني**: «كان مالك إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم ولا يراه أحد من أهله ولا أصدقائه إلا متعممًا لابسًا ثيابه، وما رآه أحد قط أكل أو شرب حيث يراه الناس، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه»(٤).

✍ **وقال ابن المبارك**: «سمعت مالك يقول لا يصلح الرجل حتىٰ يترك ما لا يعنيه، فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله في قلبه»(٥).

❁ وعن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول من يدخل هذا الباب رجل من أهل الجنة**» فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس من

---

(١) مكارم الأخلاق للخرائطي (٩٧/ ١).
(٢) المجموع للنووي (١/ ٣١)، شرح المهذب (١/ ٣١).
(٣) ترتيب المدارك (١/ ١٢٨).
(٤) ترتيب المدارك (١/ ١٢٨).
(٥) ترتيب المدارك (٦٥/ ٢).

أصحاب رسول الله ﷺ، فأخبروه بقول النبي ﷺ وقالوا: فأخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به، قال: إني لضعيف، وإن أوثق ما أرجو به لسلامة الصدر وترك ما لا يعنيني»(١).

✍ **وعن زيد بن أسلم، قال:** دخل علىٰ أبي دجانة وهو مريض، ووجهه يتهلك، فقال: «ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين: لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليما»(٢).

✍ **وقال محمد بن الحسين:** «أغرب الغرباء في وقتنا هذا من أخذ بالسنن وصبر عليها، وحذر البدع وصبر عنها، واتبع آثار من سلف من أئمة المسلمين، وعرف زمانه وشدة فساده وفساد أهله، فاشتغل بإصلاح شأن نفسه من حفظ جوارحه، وترك الخوض فيما لا يعنيه وعمل في إصلاح كسرته»(٣).

✍ **وعن سيار أبي الحكم قال:** «قيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني»(٤).

✍ **وعن عمرو بن قيس:** «أن رجلًا مر بلقمان - والناس عنده - فقال: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلىٰ. الذي كنت ترعىٰ عند جبل كذا وكذا؟ قال:

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٤/ ١).
(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٥/ ١).
(٣) الغرباء للآجري (٧٨/ ١).
(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٦/ ١).

بلىٰ. قال: فما الذي بلغ ما أرىٰ؟ قال: صدق الحديث، وطول السكوت عما لا يعنيني»(١).

✍ **وقال داود بن أبي هند:** «بلغني أن معاوية رضي الله عنه قال لرجل: «ما بقي من حلمك؟» قال: لا يعنيني ما لا يعنيني»(٢).

✍ **وقال مورق العجلي:** «أمر أنا أطلبه منذ عشر سنين لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه». قالوا: ما هو أبا المعتمر؟ قال: «الصمت عما لا يعنيني»(٣).

✍ **وقال عبد الله بن أبي زكريا الدمشقي:** «عالجت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قل أن أقدر منه علىٰ ما أريد»(٤).

✍ **وقال عبد الله بن المبارك:** «وقال بعض الحكماء: «إني لأعتد بكلامي فيما لا بد لي منه مصيبة واقعة، وأستعين بالله علىٰ السلامة منها، وإني أعتد بصمتي عما لا يعنيني غنمًا»(٥).

✍ **وسمعت وهب بن منبه يقول:** «كان في بني إسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما أن يمشيا علىٰ الماء، فبينما هما يمشيان في البحر إذ هما برجل

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٦/ ١).
(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٦/ ١).
(٣) الصمت لابن أبي الدنيا (٩٧/ ١)، الزهد للإمام أحمد (٥١٢).
(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (٢٦٠/ ١)، المنتظم (٧/ ١٨١).
(٥) الصمت لابن أبي الدنيا (٣٠٠/ ١).

يمشي في الهواء، فقالا له: يا عبد الله، بأي شيء أدركت هذه المنزلة؟ قال بشيئين من الدنيا: فطمت نفسي عن الشهوات، وكففت لساني عما لا يعنيني، ورغبت فيما دعاني إليه، ولزمت الصمت، فإن أقسمت علىٰ الله أبر قسمي، وإن سألته أعطاني»(١).

✍ **وقال ابن بطة العكبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلامة من أراد الله به خيرًا، وكان ممن سبقت له من مولاه الكريم عناية أن يفتح له باب الدعاء باللجأ والافتقار إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالسلامة والنجا، ويهب له الصمت إلا بما لله فيه رضىٰ ولدينه فيه صلاح، وأن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بأهل زمانه، مقبلًا علىٰ شأنه، قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه والمسألة والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه، لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقا كثيرًا، وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة، فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه، وأشغلهم بدينه، وأتركهم لما لا يعنيه»(٢).

✍ **وقال عمر بن الخطاب**: «فحسب المرء من العي أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه أن يجد علىٰ الناس فيما تأتيه، وأن يظهر له من الناس ما يخفىٰ عليه من نفسه»(٣).

✍ **وقال أبو الدرداء**: «من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه»(٤).

---

(١) الصمت لابن أبي الدنيا (١/ ٣١١).
(٢) الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٥٩٦).
(٣) بهجة المجالس (١/ ٣).
(٤) بهجة المجالس (١/ ١٢).

✍ **وقال وبرة بن خداش**: «أوصاني عبد الله بن عباس بخمس كلمات هي أحب إلىٰ من الدهم الموقوفة في السبيل، قال لي: إياك والكلام فيما لا يعنيك أو في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه أو في غير موضعه قد عنت، ولا تمار سفيها ولا فقيها، فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك أن يذكرك به، ودع ما تحب أن يدعه منك، واعمل بما تحب عمل رجل يعلم أنه يجازي بالإحسان ويكافئ بالإجرام»(١).

✍ **وقال عامر بن عبد قيس**: «إذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل»(٢).

✍ **وقيل**: «وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل»(٣).

✍ **وقال رجل للأحنف**: «بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتًا، ولا أصبحهم وجهًا، ولا أحسنهم خلقًا، فقال: بخلاف ما فيك قال: وما ذاك قال: تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك»(٤).

✍ **وكان الفضيل يقول**: «تكلمت فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك»(٥).

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٢٠١).
(٢) المستطرف (١/ ٣٦).
(٣) المستطرف (١/ ٦٥).
(٤) المستطرف (١/ ٢٩٧)، عيون الأخبار (١/ ٢٥٨).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ١١٠).

✍ **وكان أبو علي الكاتب، يقول:** «إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه»(١).

✍ **وقال الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبا لابن آدم حافظاه علىٰ رأسه لسانه قلمهما وريقه مدادهما وهو بين ذلك يتكلم فيما لا يعنيه»(٢).

✍ **وعن عكرمة أن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** «انطلق فأفت الناس، وأنا لك عون»، قلت: «لو أن هذا الناس مثلهم مرتين، لأفيتهم»، قال: «انطلق فأفتهم، فمن جاء يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤنة الناس»(٣).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رضا الخلق: لا مقدور، ولا مأمور، ولا مأثور. فهو مستحيل. بل لا بد من سخطهم عليك. فلأن يسخطوا عليك وتفوز برضا الله عنك أحب إليك وأنفع لك من أن يسخوا عليك والله عنك غير راض»(٤).

✍ **وقال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رضا الناس غاية لا تدرك. فعليك بما فيه صلاح نفسك فالزمه»(٥).

---

(١) حلية الأولياء (٣٦٠/ ١٠).

(٢) الزهد للإمام أحمد (٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤ - ١٥).

(٤) مدارج السالكين (٢٨٦/ ٢).

(٥) (الذيل علىٰ طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب (٤/ ١٠١)، والبيت الأخير من البداية والنهاية.

✍ **وقال عفيف الدين البقال الحنبلي (ت: ٦٦٨):**

«كنت بمصر فبلغني ما وقع من القتل الذريع ببغداد في فتنة التتار، فأنكرت في قلبي وقلت: يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له؟

فرأيت في المنام رجلًا وفي يده كتاب، فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات:

دَعِ الاعْـتراضَ فمَـا الأمْـر لَـكْ ∴ ولا الحُكـمُ في حَركَـات الفلَـكْ
ولا تسْـألِ الله عَـن فعْلِـه ∴ فمـن خَـاضَ لُجَّـةَ بحْـر هلَـكْ
إليـه تصِـير أمُـور العِبـاد ∴ دعِ الاعْـتراضَ فمَـا أجْهلَـكْ(١)

✍ **وعن المزني قال:** لما وافى الشافعي مصر قلت في نفسي إن كان أحد يخرج ما في ضميري وتعلق به خاطري من أمر التوحيد فهو فصرت إليه وهو جالس في مسجد مصر فلما جثوت بين يديه قلت له إنه قد كان في ضميري مسألة في التوحيد فقلت إن أحدا لا يعلم علمك فما الذي عندك فغضب ثم قال لي أتدري أين أنت جالس قلت نعم أنا جالس بفسطاط مصر في مسجدها بين يدي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قال هيهات إنك بتاران وجنبلان يضربك تياره وأنت لا تعلم وهذا هو الموضع الذي غرق فيه فرعون أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك فقلت لا فقال هل تكلم فيه الصحابة قلت لا فقال لي تدري كم نجم في السماء قلت لا قال فكوكب من هذه الكواكب الذي تراه تعرف جنسيته طلوعه أفوله مم خلق

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٤)، ذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب (١٠٣/ ٤).

قلت لا قال فشيء تراه بعينك خلق ضعيف من خلق الله لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها علىٰ أربعة أوجه فلم أصب في شيء منه ثم قال لي شيء تحتاج إليه في اليوم مرارا خمسة تدع تعلمه وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلىٰ الله وإلىٰ قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٣- ١٦٤] الآية، فاستدل بالمخلوق علىٰ الخالق ولا تتكلف علم ما لا يبلغه عقلك فقلت فقد تبت إن عدت في ذلك»(١).

رابعًا: من أعمال الموفقين الحزن على فوات العبادة وضياع الطاعة

وقد ذكر الله لهذا العمل سلف صالح هم أحرص الناس علىٰ الخير وأرغبهم فيه وأبر الناس بعد الأنبياء والمرسلين ولن يبلغ منزلتهم عامل ولا مرتبتهم مطيع ولو أنفق ملئ جبال الدنيا ذهبا وفضة فإن شرف الصحبة لا يعدلها شيء وهم أصحاب نبينا ﷺ من المهاجرين والأنصار وهؤلاء الذين أقعدهم العذر وخلفهم الفقر والجهد مع رغبتهم في الجهاد والبذل ولكنهم لم يملكوا إلا دموعهم عبروا بها عن حزنهم وبالغ أسفهم علىٰ حرمان فضيلة الجهاد والرباط في سبيل الله وإليك أيها القارئ وفقك الله الخبر في غزوة تبوك في سورة التوبة.

---

(١) إسناده صحيح بطرق يقوي بعضها بعضًا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥/ ٣٨١)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٥٨)، والهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٨٠)، والهروي في ذم الكلام.

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة:٩٢] وسبب نزول هذه الآية التي نوهت بذكرهم وتحسرهم علىٰ فوات هذه القربة العظيمة وهي الجهاد في سبيل الله

✍ **ما ذكره العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال العوفي، عن ابن عباس في هذه الآية: وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه، فيهم عبد الله بن مغفل المزني فقالوا: يا رسول الله، احملنا. فقال لهم: «**والله لا أجد ما أحملكم عليه**». فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملا. فلما رأىٰ الله حرصهم علىٰ محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة:٩١] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة:٩٣].

✍ **وقال مجاهد في قوله:** ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة:٩٢]: نزلت في بني مقرن من مزينة وقال محمد بن كعب: كانوا سبعة نفر، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير -ومن بني واقف: هرمي بن عمرو -ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب، ويكنىٰ أبا ليلىٰ - ومن بني المعلىٰ: [سلمان بن صخر -ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن يزيد، أبو عبلة، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه] ومن بني سلمة: عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني.

✍ **وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك**: ثم إن رجالًا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ، وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النجار، وعمرو ابن الحمام بن الجموح، أخو بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني؛ وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبد الله، أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون»(١)(٢).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم»(٣).

✍ **قال العلامة القاسمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلت الآية علىٰ جواز البكاء وإظهار الحزن علىٰ فوات الطاعة، وإن كان معذورا»(٤).

✍ **قال ابن عاشور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والآية نزلت في نفر من الأنصار سبعة وقيل: فيهم من غير الأنصار واختلف أيضًا في أسمائهم بما لا حاجة إلىٰ ذكره ولقبوا بالبكائين لأنهم بكوا لما لم يجدوا عند رسول الله ﷺ الحملان

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥١٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١٩٨-١٩٩/ ٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٧/ ١).
(٤) تفسير القاسمي (٤٧٨/ ٥).

حزنا علىٰ حرمانهم من الجهاد»(١).

✍ **قال العلامة ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قصة كعب بن مالك في غزوة تبوك من الفوائد: منها: جواز تمني ما فات من الخير، واستحباب بكاء العاصي أسفا علىٰ ما فاته من الخير»(٢).

❁ عَن أبي بردَةَ عَن أبي مُوسَىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أرسَلَني أصْحَابي إِلَىٰ رسُولِ الله ﷺ أسْأَلُه الْحُمْلَان لَهمْ إِذْ همْ مَعَه في جَيْشِ الْعُسْرةِ وهيَ غَزْوةُ تبوكَ فقُلْت: يَا نبيَّ الله إِن أصْحَابي أرسَلُوني إِلَيْكَ لِتحْمِلَهمْ فقَالَ: «**والله لا أحْمِلُكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ**» ووافقْته وهو غَضْبان ولَا أشْعُر ورجَعْت حَزِينا مِن مَنعِ النبيِّ ﷺ ومِن مَخَافةِ أن يَكُون النبيُّ ﷺ وجَدَ في نفسِه عَلَيَّ»(٣). متفق عليه

✍ **وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن من نوىٰ الغزو وغيره من الطاعات، فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف علىٰ فوات ذلك، وتمنىٰ كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه، والله أعلم. انتهىٰ»(٤).

✍ **قال العلامة ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه التأسف علىٰ فوت ما يحصل الثواب، وأن من فاته ذلك بادر إلىٰ جبره بغير ذلك، وتسلية من فاته أمر من

---

(١) التحرير والتنوير (٢٩٦/ ١٠).

(٢) فتح الباري (١٢٤/ ٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٠٦٣)، ومسلم برقم (٣١١٠).

(٤) التوضيح شرح الجامع الصحيح (١٧/ ٤٧٢).

الأمور بتحصيل ما هو أعلىٰ منه»(١).

✍ **قال ابن المبارك**: «من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيرًا ثم لا يبالي ولا يحزن عليه»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن علامات صحة القلب: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فعلامة التعظيم للأوامر رعاية اوقاتها وحدودها والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها والمسارعة اليها عند وجوبها والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفردا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا ولو أن رجلًا يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارًا لأكل يديه ندمًا وأسفًا فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف ألف وما شاء الله تعالىٰ.

فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعًا وكثير من العلماء لا صلاة له وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها فهذا عدم تعظيم أمر الله تعالىٰ في قلبه وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالىٰ أو فاته

---

(١) (الفتح ٥/ ٣٦٨).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥١٥/ ١).

(٣) إغاثة اللهفان (٧٢/ ١).

الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته علىٰ ميامنه ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته كلما كثر الجمع كان أحب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وكلما بعدت الخطأ كانت خطوة تحط خطيئة وأخرىٰ ترفع درجة»(١).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يحبون جمع كل فضيلة، ويبكون علىٰ فوات واحدة منها»(٢).

✍ **قال ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عجيب ما نقدت أحوال الناس كثرة ما ناحوا علىٰ خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف والتحسر علىٰ الأرزاق بذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، وقد رأوا من انهدام الإسلام، وتشعث الأديان، وموت السنن، وظهور البدع، وارتكاب المعاصي، وتقضي العمر في الفارغ الذي لا يجدي، فلا أحد منهم ناح علىٰ دينه ولا بكىٰ علىٰ فارط عمره ولا تأسىٰ علىٰ فائت دهره، ولا أرىٰ لذلك سببًا إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا في عيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح: يرضون بالبلاغ وينوحون علىٰ الدين انتهىٰ كلامه»(٣).

✍ **قال العلامة السفاريني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المصائب تتفاوت، فأعظمها المصيبة في الدين، نعوذ بالله من ذلك، فإنها أعظم من كل مصيبة يصاب بها الإنسان. ويؤيد ذلك قوله ﷺ «**المسلوب من سُلب دينه**» فإذا رأيت إنسانًا لا

---

(١) الوابل الصيب (١٩/ ١).

(٢) صيد الخاطر (٥٠٥/ ١).

(٣) الآداب الشرعية (٢٤٤/ ٢).

يبالي بما أصابه في دينه من ارتكاب الذنوب والخطايا وفوات الجمعة والجماعة وأوقات الطاعات فاعلم أنه ميت لا يحس بألم المصيبة، فإنك لا تسمع الموتىٰ»(١).

✍ **وقال السيد أحمد الرفاعي**: «اعلموا وافهموا أن العاقل متيقِّظ محزون، وأن الجاهل غافل مفتون»(٢).

✍ **قيل لسعيد بن المسيب أن عبد الملك** قال: «قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ولا أحزن علىٰ السيئة أرتكبها فقال سعيد الآن تكامل موت قلبه»(٣).

✍ **ذكر أبو الفرج بن الجوزي**: في المصائب المختصة بذات الإنسان.

قال: «رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض أو غيره من المصائب اشتغلوا تارة بالجزع والشكوىٰ، وتارة بالتداوي، إلىٰ أن يشتد عليهم، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلىٰ المصالح من وصية، أو فعل خير، أو تأهب للموت، فكم ممن له ذنوب لا يتوب منها، أو عنده ودائع لا يردها، أو عليه دين أو زكاة، أو في ذمته ظلامة لا يخطر له تداركها، وإنما حزنه علىٰ فراق الدنيا، إذ لا هم له سواه، وربما أفاق وأوصىٰ بجور. انتهىٰ كلامه.

وسبب ذلك ضعف الإيمان كما قال تعالىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/ ٢٦١).

(٢) هذه الكلمات من كتاب «جلاء الصدا في سيرة إمام الهدىٰ» وهو مخطوط.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ١٥٣).

وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [النجم:٢٩-٣٠]، وأحدهم لا هم له إلا الدنيا، ولا يتأسف إلا عليها، والعين المتطلعة إلىٰ الآخرة ضعيفة جدا، وقد عم هذا أكثر الخلق في زماننا، نعوذ بالله من الخذلان. فينبغي للمتيقظ أن لا يتأسف علىٰ ما فات، وأن يتأهب في حال صحته قبل هجوم المرض، فربما ضاق الوقت عن عمل، واستدراك فارط، أو وصية، فإن لم تكن له وصية في صحته فليبادر في مرضه، وليحذر الجور في وصيته، فإنه من المحرمات، فإنه يمنع المستحق ويعطي من لا يستحق، فيحتاج أن يحارب نفسه وشيطانه»(١).

من أخبار أسفهم على فوات العبادة

(١) وقال محمد بن المبارك الصوري: «رأيت سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته الصلاة في جماعة بكىٰ»(٢).

(٢) عن ميمون بن مهران أنه أتىٰ المسجد فقيل له: «إن الناس قد انصرفوا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل الصلاة أحب إلي من ولاية العراق»(٣).

(٣) قال يونس بن عبيد: «ما لي تضيع لي الدجاجة فأجد لها وتفوتني

---

(١) تسلية أهل المصائب (٢٣/ ١).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٦١/ ١)، وسير أعلام النبلاء (١٤١/ ٧).

(٣) مكاشفة القلوب (١/ ٣٦٤).

الصلاة فلا أجد لها»[١].

(٤) **قال قاضي الشام سليمان بن حمزة المقدسي:** «لم أصل الفريضة منفردًا إلا مرتين وكأني لم أصلهما قط مع أنه قارب التسعين»[٢].

(٥) **قال حاتم الأصم:** «فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا»[٣].

(٦) **بكىٰ أبو إسحاق السبيعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقيل له: ما يبكيك؟

قال: ذهبت قوتي وذهبت الصلاة مني ما أستطيع أن أصلي قائمًا إلا بالبقرة وآل عمران»[٤].

✍ **قال إبراهيم بن أدهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دخلنا علىٰ عابد مريض، وهو ينظر إلىٰ رجليه ويبكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرتا في سبيل الله. وبكىٰ آخر فقالوا: ما يبكيك؟ فقال: علي يوم مضىٰ ما صمته، وعلىٰ ليلة ذهبت ما قمتها»[٥].

❁ وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان قاعدًا عند ابن عمر

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ١٨٢).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٥).

(٣) مكاشفة القلوب (١/ ٣٦٤).

(٤) الثقات لابن حبان (٨/ ٧٦).

(٥) صيد الخاطر (١/ ٥٠٥).

رضي الله عنهما إذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال: يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من خرج مع جنازة من بيتها وصلىٰ عليها واتبعها حتىٰ تدفن كان له قيراطان من الأجر كل قيراط مثل أحد ومن صلىٰ عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد**» فأرسل ابن عمر إلىٰ عائشة رضي الله عنها يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت وأخذ ابن عمر قبضة من حصىٰ المسجد يقلبها في يده حتىٰ يرجع فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة فضرب ابن عمر بالحصىٰ الذي كان في يده الأرض ثم قال لقد فرطنا في قراريط كثيرة»(١).

✍ **قال ابن عقيل** رحمه الله: «العجيب أن كثيرًا من الناس؛ ينوحون علىٰ خراب الدِّيار وقلة الأرزاق وذمِّ الزَّمان وغلاء الأسعار لكنهم ما ناحوا يومًا علىٰ؛ غربة الدين وموت السُنن وتفشي البدع ولم يبكوا علىٰ تقصيرهم وذلك بسبب ضعف إيمانهم وعظم الدنيا في عيونهم»(٢).

✍ **عن نافع أن ابن عمر** «كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته»(٣).

✍ **كان المزني** رحمه الله «قد شدد علىٰ نفسه في حضور الجماعات وكان يخرج إلىٰ الصلاة كيف ما أمكنه وإن أصابته مشقة شديدة وكان إذا فاتته الصلاة في الجماعة يعيد خمسا وعشرين صلاة

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة (١٢٣٩)، ومسلم (١٥٧٠).

(٢) [الآداب الشَّرعية ٣/ ٢٤٠].

(٣) تاريخ مدينة دمشق (١٢٨/ ٣١).

قال وعاتب المزني يومًا بعض إخوانه فقال له كنت عليلا فلم تعدني فقال للمزني كنت ألقاك في الصلاة يعني في المسجد فاقتصر علىٰ ذلك ولم أعلم بعلتك فقال: يا هذا متىٰ رأيتني تخلفت عن الصلاة في الجماعة فاشهد جنازتي»(١).

✍ **قال أبو القاسم البغوي**: «سمعت عبيد الله القواريري يقول: لم يكن يكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة، فشغلت بضيف، فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا، فقلت في نفسي: روىٰ عن النبي ﷺ أنه قال: صلاة الجميع تفضل علىٰ صلاة الفذ إحدىٰ وعشرين درجة، وروي خمسا وعشرين درجة، وروي سبعا وعشرين، فانقلبت إلىٰ منزلي، فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة، ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكب فرسًا كأفراسهم ونحن نتجارىٰ، وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي آخرهم، فقال: لا تجهد فرسك فلست بلاحقنا. فقلت: ولم؟ قال: لأنا صلينا العتمة في جماعة»(٢).

من أخبار الموفقين في حزنهم على فوات العبادة عند الموت

(١) **ابن عمر حين احتضر قال**: «ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا -يعني: الحجاج»(٣).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (٧١/ ٥١).

(٢) تاريخ الإسلام (٨٨١/ ٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٣٢).

(٢) **قال سعيد بن جبير:** «قال لي مسروق: ما بقي شيء يرغب فيه، إلا أن نعفر وجوهنا في التراب، وما آسى على شيء إلا السجود لله -تعالى-»[(١)].

(٣) **كان سعيد بن عبد العزيز بن المسيب** «إذا فاتته الصلاة - يعني في الجماعة - أخذ بلحيته وبكىٰ»[(٢)].

(٤) **وعن الحكم قال:** «لما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكىٰ، فقيل: ما يبكيك؟ قال: أسفا علىٰ الصلاة والصوم. ولم يزل يقرأ القرآن حتىٰ مات، ورؤي له أنه من أهل الجنة»[(٣)].

(٥) **وقال هشام عن قتادة:** «إن عامر بن عبد قيس لما احتضر جعل يبكي، فقيل: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا علىٰ الدنيا، ولكن أبكي علىٰ ظمأ الهواجر وقيام الليل»[(٤)].

(٦) **وقال يزيد بن أبي حبيب:** «حدثني عبد الرحمن بن شماسة قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكىٰ، فقال له ابنه: لم تبكي، أجزعا من الموت؟! قال: لا والله ولكن ما بعد، قال: قد كنت علىٰ خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦).

(٢) حلية الأولياء (٦/ ١٢٦).

(٣) تاريخ الإسلام (٢/ ١١٣١)، السير (٥/ ١٢).

(٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٦٥٢).

كله، شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت علىٰ ثلاث أطباق، ليس منها طبقة إلا عرفت نفسي فيها؛ كنت أول شيء كافرا، وكنت أشد الناس علىٰ رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ لوجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس منه حياء، ما ملأت عيني منه، فلو مت حينئذ لقال الناس: هنيئا لعمرو، أسلم علىٰ خير، ومات علىٰ خير أحواله، ثم تلبست بعد ذلك بأشياء، فلا أدري أعلي أم لي، فإذا أنا مت فلا يبكىٰ علي ولا تتبعوني نارا، وشدوا علي إزاري، فإني مخاصم، فإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها، أستأنس بكم، حتىٰ أعلم ما أراجع رسل ربي(١).

(٧) **عن سعيد بن جبير قال:** لما احتضر ابن عمر قال: ما آسىٰ علىٰ شيء من الدنيا إلا علىٰ ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج»(٢).

(٨) **عن أبي إسحاق الخميسي قال:** «كان يزيد الرقاشي يقول ويحك يا يزيد من يصوم عنك من يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يترضىٰ لك ربك من بعد الموت ثم يقول يا معشر الناس ألاع تبكون وتنوحون علىٰ أنفسكم باقي حياتكم من الموت موعده والقبر بيته والثرىٰ فراشه والدود أنيسه وهو مع ذا ينتظر الفزع الأكبر ثم يبكي حتىٰ يسقط مغشيًّا عليه»(٣).

---

(١) أخرجه أبو عوانة في «مسنده». وانظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ٤٢٥).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٨٤٣).

(٣) تاريخ مدينة دمشق (ص٩٠/ ج٦٥).

✍ **قال الشيخ صالح العصيمي -حفظه الله-:**

إذا فات حِزب المرءِ فات قِوامُه ∴ مِن العِلم والإيمان لو كان يَعلَمُ
وقد كانت الأسلاف مَن فات حِزبه ∴ فيَبكي لِفوت الحزب والقلب
ونحن يَفوت الحِزب والحزب بعدَه ∴ فلا العين تبكِيه ولا القلب يُؤلَمُ

خامسًا: من أعمال الموفقين المحافظة على فضائل الأخلاق ومكارمها

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: «﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ نفوسهم علىٰ ما تكره، وأجبروها علىٰ ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة علىٰ مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟ ».

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [فصلت:٣٥] لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق(١).

❁ فعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله** عَزَّوَجَلَّ **لكرم ضريبته وحسن**

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ٧٥٠/ ١().

خلقه»[١].

❁ عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ إذا استفتح الصلاة كبر ثم قال: «**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم اهدني لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت**»[٢].

❁ فهذين الحديثين العظيمين تدل علىٰ شرف ما يوفق إليه وفضيلة ما يهدىٰ له المسلم الموفق من نعمة حسن الخلق لأنه رزق يرزقه الله العبد فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما قال النبي ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من أحب**»[٣].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٤٢: أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٠): والحديث أخرجه أيضًا الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٩/ ٦٠)، وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة». أخرجه الحاكم (١/ ٦٠)، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم». ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وأخرجه هو وغيره من حديث عائشة مرفوعًا نحوه بلفظ: «درجات قائم الليل صائم النهار». وقال أيضًا: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان (١٩٢٧)..

(٢) سنن النسائي(٨٩٦) سنن أبي داود (٧٥٩) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٤٨٢: أخرجه الإسماعيلي في «المعجم» (١/ ١١٤).

✍ **قال القائل:**(١)

فالنـــاس هـــذا حظـــه مـــال ∴ وذا علـم وذاك مكـارم الأخـلاق

لذلك وصف المسلم صاحب حسن الخلق بالمسدد أي: الموفق كما سبق الإشارة في الجزء الأول أن من معاني التوفيق السداد.

❁ وقد كان دعاء النبي ﷺ في استفتاحه لصلاة الليل بالدعاء للهداية أي التوفيق لحسن الخلق في الأقوال والأعمال التي لا يعطيها الله إلا من أحب فالله جل وعلا إما أن يخلق العبد مجبولا علىٰ هذه الأخلاق الحسنة كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس كما جاء ذلك عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»

في زيادة أبي داود في سننه والبخاري في الأدب المفرد «قال يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال «**بل الله جبلك عليهما**» قال الحمد لله الذي جبلني علىٰ خلتين يحبهما الله ورسوله»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأدب المرء: عنوان سعادته وفلاحه وقلة أدبه: عنوان شقاوته وبواره فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب»(٣).

---

(١) منسوب لحافظ إبراهيم.

(٢) قال الشيخ الألباني: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين الحديث أخرجه أحمد وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وللحديث شواهد كثيرة فأخرجه مسلم والبخاري وابن ماجه من حديث ابن عباس.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٩١).

✍ **قال العلامة الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذلك لأن درجة الحلم والصبر علىٰ الأذىٰ والعفو عن الظلم أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام»(٢).

وأحق الناس بخلق الرجل الموفق أهله وأقربوه

❁ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(٣).

❁ له شاهد من حديث ابن عباس به «**خيركم خيركم للنساء**»(٤).

❁ وله شاهد من حديث ابن عمرو بلفظ: «**خياركم خياركم**

---

(١) أدب الدنيا والدين (٢٥٢/ ١).

(٢) الصارم المسلول (٢٤٠/ ١).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥١٣: أخرجه الترمذي (٢/ ٣٢٣)، والدارمي (٢/ ١٥٩)، وابن حبان (١٣١٢)قلت: وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. وليس عند الدارمي وابن حبان الجملة الوسطىٰ منه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٩٩). وابن ماجه (١٩٧٧)، وابن حبان (١٣١٥)، والضياء في «المختارة» (٦٣/ ٩/ ٢) من طريق عمارة بن ثوبان عن عطاء عنه وأخرجه الحاكم (٤/ ١٧٣)، وقال: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي! وهذا غريب منه فإن عمارة هذا أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال: «تابعي صغير مجهول». وقال الحافظ في «التقريب»: «مستور».

لنسائهم»(١).

✍ **قال العلامة الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس وإن كان علىٰ العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر، وكثيرا ما يقع الناس في هذه الورطة، فترىٰ الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقا وأشجعهم نفسا وأقلهم خيرًا، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق زائغ عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة»(٢).

✍ **قال الشيخ بكر أبو زيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد تواردت موجبات الشرع علىٰ أن التحلي بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهدي الحسن، والسمت الصالح: سمة أهل الإسلام وأن العلم – وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر – لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته»(٣).

واذا أردت أن تعلم فضيلة حسن الخلق فانظر إلىٰ فضل هذا العمل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٧٨) عن أبي خالد عن الأعمش عن شقيق عن مسروق عنه. قلت: وهذا إسناد ظاهره الصحة، ولهذا قال البوصيري في «الزوائد» (ق ١٢٥/ ١): «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات». قلت: وهو عندي معلول بالمخالفة والوهم وقال الذهبي في التقريب: «تابعي صغير مجهول». وقال الحافظ في «التقريب»: «مستور».

(٢) نيل الأوطار (٦/ ٢٤٧).

(٣) حلية طالب العلم (٣/ ١).

ومنزلة صاحبة ومرتبته التي ينالها عند الله في الدنيا والآخرة ما توجب للعبد الموفق حصول الخيرات وحلول البركات من رب البريات سبحانه وتعالىٰ

أولًا: حسن الخلق ثقيل في الميزان

❁ عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي**»(١).

❁ عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن**»(٢).

ثانيًا: صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم القائم

❁ عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قلت صحيح انظر (صحيح الترمذي) رقم (١٦٢٨) [٢٧٧].

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٥٦٣: أخرجه داود (٢/ ٣٨٩)، وأحمد (٦/ ٤٤٦ و٤٤٨)، والغطريف في حديثه (رقم ٨٩ - منسوختي)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٩)، واللفظ للغطريف، ولفظ الآخرين: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق».
قلت: وهذا إسناد صحيح، وصححه ابن حبان (١٩٢١)..

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٥٧٢٦ في صحيح الجامع.

ثالثًا: خير الناس وخيارهم أحسنهم خلقا

❁ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال: قال رسول الله ﷺ: «**خياركم أحاسنكم أخلاقا**»(١).

❁ عن عبد الله بن عمر قال: سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «**خير الناس أحسنهم خلقًا**»(٢).

رابعًا: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه، «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥١٥: أخرجه البخاري (٤/ ١٢١) عن حفص بن غياث، وفي «الأدب المفرد» (٢٧١) عن سفيان، ومسلم (٧/ ٧٨)، والترمذي (١/ ٣٥٧)، وأحمد (٢/ ١٦١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٥٣: رواه الطبراني (رقم ١٣٣٢٦) الشيخ الألباني: وهذا إسناد ضعيف. لكن يشهد له حديث ابن عمرو مرفوعًا بلفظ: «خياركم أحاسنكم أخلاقا». أخرجه الشيخان وغيرهما، وقد تقدم (٢٨٦). قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر: حديث رقم: ٣٢٨٧ في صحيح الجامع.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥١١: أخرجه الترمذي (١/ ٢١٧ ٢١٨)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢). وأخرج الشطر الأول منه أبو داود (٤٦٨٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٨٥/ ١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٨)، والحاكم (١/ ٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم» وإنما هو حسن.

خامسًا: أقرب الناس مجلسًا يوم القيامة من النبي ﷺ

❁ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»(١).

سادسًا: ما عمل الخلائق من فضائل الأعمال أفضل من حسن الخلق

❁ عن أنس قال: لقي رسول الله ﷺ أبا ذر فقال: **يا أبا ذر ألا أدلك علىٰ خصلتين هما أخف علىٰ الظهر، وأثقل (في الميزان) من غيرهما؟**» قال: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**عليك بحسن الخلق وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. قلت: صحيح. انظر (صحيح الترمذي) رقم (١٦٤٢) [٢٧٨].

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٧٦: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢/ ٨٣٤)، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٢٤٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٦٥/ ١).

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤/ ٣٢/ ٢)، والبزار (ص ٣٢٩ - زوائد ابن حجر)، رواه أبو حيان في كتاب «الثواب» واسناده واه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر ألا أدلك علىٰ أفضل العبادة وأخفها علىٰ البدن وأثقلها في الميزان وأهونها علىٰ اللسان؟**» قلت: بلىٰ فداك أبي وأمي، قال: «**عليك بطول الصمت وحسن الخلق، فإنك لست بعامل مثلهما**». ورواه أيضًا من حديث أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: «**يا أبا الدرداء ألا أنبئك بأمرين خفيف مؤنتهما، عظيم أجرهما، لم تلق**

⇦=

سابعًا: أعظم ما يسع به الناس ويكفيهم من بعضهم لبعض حسن الخلق

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»(١).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رحمه الله: «وربما كان معاملة الناس بالقول الحسن أحب إليهم من الإحسان بإعطاء المال كما قال لقمان لابنه: يا بني! لتكن كلمتك طيبة، ووجهك منبسطًا، تكن أحب إلىٰ الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة»(٢).

ثامنًا: حسن الخلق من موجبات الجنة والمغفرة

❁ وعن أبي شريح رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة قال: «**طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام**»(٣).

= الله عز وجل بمثلهما؟ طول الصمت وحسن الخلق».

أخرجه ابن أبي الدنيا (٤/ ٣٩/ ٢) مرسلا: عن الشعبي قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «**ألا أدلك علىٰ أحسن العمل وأيسره علىٰ البدن؟**» قال: بلىٰ بأبي أنت وأمي، قال: «**حسن الخلق وطول الصمت عليك بهما، فإنك لن تلقىٰ الله بمثلهما**».

قلت: وهذا إسناد مرسل حسن لولا أن الجليس لم يسم، وعلىٰ كل حال، فالحديث به وبحديث أبي ذر وأبي الدرداء حسن علىٰ الأقل إن شاء الله تعالىٰ.

(١) رواه أبو يعلىٰ والبزار من طرق أحدها حسن (صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦١) (حسن لغيره).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٤٣/ ٤).

(٣) رواه الطبراني، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه (صحيح) صحيح =

❁ عن المقدام بن شريح عن جده قال: قلت: يا رسول الله دلني علىٰ عمل يدخلني الجنة. «**إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام**»(١).

تاسعًا: إذا فاز الموفق بحسن الخلق لا يضره ما فاته من الدنيا

❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا «**أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة**»(٢).

عاشرًا: حسن الخلق أوفر الحظوظ وفيه زيادة العمر والأرزاق

❁ وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**إنه من أعطي حظه من**

= الترغيب والترهيب (٢٦٩٠)، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت.

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٢٩: رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٢٣): وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات ورواه ابن أبي شيبة والطبراني والخرائطي والبيهقي من حديث هانئ بن يزيد بإسناد جيد». وهانئ بن يزيد هو جد المقدام بن شريح.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٣٧٠: رواه ابن وهب في «الجامع» (٨٤)، ورواه أحمد (٢/ ١٧٧): وأخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٦، ٢٧، ٥٢)، والحاكم (٤/ ٣١٤)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٢/ ١٠٤/ ١)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢٠٤): أخبرنا موسىٰ بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: فذكره موقوفا. قلت: وهذا سند صحيح، فهو ثابت مرفوعًا وموقوفا، ولا منافاة بينهما، فإن الراوي قد لا ينشط أحيانا فيوقفه، كما يعلم ذلك العارفون بهذا العلم الشريف.

الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، أو حسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»(١).

ومن أعظم مكارم الأخلاق وأفضلها أجر السعي في نفع الناس وقضاء حوائجهم وإعانتهم من أعظم أسباب التوفيق وحصول العون من الله للعبد الجزاء من جنس العمل

(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر علىٰ معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر علىٰ مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٢).

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلىٰ الله وأي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلىٰ الله تعالىٰ أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلىٰ الله عز وجل سرور يدخله علىٰ مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، (يعني مسجد المدينة) شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشىٰ مع أخيه في

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٣٤): أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩): صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي واللفظ له والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح علىٰ شرطهما.

حاجة حتىٰ تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام (وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)»(١).

(٣) وعن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**»(٢).

(٤) عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: «**من يكن في حاجة أخيه يكن الله في حاجته**»(٣).

(٥) عن أبي هريرة: «أن رجلًا شكا إلىٰ رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له «**إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**»(٤).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٦٠٨: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠٩/ ٢)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٨/ ١/ ٢)، وهذا إسناد ضعيف جدًّا. لكن قد جاء بإسناد خير من هذا، فرواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص ٨٠ رقم ٣٦)، وأبو إسحاق المزكي في «الفوائد المنتخبة» (١/ ١٤٧/ ٢) - وهذا إسناد حسن فثبت الحديث. والحمد لله تعالىٰ وقال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع.

(٢) رواه مسلم (٢٩٢٣).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٤٧٨: أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص ٨٢ رقم ٤٧) قلت: وهذا إسناد واه لكن الحديث صحيح، فإن له شاهدا من حديث ابن عمر، سبق تخريجه برقم (٥٠٤)، وهو متفق عليه. وشاهد آخر من حديث مسلمة بن مخلد مرفوعًا به. أخرجه أحمد (٤/ ١٠٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٦١٩ في صحيح الجامع.

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٥٣٣: أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣)، وأخرجه ⇦=

(٦) ولفظ أبي الدرداء «أن النبي ﷺ «**أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك**»(١).

سادسًا: من أعمال الموفقين استغلال مواسم الطاعات وأيام العبادات

فالمؤمن الموفق الحريص علىٰ ما عند الله من أجر وثواب لأنه يعلم من كرم الله أنه يجزي علىٰ العمل بأعظم مما يستحقه العامل ويضاعف له الحسنة في مكان مخصص أو زمان مخصص فيبادر ويسارع لاغتنامه واستغلاله وربما فاضل في مثوبة العمل بين العاملين بحسب ما يتفاوتون فيه مما يقوم في القلب من التعظيم للعبادة وحسن الأداء وصدق النية والإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ وربما أثاب من لم يعمل لعلمه سبحانه بعبده أنه لو قدر أو استطاع لفعلها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

فالمؤمن طالب الآخرة يستغل المواسم لكسب الأجور العظيمة المضاعفة كما يستغل طلاب الدنيا مواسم الأموال فتجدهم يستعدون وربما يسافرون من مكان إلىٰ مكان منهم المزارعون والصيادون والتجار وغيرهم كلهم يحرص ألا يفوته الموسم فإنه لربما يجد في هذا الموسم من الأرباح

= الطبراني في «مختصر مكارم الأخلاق» (١/ ١٢٠/ ١) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٨٠ في صحيح الجامع.

(١) أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء. قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٨٠ في صحيح الجامع.

مالا يجده طيلة العام كذلك العمل الصالح يجد المؤمن فيها من مضاعفة الثواب وكثرت الحسنات مالا يجده في غير موسمه المكاني أو الزماني وكل ذلك فضل من الله علىٰ هذه الأمة لقصر أعمارها وربما المؤمن الموفق المستغل لمواسم العبادات يعمل فيها فيؤجر في عمره القليل مالا يعمله في أضعاف أضعاف عمره من بلغ ذلك العمر ولم يضاعف له.

❁ فعن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم**»(١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعظم النقص واشد الحسرة نقص القادر علىٰ التمام وحسرته علىٰ تقويته كما قال بعض السلف إذا كثرت طرق الخير كان الخارج منها اشد حسرة وصدق القائل:

ولم أر في عيوب الناس عيبا ∴ كنقص القادرين علىٰ التمام

فثبت أنه لا شيء أقبح بالإنسان من أن يكون غافلا عن الفضائل الدينية

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥١١: رواه الطبراني في «الكبير» (رقم - ٧٢٠)، وهذا «إسناد ضعيف». لكن الحديث عندي حسن، فقد ذكر الهيثمي لشطره الأول شاهدا عن محمد بن مسلمة مرفوعًا بلفظ: «**إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقىٰ بعدها أبدًا**». وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» والكبير بنحوه وفيه من لم أعرفهم ومن عرفتهم وثقوا». وسائره وهو فقرة الستر له شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا به. رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» كما في «الجامع الكبير» (٢/ ٤٩/ ١).

والعلوم النافعة والأعمال الصالحة»(١).

✍ **وقال الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الله سبحانه إذا أحب عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت»(٢).

✍ **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «احذروا المعاصي فإنها تحرم المغفرة في مواسم الرحمة»(٣).

✍ **وقال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الليالي والأيام الفاضلة لا يصلح أن يغفل عنهن لأنه إذا غفل التاجر عن موسم الربح فمتىٰ يربح»(٤).

✍ **وقال الشيخ العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله الذي وفق برحمته من شاء من عباده، فعرفوا أقدر مواسم الخيرات، وعمروها بطاعة الله، وخذل من شاء بحكمته، فعميت منهم القلوب والبصائر، وفرطوا في تلك المواسم، فباءوا بالخسائر»(٥).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد لله الذي من علىٰ عباده بمواسم الخيرات، ووفق من شاء منهم لاغتنام هذه المواسم بفعل الخيرات، وخذل من شاء

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١١٠).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٨٨).
(٣) لطائف المعارف (١/ ٢٩٥).
(٤) منهاج القاصدين (١/ ٣٤٣).
(٥) الضياء اللامع في خطب الجوامع (٥/ ٤٧٠).

منهم، فكان حظه التفريط والخسران والندامات»(١).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن الجَوزِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالسَّعِيدُ مَن اغْتنمَ مَواسِمَ الشُّهور والأيَّامِ والسَّاعَات أو تقَرب فيها إِلَىٰ مَولَاه بمَا فيها مِن وضَائِف الطَّاعَات فعَسَىٰ أن تصِيبه نفحَةٌ مِن تلْكَ النفحَات فيُسْعَدُ بها سَعَادَةً يَأمَن بعْدَها مِن النار ومَا فيها مِن اللَّفحَات»(٢).

✍ **وقال العلَّامة محمد بن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه مواسم الأرباح لذوي الهمم العالية، فخذوا رحمكم الله تعالىٰ من فضائلها بحظ وافر، وإياكم والتفريط والإهمال، فالمفرط خاسر»(٣).

✍ **وقال ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما من موسم من هذه المواسم الفاضلة إلا ولله تعالىٰ فيه وظيفة من وظائف الطاعة يتقرب بها العباد إليه ولله تعالىٰ فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلىٰ مولاه بما فيها من طاعات فعسىٰ أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات»(٤).

✍ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مواسم الخيرات أوقات ربح

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٧٤).

(٢) لَطَائِف المَعَارف (٤٠).

(٣) [الضياء اللامع (٦/ ٤٤٠)].

(٤) اللطائف لابن رجب ص(٤٠).

للإنسان الموفق فالموفق ينتهزها بالعمل الصالح المقرب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما كان المكان والزمان أفضل كانت الطاعة فيه أفضل، والمعاصي فيه أشد»(٢).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتضاعف السيئة والحسنة بمكان أو زمان فاضل»(٣).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا ينبغي للإنسان كلما سنحت له الفرصة في العبادة أن يفعل ويتقدم إليها حتىٰ لا يعوِّد نفسه الكسل وحتىٰ لا يؤخره الله عَزَّوَجَلَّ»(٤).

سابعًا: من أعمال الموفقين اغتنام الفرص واستغلالها

❁ قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى:٤٧].

✍ **قال ابن سعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تعالىٰ عباده بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهىٰ عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في

---

(١) اللقاءات الرمضانية للشيخ العثيمين.

(٢) المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١٠٧/ ٣).

(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٣٨٠/ ٥).

(٤) الشرح الصوتي لزاد المستقنع (١/ ٢٤٠٧).

ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه.

وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات(١).

✍ **قال في المعجم الوسيط**: «يقال: انتهز فلان الْفرصة: اْغتنمها، وفاَز بها»(٢).

✍ **وقال ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المبادرة: انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتىٰ إذا فات طلبها، فهو لا يطلب الأمور في أدبارها ولا قبل وقتها، بل إذا حضر وقتها بادر إليها، ووثب عليها وثوب الأسد علىٰ فريسته، فهو بمنزلة من يبادر إلىٰ أخذ الثمرة وقت كمال نضجها وإدراكها»(٣).

«الكلمة «الحياة فرص»(٤).

إننا نجد كثيرًا من الناس قد قَصر وحجر استخدام كلمة «الفرصة» علىٰ النواحي المادية، فقَّلما تستخدم هذه الكلمة في مكانها الحقيقي لتمثل فرصة العمر علىٰ حقيقتها، وقَّلما تستخدم كلمة «الفرصة» لأمر الآخرة قبل أن

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ٧٦١/ ١()).

(٢) «الوسيط المعجم». (٦٨٢/ ٢).

(٣) «الروح» (ص: ٤٠٤).

(٤) الحياة فرص (٩/ ١٠) هذا الكتاب أنفس الكتب وأسعها وأنفعها في احتواء موضوع (اغتنام الفرص).
للشيخ الوالد المربي أبو عمار محمد بن عبدالله باموسىٰ القائم علىٰ مركز السلام العلمي بالحديدة حرسها الله.

تغرق الباخرة. إنهم يقصدون ًفرصا في الدنيا للدنيا، منكم وإليكم هذه بضاعتكم ردت إليكم، إنها بضاعة مزجاة وفرصة ضائعة، حديثهم - معشر الأعزاء - في الليل والنهار فلان اشترىٰ عقارا بكذا، وباعه بكذا وكذا، وربح وأصبح من الأغنياء، لأن الحياة فرص، وفلان اشترىٰ سلعة بكذا، وباعها بأرباح باهظة، وأصبح من الأثرياء، لأن الحياة فرص، وفلان لا يضيع الأموال وهو حريص علىٰ جمعها، يجمع الدرهم الأبيض لليوم الأسود فأصبح تاجر غنيا ثريا، لأنه استغل الحياة وكدح وتعب فيها، والحياة فرص وفلان أصبح مديرا أو مسؤولا، أو...الخ؛ لأنه استغل الفرصة، والحياة فرص. وهكذا - عباد الله - هذه هي تغريدات المجتمع وهذا حديثهم، مجالسهم عامرة بذكر أخبار الدنيا، والمال والعقار والسوق والأسعار، ومن ارتفع، ومن انخفض، ومن خسر، ومن ربح في تجارة الدنيا الخاسرة، هذا هو حديثهم وهذه هممهم إلا من رحم الله. وهناك طائفة من الناس علىٰ النقيض من ذلك تمًاما، قالوا كما قالت الطائفة الأولىٰ الحياة فرص! ولكن ما هي الفرص التي يجب أن نستغلها؟

قالوا: إن قيمة كل الفرص في الحياة تنشأ من قيمة فرصة العمر نفسه، فالذي يدرك قيمة العمر يمكن أن يستغل الفرص التي تتاح له من خلال هذه الحياة، والذي لا يدرك قيمة العمر لا يمكن أن يستغل الفرص علىٰ الوجه الصحيح، وهذا أمر طبيعي، لأن الذي لا يدرك قيمة الشيء لا يهتم به، والذي لا يهتم بالشيء لا يستغله. هذه الطائفة قالت: لابد من استغلال الحياة، والعمر، واللحظات، والدقائق، والثواني، والأنفاس في التجارة مع الله بالعمل الصالح، لأن الحياة فرص.

فالذين عرفوا قيمة الحياة، وفرصة العمر، مجالسهم عامرة بالصفقات التجارية الأخروية، إما في قراءة القرآن، أو السنة النبوية، أو العلم الشرعي، أو التسبيح، أو التهليل، أو الصلاة، أو الاستغفار، أو الصيام، أو القيام، أو الصدقة، أو الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر، أو في خدمة الناس، أو في خدمة الدين، فهم قد أعلنوا حالة الاستنفار والطوارئ وساعة الصفر في فعل الخيرات وترك المنكرات، قلوبهم مع الله، وجوارحهم مع الله، وأوقاتهم كلها الله، ولسان حالهم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢] تجد حديث هؤلاء عن المستقبل الحقيقي، عن حسن الخاتمة، وعن سوء الخاتمة، عن القبر، والقيامة، والبعث، والنشور، والصراط، والميزان، والصحف، والجنة، والنار.

الله أكبر، هؤلاء هم والله، وبالله، وتالله، الذين عرفوا حقيقة هذه الكلمة «الحياة فرص»، فعاشوا في سعادة وراحة وسرور وبهجة وأنس ورضىٰ واطمئنان لو يعلم الملوك وأبناء الملوك والأثرياء ما هم فيه من السعادة لجالدوهم عليها بالسيوف! وصدق الله القائل ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨].

✍ **قَالَ الإِمَامُ المَاوردِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ عَبدُ الحَمِيد: «مَن أَخَّر الفرصَةَ عَن وقْتها فلْيَكُن عَلَىٰ ثِقَةٍ مِن فوتها»(١).

✍ **وقال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم جاء الثواب يسعىٰ اليك فوقف

---

(١) آدَاب الدِّين والدُّنيَا (٣٨٥).

بالباب فرده بواب «سوف ولعل وعسىٰ»(١).

✍ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحازم: الذي يغتنم الفرص ويتخذ الحيطة حتىٰ لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع»(٢).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الشيطان أحرص ما يكون علىٰ الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلىٰ الله تعالىٰ كان اعتراض الشيطان له أكثر»(٣).

✍ **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما أراد العبد توجها إلىٰ الله تعالىٰ ـ بقلبه جاء من الوسواس أمور أخرىٰ، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد يسير إلىٰ الله تعالىٰ ـ أراد قطع الطريق عليه»(٤).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول القائل:

علىٰ قدر فضل المرء تأتي خطوبه ∴ وتعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره ∴ فقد قل مما يرتجيه نصيبه

اشتر نفسك، فالسوق قائمة والثمن موجود. لا بد من سنة الغفلة ورقاد الهوىٰ، ولكن كن خفيف النوم فحراس البلد يصيحون: دنا الصباح»(٥).

---

(١) الفوائد (٦٣/ ١).
(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٠٨).
(٣) إغاثة اللهفان (٩٤/ ١).
(٤) الاستقامة (١٧/ ٢).
(٥) الفوائد (٤٠/ ١).

✍ **وقال سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان»(١).

✍ **وقال ابن بطال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للعبد أن يبادر بفعل الخير فإن الآفات تعرض والموانع تمنع والموت لا يؤمن والتسويف غير محمود»(٢).

✍ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويؤثر عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» أنه قال: «من بورك له في شيء فليزمه».

فهذه كلمة عجيبة لو توزن بالذهب لوزنته يعني إذا عمل الإنسان عملًا ورأىٰ فيه بركة والثمرة فليزمه»(٣).

✍ **وقال ابن قدامة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن وجد خلسة وقت فليغتنم كثرة القراءة للقرآن ليفوز بكثرة الثواب»(٤).

✍ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك يا أخي المسلم أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ وتنتهز الفرص ألا تدع ساعة تمضي إلا ولك فيها عمل»(٥).

✍ **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك لأن الإنسان لا يدري متىٰ يفاجئه الموت؛ فيفوته الخير، والإنسان ينبغي أن يكون كيسا، يعمل لما بعد

---

(١) حلية الأولياء (٨٢/ ٧).

(٢) شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٦١).

(٣) تفسير سورة آل عمران من تفسير الكنز الثمين (٢/ ٣٧٣).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (٥٣/ ١).

(٥) لقاء الباب المفتوح (٣/ ١٢٣).

الموت ولا يتهاون، وإذا كان الإنسان في أمور دنياه يكون مسرعًا، وينتهز الفرص، فإن الواجب عليه في أمور أخراه أن يكون كذلك بل أولىٰ»(١).

✍ **وقال العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المهم أن طرق الخيرات كثيرة. ولكن النفس الأمارة بالسوء تثبط الإنسان عن الخير، وإذا هم بشيء فتحت له بابا غيره، ثم إذا هم به فتحت له بابا آخر حتىٰ يضيع عليه الوقت، ويخسر وقته ولا يستفيد منه شيئًا، ولهذا ينبغي للإنسان أن يبادر ويسارع في الخير، كلما فتح له باب من الخير فليسارع إليه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المائدة:٤٨]، ولأن الإنسان إذا انفتح له باب الخير أول مرة ولم يفعل فإنه يوشك أن يؤخره الله عَزَّوَجَلَّ. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال قوم يتأخرون حتىٰ يؤخرهم الله**»، فالمهم أنه ينبغي للإنسان العاقل الحازم المؤمن أن ينتهز سبل الخير، وأن يحرص غاية الحرص علىٰ أن يأخذ منكل باب منها بنصيب حتىٰ، يكون ممن سارع في الخيرات، وجنىٰ ثمرات هذه الأعمال الصالحة، نسأل الله أن يعيننا وإياكم علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، إنه جواد كريم»(٢).

✍ **وقال العلامة ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن لا يدع فرصة إلا انتهزها»(٣).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انتهاز الفرص في الخير والحرص علىٰ الخير أمر

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢٠/ ٢).
(٢) شرح رياض الصالحين (٢٠٧/ ٢).
(٣) مجموع الفتاوىٰ لابن باز (١٦/ ٢٠٨).

مطلوب في المكتب، وفي السفر وفي الحضر، وفي كل مكان، كون المؤمن ينتهز الفرص بالتسبيح والتهليل والتحميد، وقراءة القرآن، وصلاة النافلة، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلىٰ غير ذلك، هذا هو الشيء المطلوب أينما كان بشرط أن يكون ذلك لا يضر عملًا لازمًا له ولا يعطله»(١).

✍ **وقال ابن المعتز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، كم فرصة ذهبت فعادت غصة تشجي بطول تلهف وتردد»(٢).

✍ **وقال العلامة ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤]، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠] ونسأل الله تعالىٰ أن يلهمنا المبادرة إلىٰ طاعته وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمته»(٣).

✍ **ونقل القرطبي في تفسيره، وقال الماوردي**: «فينبغي لمن يقدر علىٰ إسداء المعروف أن يعجله حذار فواته، ويبادر به خيفة عجزه، وليعلم أنه من فرص زمانه، وغنائم إمكانه، ولا يهمله ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق

---

(١) فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣١٠/ ١٠).

(٢) زهر الآداب وثمر الالباب (٨٢٨/ ٣).

(٣) فتح الباري (١٢٤/ ٨).

بالقدرة فاتت فأعقبت ندما، ومعول علىٰ مكنة زالت فأورثت خجلا، كما قال الشاعر:

ما زلت أسمع كم من واثق خجل ∴ حتىٰ ابتليت فكنت الواثق الخجلا

ولو فطن لنوائب دهره، وتحفظ من عواقب أمره لكانت مغانمه مذخورة، ومغارمه مجبورة، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متىٰ يغلق عنه**». وروي عنه ﷺ أنه قال: «**لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف السراح**». وقيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟ قال: أن تقدر علىٰ المعروف فلا تصطنعه حتىٰ يفوت.

✍ **وقال عبد الحميد**: من أخر الفرصة عن وقتها فليكن علىٰ ثقة من فوتها.

✍ **وقال بعض الشعراء**:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ∴ فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ∴ فما تدري السكون متىٰ يكون

✍ **وقال العباس** رضي الله عنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته»(١).

✍ **وقال العلامة ابن القيم** رحمه الله: «أن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها، والعجز في

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٤).

تأخيرها والتسويف بها، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه، بأن يحول بين قلبه وإرادته، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك»(١).

✍ **وقال خالد بن معدان:** «إذا فتح لأحدكم باب الخير فليسرع إليه فإنه لا يدري متىٰ يغلق عنه»(٢).

✍ **وذكر عن عبد الله بن عبد العزيز العمري العابد:** «كتب إلىٰ الإمام مالك يحضه إلىٰ الانفراد والعمل ويرغب به عن الاجتماع إليه في العلم فكتب إليه مالك أن الله عَزَّوَجَلَّ قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا علىٰ خير ويجب علىٰ كل واحد منا أن يرضىٰ بما قسم له والسلام هذا معنىٰ كلام مالك لأني كتبته من حفظي وسقط عني في حين كتابتي أصلي منه»(٣).

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٥٠٢/ ٣).

(٢) الزهد للإمام أحمد (١/ ٣١١)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٠)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٢١١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٨٥).

وهذه مقارنة بين حال المغتنمين للفرص ومآلاهم الجميل وحال المفرطين ومآلالهم الرذيل قال تعالىٰ: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم:٧٣] فالعاقل الموفق ينظر أي الطريقين آمن وخير المآلين أنعم يختاره لنفسه قبل فوات الفرصة وضياع العمر وقبل أن يعض المفرط علىٰ يديه ويقرع النادم سن الندامة حين لا مندم.

✍ **قال العلامة الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما كون الرذائل حلوة الأوائل مرة العواقب فصدق هذا غير خاف علىٰ ذي لب فإن من أرسل عنان شبابه في البطالات وحل رباط نفسه فأجراها في ميادين اللذات أدرك من اللذة الجسمانية من ذلك بحسب ما يتفق له منها ولا سيما إذا كان ذا مال وجمال ولكنها تنقضي عنه اللذة وتفارقه هذه الحلاوة إذا تكامل عقلها ورجح فهمه وقوي فكره فإنه لا يدري عند ذلك ما يدهمه من المرارات التي منها الندامة علىٰ ما اقترفه من معاصي الله ثم الحسرة علىٰ ما فوته من العمر في غير طائل ثم علىٰ ما أنفقه من المال في غير حله ولم يفز من الجميع بشيء ولا ظفر من الكل بطائل.

وتزداد حسرته وتتعاظم كربته إذا قاس نفسه بنفس من أشتغل بطلب المعالي من أترابه في مقتبل شبابه فإنه لا يزال عند موازنة ذاته بذاته وصفاته بصفاته في حسرات متجددة وزفرات متصاعدة ولا سيما إذا كان بيته في العلم طويل الدعائم وسلفه من المتأهلين لتلك المعالي والمكارم فإنه حينئذ تذهب عنه سكرة البطالة وتنقشع عنه عماية الجهالة بكروب طويلة وهموم ثقيلة وقد فاته ما فات وحيل بين العير والنزوان وحال الجريض دون

القريض وفي الصيف ضيعت اللبن.

فانظر أعزك الله أي الرجلين أربح صفقة وأكثر فائدة وأعظم عائدة فقد بين الصبح لذي عينين وعند الصباح يحمد القوم السرىٰ»(١).

✍ **قال الشاعر:**

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة ∴ فلن يدوم علىٰ الإنسان إمكان

✍ **وقال آخر:**

بادر الفرصة واحذر فوتها ∴ فبلوغ الفوز في نيل الفرص
واغتنم عمرك في وقت الصبا ∴ فهو إن زاد مع الشيب نقص
وابتدر مسعاك واعلم أن من ∴ بادر الصيد مع الفجر قنص

وأعظم الفرص فرصة الحياة حين لا تُنتهز قبل الموت فهذه الفرص من لم يغتنم تحولت من فرص إلىٰ غصص، ومن اغتنم هذه الفرص دل ذلك علىٰ قوة إرادة المغتنم وعزمه الموفق

✍ **وقال الشاعر العباسي محمد بن بشير(٢):**

كم من مضيع لفرصة قد أمكنت ∴ لغد وليس له غد بموات
كم إذا فاتت وفات طلابها ∴ ذهبت عليها نفسه حسرات

✍ **وقال الشيخ أبو عمار باموسىٰ -حفظه الله-:** «مشاريع الفاشلين

---

(١) أدب الطلب (١٣٦/ ١).

(٢) اللطائف والظرائف (ص ١٢٤).

الراسبين أربعة:

«ويقصد بهم المخذولين الذين لا يبالون فيها بالفرص الدينية».

وإذا قلت لهذا الصنف من الناس ما هو مشروعك في الحياة؟ فإن الحياة فرص، وحياتك فرصة؟

فيقول لك: مشروعي أن أجد عملًا ومالًا.

تقول له: ثم ماذا؟ يقول لك بعد ذلك أريد أبني بيتًا.

تقول له: ثم ماذا؟ يقول لك: ثم أتزوج.

تقول له: ثم ماذا؟ يقول لك: يكون عندي أسرة وأولاد.

تقول له: ثم ماذا؟ يقول لك: لا شيء، هذا أهم شيء في الحياة، الزوجة، والمال والبيت، والأولاد.

وملخص مشاريع الفاشلين في أربعة أشياء: (القرش والكرش والفرش والعرش).

القرش: المال بجميع أشكاله وصوره من حلاله أو حرامه.

والكرش: الأكل والشرب بجميع أشكاله وصوره.

والفرش: النوم والزوجة والنكاح.

والعرش: المناصب الدنيوية بجميع أنواعها وصورها وأشكالها.

وختامًا نقول له: هذه مشاريع البهائم والكفار أنت تأكل وهم يأكلون، أنت تشرب وهم يشربون أنت تنام وهم ينامون، وأنت تنكح وهم ينكحون

قال تعالىٰ في ذكر سياق المقارنة بين الموفقين وهمتهم وإلىٰ أين وصلت بهم حين كانوا يعملون للآخرة منتهزين فرصة الدنيا لعلمهم برحيلهم عنها وأنها دار عمل وحال المخذولين وهمتهم وإلىٰ أين وصلت بهم حين كانوا مضيعون لفرصة الحياة في الدنيا وليس همهم فيها إلا همة البهائم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢].

✍ **فقد قال أمير المؤمنين علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قِيَمةُ كُل امرِئ ما يُحِسن».

✍ **قال ابن أبي الدُّنيَا**: قَالَ عمرو بْن بحر: «لا أعلم في كلام الناس كلمة أحكم من هذه الكلمة»(١).(٢).

وهذه نماذج من الفرص التي حث الشرع على اغتنامها واستغلالها قبل فواتها

أولاً: خمس فرص بعدها خمس غصص

❁ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**(٣).

---

(١) «الذخيرة» (٢٢٦/ ١)، و«تاريخ بغداد» (١٧٨/ ٦).

(٢) الحياة فرص (ص ٢٤٤).

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح علىٰ شرطهما صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥)، ورواه الحاكم عن ابن عباس وأحمد في الزهد والترمذي عن عمرو بن ميمون مرسلا. قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ١٠٧٧ في صحيح الجامع.

ثانيًا: فرصة الصباح والمساء

❁ فعن مُجَاهدٌ عَن عَبدِ الله بن عُمَر رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رسُولُ الله ﷺ بمَنكِبِي فقَالَ: «**كُن في الدُّنيَا كَأنكَ غَريب أو عَابر سَبيلٍ**».

❁ وكَان ابن عُمَر يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْت فلَا تنتظِر الصَّباحَ وإِذَا أَصْبحْت فلَا تنتظِر الْمَسَاءَ وخُذْ مِن صِحَّتكَ لِمَرضِكَ ومِن حَيَاتكَ لِمَوتكَ»(١).

ثالثًا: فرصة الفراغ والصحة

❁ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٢).

رابعًا: فرصة الأمن والأمان والعافية

❁ وعن عبيد الله بن محصن قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىٰ في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**»(٣).

خامسًا: وجود العلماء وتوافر أهل العلم وسهولة وسائل الطلب

❁ فعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل**» وفي رواية: «**يقل العلم ويظهر الجهل**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢).

(٣) رواه الترمذي (٤٣٤٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٠) قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٦٠٤٢ في صحيح الجامع.

(٤) رواه البخاري (٧٨)، ومسلم (٤٨٢٤).

❁ وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتىٰ إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»(١).

✍ **قال الخطيب البغدادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي لمن اتسع وقته وأصح الله تعالىٰ له جسمه، وحبب إليه الخروج من طبقة الجاهلين، وألقىٰ في قلبه العزيمة علىٰ التفقه في الدين، أن يغتنم المبادرة إلىٰ ذلك، خوفا من حدوث أمر يقتطعه عنه، وتجدد حال يمنعه منه وليستعمل الجد في أمره، وإخلاص النية في قصده، والرغبة إلىٰ الله في أن يرزقه علمًا يوفقه فيه، ويعيذه من علم لا ينتفع به»(٢).

ثامنًا: من أعمال الموفقين استغلال النعم وتسخيرها في الطاعة

✍ **قال الحسن**: «أشد الناس صراخًا يوم القيامة رجل سن ضلالًا فاتبع عليه، ورجل سيئ الملكة، ورجل فارغ استعان بنعم الله علىٰ معاصيه»(٣).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتكلم عن النعم «وكل هذا إكرامًا لك وعناية بأمرك وتخصيصًا لك وتفضيلًا علىٰ غيرك من الحيوانات أفيجمل بك الاشتغال بهذه النعم عن المنعم بها فكيف إذا استعنت بها علىٰ معاصيه وصرفتها في مساخطه فكيف إذا جحدته واضفتها إلىٰ غيره كما قال

---

(١) رواه البخاري (٩٨)، والترمذي (٢٥٧٦).

(٢) الفقيه والمتفقه (١٧٠/ ٢).

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٢٢/ ٨).

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢].

فجدير بمن له مسكة من عقل أن يسافر بفكره في هذه النعم والالاء ويكرر ذكرها لعله يوقفه علىٰ المراد منها ما هو ولأي شيء خلق ولماذا هيء وأي أمر طلب منه علىٰ هذه النعم كما قال تعالىٰ واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون فذكر آلائه تبارك وتعالىٰ ونعمه علىٰ عبده سبب الفلاح والسعادة لان ذلك لا يزيده إلا محبة لله وحمدًا وشكرًا وطاعة وشهود تقصيره بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه ولله در القائل:

قد هيؤك لأمر لو فطنت له ∴ فاربأ بنفسك أن ترعىٰ مع الهمل[١]

✍ **وقال الجنيد**: «سألني السري السقطي ما الشكر فقلت: أن لا يستعان بنعمه علىٰ معاصيه فقال: هو ذاك»[٢].

✍ **وقال الجنيد**: «كنت يومًا بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال: لي يا غلام ما الشكر فقلت: أن لا يعصىٰ الله بنعمه فقال: لي أخشىٰ أن يكون حظك من الله لسانك قال: الجنيد فلا أزال أبكي علىٰ هذه الكلمة التي قالها السري لي»[٣].

✍ **وقَالَ الإِمَامُ المَاوردِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ أبو حَازِمٍ: «إِن عُوفينا مِن شَر مَا أعْطِينا لَمْ يَضُرنا فقْدُ مَا زُوِيَ عَنا».

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢٢٩/ ١).

(٢) طبقات الحنابلة (١٢٨/ ١).

(٣) طبقات الحنابلة (١٢٨/ ١).

مَا زُوِيَ عَنا: أيْ مَا بعُدَ عَنا أو صُرف»(١).

✍ **وقال أبو بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رحم الله مَن كان قويًا فأعمل قُوته في طاعة،أو كان ضعيفا فكف عن معصية الله»(٢).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ زَازَان: «مِمَّا يَجِب لِلَّه عَلَىٰ ذِي النعْمَةِ بحَقِّ نعْمَته أن لَا يَتوصَّلَ بها إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ»(٣).

عشر نعم ضائعة معطلة من الانتفاع بها عند أكثر الخلق من المخذولين

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا، ولا يقدمه أمامه إلىٰ الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب، وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط، أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا تقربك خدمته إلىٰ الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، سعي ضائع.

وأعظم هذه الإضاعات اضاعتان هما أصل كل اضاعة: اضاعة القلب

---

(١) آدَاب الدِّين والدُّنيَا (٢٣٠).

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (١/ ٢٤٩).

(٣) عُدَّةُ الصَّابرين (١٣٥).

واضاعة الوقت، فإضاعة القلب من ايثار الدنيا علىٰ الآخرة، واضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوىٰ وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدىٰ والاستعداد للقاء، والله المستعان»(١).

(١) استغلال نعمة الجوارح الأعضاء

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهاهنا سر لطيف يجب التنبيه عليه، والتنبيه له والتوفيق له بيد من أزمة التوفيق بيده وهو أن الله سبحانه جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالا إن لم يحصل له فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي جعل له مثالا كمال العين بالأبصار، وكمال الأذن بالسمع، وكمال اللسان بالنطق، فإذا عدمت هذه الأعضاء القوىٰ التي بها كمالها حصل الألم والنقص بحسب فوات ذلك، وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفته سبحانه وإراداته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والشوق إليه والأنس به، فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذابا واضطرابا من العين التي فقدت النور الباصر ومن اللسان الذي فقد قوة الكلام والذوق، ولا سبيل له إلىٰ الطمأنينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدنيا وأسبابها»(٢).

(٢) نعمة العقل والسمع والبصر

۞ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك:١٠].

---

(١) الفوائد (١١٨/ ١).

(٢) الروح (٣٠٩/ ١).

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا علىٰ ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلىٰ اتباعهم»(١).

✍ **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَالُواْ﴾ معترفين بعدم أهليتهم للهدىٰ والرشاد: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ فنفوا عن أنفسهم طرق الهدىٰ، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه علىٰ حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عند الله، وجاء به رسول الله، علمًا ومعرفة وعملًا.

والأدلة العقلية: المعرفة للهدىٰ من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم -في الإيمان- بحسب ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن علىٰ من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير»(٢).

فائدة: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولله في كل جارحة من جوارح العبد عبودية تخصه، وطاعة مطلوبة منها، خلقت لأجلها وهيئت لها،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٧٨).

(٢) تيسير الكريم المنان (١/ ٨٧٦).

والناس ثلاثة أقسام في استعمال جوارحهم

أحدهما: من استعمل تلك الجوارح فيما خلقت له، وأريد منها، فهذا هو الذي تاجر الله بأربح التجارة، وباع نفسه لله بأربح البيع.

والصلاة وضعت لاستعمال الجوارح جميعها في العبودية تبعا لقيام القلب بها وهذا رجل عرف نعمة الله فيما خلق له من الجوارح وما أنعم عليه من الآلاء، والنعم، فقام بعبوديته ظاهرا وباطنا واستعمل جوارحه في طاعة ربه، وحفظ نفسه وجوارحه عما يغضب ربه ويشينه عنده.

والثاني: من استعمل جوارحه فيما لم تخلق له، بل حبسها علىٰ المخالفات والمعاصي، ولم يطلقها، فهذا هو الذي خاب سعيه، وخسرت تجارته، وفاته رضا ربه عَزَّوَجَلَّ عنه، وجزيل ثوابه، وحصل علىٰ سخطه وأليم عقابه.

والثالث: من عطل جوارحه، وأماتها بالبطالة والجهالة، فهذا أيضًا خاسر بائر أعظم خسارة من الذي قبله، فإن العبد إنما خلق للعبادة والطاعة لا للبطالة.

وأبغض الخلق إلىٰ الله العبد البطال الذي لا في شغل الدنيا ولا في سعي الآخرة. بل هو كل علىٰ الدنيا والدين، بل لو سعىٰ للدنيا ولم يسع للآخرة كان مذموما مخذولا، وكيف إذا عطل الأمرين، وإن امرأ يسعىٰ لدنياه دائمًا، ويذهل عن أخراه، لا شك خاسر»(١).

---

(١) أسرار الصلاة (٦/ ١).

✍ **قال الإمام ابن قيم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجوارح السبعة وهي: العين والأذن والفم واللسان والفرج واليد والرجل هي مراكب العطب والنجاة فحِفظُها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر»(١).

وما ذكره تعالىٰ عن إهمال المخذولين عن إعمال جوارحهم في طاعة الله واستعملوها في معصية الله مما تسبب لهم العقوبة ودخول النار قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف:١٧٩].

✍ **قال العلامة السعدي** «أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة.

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها.

﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ سماعا يصل معناه إلىٰ قلوبهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ، فسلبوا خاصية العقل.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان، تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالا منهم.

---

(١) إغاثة اللهفان(١/ ٨٠).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره.

خلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار، لتكون عونا لهم علىٰ القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها علىٰ ضد هذا المقصود.

فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون.

وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصبغ قلبه بالإيمان بالله ومحبته، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء، أهل الجنة، وبأعمال أهل الجنة يعملون»(١).

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سببًا للهداية

أي: هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدىٰ، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الأحقاف:٢٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٠٩/ ١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥١٣/ ٣).

❁ وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد:٨-١٠] فذكر هنا العينين التي يبصر بهما فيعلم المشاهدات وذكر هداية النجدين وهما طريقا الخير والشر وفي ذلك حديث مرفوع ومرسل وهو قول اكثر المفسرين وتدل عليه الآية الاخرىٰ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]، والهداية تكون بالقلب والسمع فقد دخل السمع في ذلك لزومًا وذكر اللسان والشفتين اللتين هما آلة التعليم فذكر الات العلم والتعليم وجعلها من آياته الدالة عليه وعلىٰ قدرته ووحدانيته ونعمه التي تعرف بها إلىٰ عباده ولما كانت هذه الاعضاء الثلاثة التي هي أشرف الأعضاء وملوكها والمنصرفة فيها والحاكمة عليها خصها سبحانه وتعالىٰ بالذكر في السؤال عنها فقال إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولًا فسعادة الإنسان بصحة هذه الاعضاء الثلاثة وشقاوته بفسادها قال ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوا هذه الثلاثة السمع والبصر والفؤاد والله تعالىٰ اعطىٰ العبد السمع ليسمع به اوامر ربه ونواهيه وعهوده والقلب ليعقلها ويفقهها والبصر ليرىٰ آياته فيستدل بها علىٰ وحدانيته وربوبيته فالمقصود بإعطائه هذه الآلات العلم وثمرته ومقتضاه»(١).

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لله علىٰ العبد في كل عضو من أعضائه أمر، وله عليه فيه نهي، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة. فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدىٰ شكر نعمته عليه فيه، وسعىٰ في تكميل

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٧).

انتفاعه ولذته به، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه، عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقت من أوقاته عبودية تقدمه إليه، وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت، تقدم إلىٰ ربه، وإن شغله بهوىٰ أو راحة وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر، ولا وقوف علىٰ الطريق البتة. قال تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ [المدثر:٣٧]»(١).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكُلُّ مَن اسْتعْمَلَ شَيْئًا في غَيْر طَاعَةِ الله فقَدْ كَفر نعْمَةَ الله في جَمِيعِ الأسْباب الَّتي لَا بدَّ مِنها لِإِقْدَامِه عَلَىٰ تلْكَ المَعْصِيَةِ»(٢).

(٣) استغلال نعمة المال

❁ فعن عمرو بن العاص قال: بعث إلىٰ النبي ﷺ «فأمرني أن آخذ علىٰ ثيابي وسلاحي ثم آتيه ففعلت فأتيته وهو يتوضأ فصعد إلىٰ البصر ثم طأطأ ثم قال: «**يا عمرو إني أريد أن أبعثك علىٰ جيش فيغنمك الله وأزعب لك زعبة من المال صالحة**» قلت: إني لم أسلم رغبة في المال إنما أسلمت رغبة في الإسلام فأكون مع رسول الله ﷺ فقال: «**يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح**»(٣).

---

(١) الفوائد (٢١٤/ ١).

(٢) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (٢٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وأحمد (٤/ ١٩٧ و٢٠٢ - ٢٠٣)، وابن حبان (١٠٨٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٩١)، وغيرهم. وإسناده =⇦

✍ **وعن أبي واقد الليثي قال**: كنا نأتي النبي ﷺ إذا أنزل عليه، فيحدثنا، فقال لنا ذات يوم «إن الله عَزَّوَجَلَّ قال: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله علىٰ من تاب»(١).

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**»(٢).

✍ **قال المبرد**: «قال سعيد بن المسيب: لا خير في مال رجل لا يصلح به عرضه، ويصل به رحمه، ويستغني به عن الأنام»(٣).

= صحيح علىٰ شرط مسلم، والكلام الذي في موسىٰ بن علي بن رباح يسير لا ينزل حديثه عن مرتبة الصحة، ولذلك لما صححه الحاكم (٢/ ٢) علىٰ شرط مسلم، وافقه الذهبي.

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٨٣: أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨ - ٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٠٠ و٣٣٠١) للحديث شواهد كثيرة معروفة فهو حديث صحيح، فراجع «فتح الباري» (١١/ ٢٥٣ - ٢٥٨ - طبع الخطيب).

(٢) رواه البخاري (٧١)، وأخرجه أحمد في مسنده قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٧٤٨٩ في صحيح الجامع.

(٣) مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٥/ ١).

❁ وعن يسار بن عبدالله الجهني رضي الله عنه قال: «كنا في مجلس، فجاء النبي ﷺ وعلىٰ رأسه أثر ماء، فقال له بعضنا: نراك اليوم طيب النفس، فقال: «**أجل، والحمد لله**»، ثم أفاض القوم في ذكر الغنىٰ، فقال: «**لا بأس بالغنىٰ لمن اتقىٰ، والصحة لمن اتقىٰ خير من الغنىٰ، وطيب النفس من النعيم**»(١).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ أبو إِسْحَاقَ السُّبيْعِيّ: «كَانوا يَرون السَّعَةَ عَونا عَلَىٰ الدِّين»(٢).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ سُفيَان: «المَالُ في زَمَاننا هذَا سِلَاحُ المُؤْمِنين»(٣)..

✍ **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعظم من يغبط: من كان عنده مال قد حصل له من حله، ثم سلط ووفق علىٰ إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة؛ فإن هذا من أعظم البرهان علىٰ الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان»(٤).

✍ **وقَالَ الإِمَامُ المَاوردِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ بعْضُ البلَغَاءِ: «خَيْر الأمْوالِ مَا أخَذْته مِن الحَلَالِ وصَرفته في النوالِ وشَر الأمْوالِ مَا أخَذْته مِن الحَرامِ

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٢٨٥: أخرجه ابن ماجه (٢١٤١)، والحاكم (٢/ ٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٢ و٣٨١) قال الحاكم: «صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا، فإن رجاله ثقات كلهم، وقال البوصيري في الزوائد»: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات».

(٢) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٩٦).

(٣) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٩٦).

(٤) بهجة قلوب الأبرار (١/ ٢٠٣).

وصَرفته في الآثَامِ»(١).

النوال: مَا تنالُ به شَرف الدُّنيَا والآخِرة.

✍ **وقَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ مُحَمَّدُ بن المُنكَدِر: «نعْمَ العَون عَلَىٰ التقَىٰ الغِنىٰ»(٢).

(٤) استغلال نعمة الوجاهة والمكانة في المجتمع

❁ فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا عن النبي ﷺ «**إن لله أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلىٰ غيرهم**»(٣).

❁ وحديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «**ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال**»(٤).

---

(١) آدَاب الدِّين والدُّنيَا (٤٠٨).

(٢) عُدَّةُ الصَّابرين (٢٥٥).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٢٦٤: أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (رقم ٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٢٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٥ و١٠/ ٢١٥)، والخطيب في «التاريخ» (٩/ ٤٥٩). وعلىٰ كل حال فالحديث عندي حسن بمجموع هذا المتابعات، وقد قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٢٥٠): «رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٢١٦٤ في صحيح الجامع.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» قال الشيخ الألباني: «وإسناده جيد».

❁ وعن جابر بن عبد الله: يقول: أرخص النبي ﷺ في رقية الحية لبني عمرو. قال أبو الزبير: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لدغت رجلًا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أرقي؟ قال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»(١).

✍ عن الحسن مرسلًا: «**أحب العباد إلىٰ الله تعالىٰ أنفعهم لعياله**»(٢).

(٥) اغتنام الليل وغفلة الناس للخلوة بطاعة الله

❁ وعن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده قال فقام يصلي من آخر الليل فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له فقال سلمان حافظوا علىٰ هذه الصلوات الخمس فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة فإذا صلىٰ الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل منهم من عليه ولا له ومنهم من له ولا عليه ومنهم من لا له ولا عليه فرجل اغتنم

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٧٦٤: أخرجه مسلم (٧/ ١٨ ١٩)، وأحمد (٣/ ٣٨٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٩٠)، ورواه أحمد (٣/ ٣٣٤). وفي رواية لمسلم وأحمد (٣/ ٣٠٢ ٣١٥) من طريق أبي سفيان عن جابر قال: «كان لي خال يرقي من العقرب، فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الرقىٰ، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله إنك قد نهيت عن الرقىٰ، وأنا أرقي من العقرب؟ فقال: فذكر الحديث. وفي رواية أخرىٰ من هذا الوجه: «نهىٰ رسول الله ﷺ عن الرقىٰ، فجاء آل عمرو بن حزم إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقىٰ، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرىٰ بأسا، من استطاع...». وأخرجه ابن ماجه (٣٥١٥).

(٢) (عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد) قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ١٧٢ في صحيح الجامع.

ظلمة الليل وغفلة الناس فركب فرسه في المعاصي فذلك عليه ولا لهومن له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه ومن لا له ولا عليه فرجل صلىٰ ثم نام فلا له ولا عليه إياك والحقحقة وعليك بالقصد وداومه»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنمَا يُقْطَعُ السَّفر ويَصِلُ المُسَافر بلُزُومِ الجَادَّةِ وسَيْر اللَّيْلِ فإِذَا حَادَ المُسَافر عَن الطَّرِيقِ ونامَ اللَّيْلَ كُلَّه فمَتىٰ يَصِلُ إِلَىٰ مَقْصَدِه»(٢).

حال المخذولين من النعم وكيف يستعملونها فيما يعود عليهم بالخسارة في الدنيا والآخرة فتكون نعم الله لهم استدراج وليست سراجًا.

❁ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالىٰ وإملاء لهم، عياذًا بالله من مكره؛ فلما فرحوا بما أتوا من الأموال والأولاد والأرزاق أي: علىٰ غفلة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] أي: آيسون من كل خير»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير موقوفا بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة قال الشيخ الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) (٦٣٣): (صحيح لغيره موقوف).

(٢) الفوائِد (٩٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٧).

✍ **وقال الحسن البصري**: من وسَّع الله عليه فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له. ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له.

✍ **وقال الحسن**: مكر بالقوم ورب الكعبة؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا. رواه ابن أبي حاتم.

✍ **وقال قتادة**: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعيمهم فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون. رواه ابن أبي حاتم أيضًا»(١).

❁ وعن عقبة بن عامر مرفوعًا «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا علىٰ معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا**: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤]»(٢).

✍ **قال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مأخوذ من الدرجة يعني الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة والمراد أخذه علىٰ التدريج درجة بعد درجة أي قليلًا قليلًا وذلك لأن العبد معتقد بإدرار نعم الله عليه أنه لكرامته علىٰ الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٣٠) رقم (٩١٣)، وفي الأوسط (٩٢٧٢)، والبيهقي في الشعب (٤٥٤٠)، وقول الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠)، وقال المناوي (١/ ٣٥٥) قال العراقي: إسناده حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١)، وفي السلسلة الصحيحة (٤١٤).

ورضاه عنه فلا يزال في غيه مطلقا وسنه في ضلاله حتىٰ يأتيه حمامه فإن قيل: في هذا الاستدراج منه تعالىٰ لعبده إيهام رضاه عنه وهو سبب إصراره علىٰ القبيح أجيب عنه بأن المكلف إذا كان عالما بقبح القبيح أو متمكنا من العلم به ثم رأىٰ نعم الله عليه تتوالىٰ وهو مقيم علىٰ عصيانه كان ترادفها كالمنبه له علىٰ الحذر»(١).

فلا قبح حينئذ وفي كلام نهج البلاغة: «ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره»(٢).

تاسعًا: من أعمال الموفقين اتخاذ لنفسه خبيئة عمل

❁ عن الزبير بن العوام رضي الله عنه مرفوعًا: «**من استطاع منكم أن يكون له خبئ من عمل صالح فليفعل**»(٣).

✍ **قال الصنعاني** رحمه الله: «وكل يستطيع ذلك فالموفق من ادخر له الأعمال الصالحة وكأن الإشارة بقوله خبء إلىٰ أنه عمل لا يطلع عليه»(٤).

---

(١) نهج البلاغة [١/ ١٧٩].

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٦١/ ٢).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٩٨: أخرجه الخطيب في التاريخ (١١/ ٢٦٣) للحديث شاهدا مرفوعًا، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (ق ٣٧/ ١) من طريق سلم بن جنادة السوائي قال: أخبرنا أبي، ومن طريق علي بن مسهر كلاهما عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر به مرفوعًا.
قلت: وهذا إسناد صحيح من الطريق الثانية طريق ابن مسهر، والطريق الأولىٰ شاهد لها، فثبت الحديث مرفوعًا، والحمد لله أولًا وآخرًا.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٨٣/ ١٠).

✍ **وقال عمرو بن علي الفلاس**: «سمعت ابن داود الخريبي يقول: كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته، ولا غيرها»(١).

✍ **وذكر عند الشافعي فهم القلب فقال**: «من أحب أن يفتح الله له قلبه أو ينوره، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، وترك الذنوب، واجتناب المعاصي، ويكون له فيما بينه وبين الله خبية من عمل؛ فإنه إذا فعل ذلك فتح الله عليه من العلم ما يشغله عن غيره، وإن في الموت وذكره لأكثر الشغل»(٢).

✍ **قال الأخطل النصراني**(٣):

وإذا افتقرت إلىٰ الذخائر لم تجد ∴ ذخرًا يكون كصالح الأعمال

✍ **قال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعنه: أنفع الذخائر التقوىٰ وأضرها العدوان»(٤).

✍ **قال الإمام الشعبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال: من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره، فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي، ويكون له خبيئة فيما بينه، وبين الله تعالىٰ من عمل، وفي رواية: فعليه بالخلوة»(٥).

---

(١) تهذيب الكمال (٤٦٤/ ١٤).
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١٧١/ ٢).
(٣) ديوان الأخطل (١/ ١٣٦).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٧٩/ ٨).
(٥) المجموع شرح المهذب (٢٢/ ١).

[من الأعمال التي تصلح أن تكون خبيئة عمل صالح]

أولاً: صنائع المعروف

❁ عن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»(١).

❁ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيًّا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف»(٢).

ثانيًا: الصدقات

❁ قال النبي ﷺ «صدقةُ السرِّ تطفئ غضب الرب»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٧٩٥ في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (صحيح الترغيب والترهيب) (٨٩٠) قال الشيخ الألباني: (حسن لغيره). انظر السلسلة الصحيحة (١٩٠٨).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٣٥: روي من حديث عبد الله بن جعفر وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأم سلمة وأبي أمامة ومعاوية بن حيدة وأنس بن مالك.

١) أما حديث عبد الله بن جعفر فأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص ٢١٤)، و«الأوسط» (١/ ٩٣/ ١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (ق ١١/ ١)، =

ثالثًا: أعمال السبعة الذين يظلون تحت ظل العرش يوم القيامة

❁ فعن أبي هريْرةَ عَن النبيِّ ﷺ قَالَ: «سَبعَةٌ يُظِلُّهمْ الله في ظِلِّه يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه الْإِمَامُ الْعَادِلُ وشَاب نشَأ في عِبادَةِ ربه ورجُلٌ قَلْبه مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ ورجُلَان تحَابا في الله اجْتمَعَا عَلَيْه وتفرقَا عَلَيْه ورجُلٌ طَلَبته امْرأةٌ ذَات مَنصِب وجَمَالٍ فقَالَ إِني أَخَاف الله ورجُلٌ تصَدَّقَ أَخْفىٰ حَتىٰ لَا تعْلَمَ شِمَالُه مَا تنفقُ يَمِينه ورجُلٌ ذَكَر الله خَالِيًا ففاضَت عَيْناه»(١).

رابعًا: أعمال الثلاثة الذين أووا للغار

❁ وعن ابن عمر أيضًا رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتىٰ أواهم المبيت إلىٰ غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة

= وأخرجه الحاكم أيضًا (٣/ ٥٦٨) رواه الحاكم، وإسناده منكر جدًّا.

٢) وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه العسكري في «كتاب السرائر» (١٧٩/ ١ - ٢).

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًّا.

٣) وأما حديث عبد الله بن عباس أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ١٧/ ٢).

٤) وأما حديث عمر بن الخطاب فأخرجه أبو بكر الذكواني في «اثنا عشر مجلسا» (٩/ ٢). قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًّا.

٥) وأما حديث أم سلمة فيرويه الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم - ٦٢٢٢).

قال الشيخ الألباني: وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب بل يلحق بالمتواتر عند بعض المحدثين المتأخرين.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠)، وأخرجه مسلم (١٧١٢).

إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فذكر الحديث إلىٰ أن قال الآخر الله م كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي فأردتها علىٰ نفسها فامتنعت مني حتىٰ ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار علىٰ أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتىٰ إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها الله م إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة»(١).

خامسًا: ما كان يعمله بلال بن رباح ركعتي الوضوء

❁ وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا فدعا بلالا فقال: «**يا بلال بم سبقتني إلىٰ الجنة إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي**» فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين ولا أصابني حدث قط إلا توضأت عنده فقال رسول الله ﷺ: «**بهذا**»(٢).

سادسًا: أعمال ثلاثة يحبهم الله

❁ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول انظروا إلىٰ عبدي**

---

(١) رواه البخاري (٢٠٦٣)، ومسلم (٤٩٢٦)، وتقدم بتمامه في الإخلاص.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (صحيح الترغيب والترهيب): (٢٠١) قال الشيخ الألباني: صحيح.

هذا كيف صبر لي بنفسه؟ والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام من السحر في ضراء وسراء»(١).

سابعًا: قراءة القرآن

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أوصني قال: «عليك بتقوىٰ الله فإنه رأس الأمر كله قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء»(٢).

عاشرًا: من أعمال الموفقين الحرص على أعمال أجرها بغير حساب

(١) دعاء الاستفتاح

❁ وعن أنس: أن رجلًا جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس فقال: الحمد لله حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه فلما قضىٰ رسول الله ﷺ صلاته قال: «**أيكم المتكلم بالكلمات؟**» فأرم القوم. فقال: «**أيكم المتكلم بالكلمات؟**» فأرم القوم. فقال: «**أيكم المتكلم بها فإنه لم يقل بأسًا**» فقال رجل: جئت وقد حفزني النفس فقلتها. فقال: «**لقد رأيت اثني عشر ملكًا يبتدرونها أيهم يرفعها**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (صحيح الترغيب والترهيب) (٦٢٩) قال الشيخ الألباني: (حسن).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢٢) (حسن لغيره).

(٣) رواه مسلم (٩٤٢).

❁ وفي لفظ «عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال رجل: الحمد لله كثيرًا فأعظمها الملك أن يكتبها فراجع فيها ربه عز وجل فقال اكتبها كما قال عبدي [كثيرًا]**»(١).

(٢) الصيام

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف قال الله تعالىٰ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم**»(٢).

✍ **قال العلامة النووي** رحمه الله: «وقيل معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته علىٰ مقدار ثوابها وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم والحث إليه وقوله تعالىٰ وأنا أجزي به بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولىٰ بنفسه الجزاء اقتضىٰ عظم قدر الجزاء وسعة العطاء»(٣).

✍ **قال العلامة ابن رجب** رحمه الله: «فعلىٰ الرواية الأولىٰ: يكون استثناء

---

(١) رواه الطبراني صحيح الترغيب والترهيب (١٥٧٧) قال الشيخ الألباني: (حسن لغيره).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٦١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٢٩/ ٨).

الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون العمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عَزَّوَجَلَّ أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠].

❁ ولهذا ورد عن النبي ﷺ: «**أنه سمىٰ شهر رمضان شهر الصبر**».

❁ وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «**الصوم نصف الصبر**»(١).

✍ و**قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدل علىٰ أن الصيام لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله عَزَّوَجَلَّ لأنه أفضل أنواع الصبر، و ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠]»(٢).

(٣) النحر في الحج

❁ عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنت جالسا مع النبي ﷺ في مسجد منىٰ فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسألك فقال: «**إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت**» فقالا أخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للأنصاري: سل فقال أخبرني يا رسول الله فقال: «**جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه....**» حتىٰ قال: «**وأما نحرك فمذخور لك عند**

---

(١) لطائف المعارف (١٦٨/ ١).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٠٤٠/ ٣).

ربك.....» إلخ[(١)].

(٤) الشهادة في سبيل الله

❁ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلىٰ الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنىٰ أن يرجع إلىٰ الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرىٰ من الكرامة**»[(٢)].

(٥) كظم الغيظ

❁ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[(٣)].

(٦) الصبر

❁ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠]،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له وقال وقد روي هذا الحديث من وجوه ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق قال المملي رضي الله عنه وهي طريق لا بأس بها رواتها كلهم موثقون ورواه ابن حبان في صحيحه قال الشيخ الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب): (حسن لغيره).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٠٦)، وأخرجه مسلم (٣٤٨٩).

(٣) صحيح ابن ماجة (٣٣٧٧) قال الشيخ الألباني: (صحيح) التعليق الرغيب ٣/٢٧٩.

✍ **نقل ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن الأوزاعي قال: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفا.

✍ **وقال ابن جريج**: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون علىٰ ذلك»(١).

✍ **قال العلامة القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي بغير تقدير. وقيل: يزاد علىٰ الثواب؛ لأنه لو أعطي بقدر ما عمل لكان بحساب»(٢).

(٧) الدعاء في آخر ساعة من الجمعة

❁ وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارىٰ من بعدك قال ما لنا فيها قال فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له يقسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاذه أو ليس عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيها قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة**»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٩٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٢٤١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي وأبو يعلىٰ مختصرًا ورواته رواة الصحيح والبزار واللفظ له وصححه العلامة الألباني صحيح الترغيب برقم (٣٧٦١).

(٨) الصدقة

❁ قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١].

✍ **قال الحافظ ابن رجب**: «فدلت هذه الآية علىٰ أن النفقة في سبيل الله تضاعف بسبع مئة ضعف»(١).

❁ عن أبي مسعود، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال: «**لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة**»(٢).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم**» فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله «**فالرجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به**»(٣).

الحادي عشر: من أعمال الموفقين المحافظة على أعمال يفرط فيها الناس ويغفل عنها وهي عظيمة الأجر

إن الله سبحانه وتعالىٰ قد جعل أعمال صالحة رتب عليها من الأجور

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٣٨/ ٣).

(٢) في «صحيح مسلم» (٦/ ٤١ (١٨٩٢) (١٣٢).

(٣) رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨٣).

العظيمة لكثرت من يغفل عنها أو يجهلها أو يشغل عنها فلا يجاهد نفسه في المحافظة والمداومة عليها والموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله.

من هذه الأعمال:

[١] صيام شهر شعبان

❁ عن أبي هريرة عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله أراك تصوم في شهر ما لم أرك تصوم في شهر مثل ما تصوم فيه؟ قال: «**أي شهر؟**» قلت: شعبان، قال: «**شعبان بين رجب ورمضان يغفل الناس عنه ترفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم**»(١).

«والحكمة كذلك: أن يشير بذلك إلىٰ أنه لما اكتنفه شهران عظيمان اشتغل الناس بهما فصار مغفولًا عنه، فأراد ﷺ بصيام ذلك حوز فضيلته وتنبيههم علىٰ كانوا عنه يغفلون»(٢).

✍ **قال العلامة المباركفوري** «وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها إن تكون (أي الطاعة) أخفىٰ وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لا سيما الصيام فإنه سر بين العبد وربه، ومنها إنه أشق علىٰ النفوس لأن النفوس تناسي بما تشاهد من أحوال بني الجنس فإذا كثرت يقظة الناس

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٥٢٢: أخرجه النسائي (١/ ٣٢٢)، وأبو بكر محمد بن الحسن المقرئ الحيارىٰ (!) الطبري العباد، في «الأمالي» (٣/ ٢) قال الشيخ الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٢٢) (حسن).

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني (٥/ ١٧).

وطاعتهم سهلت الطاعات، وإذ أكثرت، الغفلات وأهلها نأسي بهم عموم الناس فيشق علىٰ النفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدي بهم)، وأفضل العمل أشقة، ومنها أن المنفرد بالطاعة بين الغافلين قد يرفع به البلاء عن الناس»(١).

[٢] التبكير ليوم الجمعة

❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من غسَّل واغتسل، ودنا وابتكر، واقترب واستمع، كان له بكل خطوة يخطوها قيام سنة وصيامها**»(٢).

[٣] الجلوس بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس

❁ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلىٰ الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتىٰ تطلع الشمس ثم صلىٰ ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة**» قال: قال رسول الله ﷺ «**تامة تامة تامة**»(٣).

---

(١) مرعاة المفاتيح (٧/ ٣٦).

(٢) أخرجه سنن النسائي(١٣٨١)، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وأخرجه الترمذي (٤٩٥) قال محمود قال وكيع اغتسل هو وغسل امرأته قال ويروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال في هذا الحديث من غسل واغتسل يعني غسل رأسه واغتسل قال وفي الباب عن أبي بكر وعمران بن حصين وسلمان وأبي ذر وأبي سعيد وبن عمر وأبي أيوب قال أبو عيسىٰ حديث أوس بن أوس حديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي (٥٨٥) قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦٤) (حسن لغيره).

[٤] دعاء دخول السوق

❁ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علىٰ كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة**»(١).

[٥] قيام الليل

✍ عن طارق بن شهاب «أنه بات عند سلمان رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده قال فقام يصلي من آخر الليل فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له فقال سلمان حافظوا علىٰ هذه الصلوات الخمس فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة فإذا صلىٰ الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل منهم من عليه ولا له ومنهم من له ولا عليه ومنهم من لا له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب فرسه في المعاصي فذلك عليه ولا لهومن له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه ومن لا له ولا عليه فرجل صلىٰ ثم نام فلا له ولا عليه»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٧) قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٩٤) (حسن لغيره)، وانظر حديث رقم: ٦٢٣١ في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني في الكبير موقوفا بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٣٣) (صحيح لغيره موقوف).

[٦] المحافظة على تكبيرة الإحرام

❁ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من صلىٰ لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولىٰ، كتب له براءتان، براءة من النار وبراءة من النفاق**»(١).

[٧] الحرص على الدعاء في أوقات يغفل فيها الناس

أولاً: آخر ساعة من يوم الجمعة

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ «**التمسوا الساعة التي ترجىٰ في يوم الجمعة بعد العصر إلىٰ غيبوبة الشمس**»(٢).

ثانيًا: يوم الأربعاء بين الظهر إلى العصر

❁ وعن جابر يعني ابن عبد الله رضي الله عنهما «**أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثًا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٦٢٩: هو من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه الترمذي (١/ ٢٠١ - تحفة)، وأسلم الواسطي في «تاريخ واسط» (ص ٤٠) قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٦٣٦٥ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ١٦٥: رواه الترمذي (رقم ٤٨٩)، والحسن بن شقيق في «المنتقىٰ من الأمالي» (٢/ ٤٢)، وابن عدي (٢/ ٣٠٠ و١/ ٣٢٥)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٧٦ - ١٧٧)، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٥٨/ ٧٤٧)، وفي «الأوسط» (١/ ١٠/ ١٣٥ - بترقيمي) قال الشيخ الألباني: ثم إن الحديث عندي حسن بمجموع الطريقين، ثم إنه يرتقي إلىٰ درجة الصحة بحديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا نحوه أتم منه، رواه أبو داود وغيره، وصححه جمع، وهو مخرج في «صحيح أبي داود» (٩٦٣).

الصلاتين فعرف البشر في وجهه»(١).

✍ قال جابر رضي الله عنه «فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة».

ثالثًا ورابعا وخامسًا: عند نزول المطر والتقاء الجيشين وإقامة الصلاة

❁ عن مكحول مرسلًا عن النبي ﷺ: «**اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة ونزول المطر**»(٢).

سادسًا: الدعاء عند السحر

❁ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له فلا يزال كذلك حتىٰ يضيء الفجر**»(٣).

---

(١) رواه أحمد والبزار وغيرهما وإسناد أحمد جيد قال الشيخ الألباني: (حسن) صحيح الترغيب والترهيب (١١٨٥).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٤٥٣: أخرجه الشافعي في «الأم» (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤): قال الشيخ الألباني: لكن الحديث له شواهد من حديث سهل بن سعد وابن عمر وأبي أمامة خرجتها في «التعليق الرغيب» (١/ ١١٦)، وهي وإن كانت مفرداتها ضعيفة إلا أنه إذا ضمت إلىٰ هذا المرسل أخذ بها قوة وارتقىٰ إلىٰ مرتبة الحسن إن شاء الله تعالىٰ.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٤٦)، وفي الباب عن علي بن أبي طالب وأبي سعيد ورفاعة الجهني وجبير بن مطعم وبن مسعود وأبي الدرداء وعثمان بن أبي العاص قال أبو عيسىٰ حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح وقد روي هذا الحديث من أوجه

⇦=

❁ عن أمامة رضي الله عنه يقول حدثني عمرو بن عبسة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»(١).

سابعًا وثامنا وتاسعا: دعوة المسافر ودعوة الوالد لولده ودعوة الصائم

❁ عن أنس رضي الله عنه قال النبي ﷺ قال: «**ثلاث دعوت لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(٢).

[٨] العبادة في زمن الفتن

❁ عن المقداد بن الأسود مرفوعًا عن النبي ﷺ: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر**»(٣).

❁ عن عتبة بن غزوان أخي بني مازن بن صعصعة وكان من الصحابة أن

= كثيرة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وروي عنه أنه قال ينزل الله عز وجل حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر وهو أصح الروايات قال الشيخ الألباني: صحيح.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٧)، والحاكم والنسائي انظر حديث رقم: ١١٧٣ في صحيح الجامع قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٠٦: رواه البيهقي (٣/ ٣٤٥)، والضياء في «المختارة» (١٠٨/ ١)، وفي «المنتقىٰ من مسموعاته بمرو» (٩١/ ١) قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٣٠٣٢ في صحيح الجامع.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٧٠٣: رواه أبو داود (٤٢٦٣)، وفي لفظ أتم وهو: «إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها». قلت: وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم.

رسول الله ﷺ قال: «**إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم**» قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: «**بل منكم**»(١).

❁ ولفظ الطبراني عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدا منكم**»(٢).

❁ وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «**العبادة في الهرج كهجرة إليَّ**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٨١٢: أخرجه ابن نصر في «السنة» (ص ٩) لكن له شاهد من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا به. أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٧٦/ ١).

قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم. وله شاهد آخر من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا به. أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٢/ ١٧٧)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن حبان (١٨٥٠)، وابن أبي الدنيا في «الصبر» (ق ٤٢/ ١)، وقال الترمذي: «حديث حسن».

قلت: وقد نبه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما قد يفهم خطأ من بعض الناس أن من أمة محمد قد يكون له أجر أعظم أو قد يسبق الصحابة بعمله في الفتن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذلك الزمان عملا مثل ما يعمله أحدكم اليوم كان له أجر خمسين لغربة الإسلام، وقلة الأعوان. لكن لا يكون في آخر الزمان من يعمل مثل مجموع عمل السابقين الأولين كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم ولكن قد يعمل بعض ما يعمله الواحد منهم فيكون له علىٰ ذلك العمل من الأجر أضعاف ما لأحدهم من غير أن يكون المتأخر مساويا للسابقين الأولين». (أحاديث القصاص (٦٤رقم الحديث).

(٢) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٢٣٤ في صحيح الجامع.

(٣) رواه مسلم (٥٢٤٢).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده بل هم أعظم الناس صبرًا علىٰ ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن وفتنوا بأنواع الفتن وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة حتىٰ كان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «لا تغبطوا أحدا لم يصبه في هذا الأمر بلاء».

وبالجملة: فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»(١).

✍ **قال القرطبي**: «كأن في الحديث إشارة إلىٰ أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتىٰ يخف أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره ولا يبقىٰ لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة»(٢).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهرج: القتال والاختلاط. وإذا عمت الفتن اشتغلت القلوب، وإذا تعبد حينئذ متعبد دل علىٰ قوة اشتغال قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ فيكثر أجره»(٣).

✍ **قال العلامة النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٥٠/ ٤).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٥).
(٣) كشف المشكل (٤٢/ ٢).

ولا يتفرغ لها إلا الأفراد)»[١].

✍ **قال الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاسم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إذا عرفت ذلك، فالمعنىٰ الذي لأجله استحق الأجر العظيم والثواب، وساوىٰ فضل خمسين من الصحابة، إنما هو لعدم المعاون والمساعد، علىٰ ما ذكره الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب وغيرهما»[٢].

الثاني عشر: من أعمال الموفقين الحرص على مميزات الأعمال لأصحابها يوم القيامة

الأعمال يوم القيامة تميز أصحابها وهي خافضة رافعة والأعمال الصالحة تتمايز عن بعضها وتتفاضل في الأجر والثواب والمنزلة والمكانة التي يتبوؤها العامل بحسب شرف العمل والوعد المترتب عليه والكرامة المعدة للعامل من سائر الناس يوم القيامة وقد وردت في الأحاديث بعض الأعمال التي تميز أصحابها وترفع من شأنهم علىٰ رؤوس الأشهاد لا ينالها غيرهم فهم المكرمون بها دون الناس وهي أعمال يسيرة لمن يسرها الله عليه

أولًا: السبعة الأصناف المتميزون بالظل تحت العرش يوم القيامة

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله تعالىٰ في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا**

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم (١٨/ ٨٩).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٩١/ ٨).

ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا تأملت السبعة الذين يظلُّهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمُخالفة الهوىٰ»(٢).

✍ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه السبعة اختلفت أعمالهم في الصورة، وجمعها معنىٰ واحد، وهو مجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها، وذلك يحتاج أولًا إلىٰ رياضة شديدة وصبر علىٰ الامتناع مما يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطمع، وفي تجشم ذلك مشقة شديدة علىٰ النفس، ويحصل لها به تألم عظيم، فإن القلب يكاد يحترق من حر نار الشهوة أو الغضب عند هيجانها إذا لم يطفأ ببلوغ الغرض من ذلك، فلا جرم كان ثواب الصبر علىٰ ذلك أنه إذا اشتد الحر في الموقف، ولم يكن للناس ظل يظلهم ويقيهم حر الشمس يومئذ، وكان هؤلاء السبعة في ظل الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يجدوا لحر الموقف ألما جزاء لصبرهم علىٰ حر نار الشهوة أو الغضب في الدنيا»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠)، ومسلم (١٧١٢).

(٢) روضة المُحبين (٤٨٥).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/٤٦).

ثانيًا: سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب

❁ عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ «**أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عَزَّوَجَلَّ، فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا**»(١).

❁ حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سألت ربي عَزَّوَجَلَّ، فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفا علىٰ صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا، فقلت: أي رب إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: إذن أكملهم لك من الأعراب**»(٢).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٤٧٣: أخرجه أحمد (١/ ٦) من طريق المسعودي قال: حدثني بكير بن الأخنس عن رجل: فذكره، قال أبو بكر: فرأيت أن ذلك آت علىٰ أهل القرىٰ، ومصيب من حافات البوادي. قلت: وهذا سند ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم. والمسعودي كان اختلط واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود. لكن الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) عن زهير بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ.

قلت: وهذا إسناد علىٰ شرط مسلم لكن زهير هذا وهو أبو المنذر الخراساني فيه ضعف من قبل حفظه. والحديث قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣٤٥): «رواه أحمد والبيهقي في «البعث» من رواية سهل بن أبي صالح....، وسنده جيد وفي الباب عن أبي أيوب عند الطبراني وعن حذيفة عند أحمد وعن أنس عند البزار وعن ثوبان عند ابن أبي عاصم، فهذه طرق يقوي بعضها بعضا».

قلت: وعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عند أحمد أيضًا (١/ ١٩٧).

❁ عن زيد بن أسلم رضي الله عنه عن النبي ﷺ مرفوعًا قال: «**وعدني ربي تعالىٰ أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا، فاستزدته، فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا، وما أرىٰ بقي من أمتي شيء**»(١).

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال خرج رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط والنبي وليس معه أحد فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسىٰ في قومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادًا كثيرًا سد الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرًا سد الأفق فقيل: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفًا قدامهم يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلىٰ ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعله منهم**». ثم قام رجل فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**»(٢).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» ٤/ ٤٤٤: «ضعيف». رواه أبو بكر الشافعي في «الفوائد» (٩٧/ ١): حدثني أحمد بن يوسف البصري أخبرنا يونس بن عبد الأعلىٰ أخبرنا ابن وهب قال: وأخبرني هشام بن سعد .
قلت: وهذا سند ضعيف لإرساله، ورجاله موثوقون غير أحمد بن يوسف البصري فلم أعرفه. والحديث بهذه الزيادة التي في آخره: «وما أرىٰ بقي..». منكر عندي جدًّا، ومن أجلها أوردت الحديث هنا، وإلا فهو دونها صحيح، مخرج في «ظلال الجنة» (٥٨٨ و٥٨٩)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، وأخرجه مسلم (٣٢٠).

ثالثًا: أقوام يجلسون على منابر من نور عن يمين الرحمن

[١] المتحابون لأجل الله

❁ معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»(١).

❁ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال النبي ﷺ «**قال الله تعالىٰ: حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في؛ المتحابون في علىٰ منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**»(٢).

❁ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله** عَزَّوَجَلَّ **عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء علىٰ منازلهم وقربهم من الله**» فجثىٰ رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوىٰ بيده إلىٰ النبي ﷺ فقال يا رسول الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء علىٰ مجالسهم وقربهم من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٩)، وقال: وفي الباب عن أبي الدرداء وبن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن صحيح وأبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب قال الترمذي: حسن صحيح قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٤٣٢١ في صحيح الجامع.

الله أنعتهم لنا جلهم لنا يعني صفهم لنا شكلهم لنا فسر وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «**هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها فيجعل وجوههم نورًا وثيابهم نورًا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»(١).

❁ عن عمر بن الخطاب قال: قال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالىٰ**» قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله علىٰ غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم علىٰ نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، وقرأ هذه الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس:٦٢]»(٢).

[٢] المقسطين العادلين

❁ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(٣).

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلىٰ بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد قال الشيخ الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٧): (صحيح لغيره).

(٢) سنن أبي داود (٣٥٢٦) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) رواه مسلم (٣٤٠٦).

رابعًا: أقوام يحلون بحلل الجنة ويلبس من لباس الجنة على رؤوس الأشهاد

[١] من كظم غيظا

❁ عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو قادر علىٰ أن ينفذه دعاه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يخيره الله من الحور العين ما شاء**»(١).

[٢] من ترك اللباس تواضعًا لله

❁ عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الخلائق حتىٰ يخير من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**»(٢).

[٣] من عزى أخاه في مصيبة

❁ عن عمرو بن حزم يحدث عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله سبحانه من حلل الكرامة يوم القيامة**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٦)، والترمذي (٢٤٩٢)، وصحيح ابن ماجة (٣٣٧٥)، والروض ٤٨١ و٨٥٤، والتعليق الرغيب ٢٧٩/ ٣، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٣٤٦: أخرجه الترمذي (٢/ ٧٩)، والحاكم (٤/ ١٨٣)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤٨) بالجملة فالحديث صحيح بالمتابعات.

(٣) صحيح ابن ماجة (١٣٠١) (حسن) (الإرواء ٧٦٤ جنائز)، وانظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٠٨).

[٤] حافظ القرآن العامل به

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضىٰ عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة**»(١).

[٥] والدي حامل القرآن العامل به

❁ عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلم وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس ويكسىٰ والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا فيقولان بم كُسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن**»(٢).

الثالث عشر: من أعمال الموفقين الحرص على مضاعفة الأعمال

فائدة: بماذا يضاعف العمل مع أدلة ذلك؟ مع ذكر بعض الأعمال التي تضاعف.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية»:

فصل في تفاضل الأعمال بالإخلاص واليقين:

سبحانه قاسم فضله بين العبا ∴ د فذاك مولي الفضل والإحسان

---

(١) رواه الترمذي وحسنه وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الإسناد صحيح الترغيب والترهيب (١٤٢٥) قال الشيخ الألباني: (حسن).

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح علىٰ شرط مسلم انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٤٣٤) (حسن لغيره).

فالفضل عند الله ليس بصورة الأ ∴ عمال بل بحقائق الإيمان
وتفاضل الأعمال يتبع ما يقو ∴ م بقلب صاحبها من البرهان
حتى يكون العاملان كلاهما ∴ في رتبة تبدو لنا بعيان
هذا وبينهما كما بين السما ∴ والأرض في فضل وفي رجحان
ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا ∴ رتب مضاعفة بلا حسبان
هذا عطاء الرب جل جلاله ∴ وبذاك تعرف حكمة الرحمان

✍ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخرج ابن أبي حازم، من رواية عطية العوفي، عن ابن عمر قال: نزلت: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، في الأعراب، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، فما للمهاجرين؟

قال: ما هو أكثر، ثم تلا قوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠].

ويشهد لهذا المعنىٰ: ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في حق أزواج نبيه ﷺ، فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٠-٣٢].

فدل علىٰ أن من عظمت منزلته عند الله فإن عمله يضاعف له أجرة.

وقد تأول بعض السلف من بني هاشم دخول آل النبي ﷺ في هذا المعنىٰ، لدخول أزواجه، فكذلك من حسن إسلامه بتحقيق إيمانه وعمله

الصالح، فإنه يضاعف له أجر عمله بحسب حسن إسلامه، وتحقيق إيمانه وتقواه. والله أعلم.

ويشهد لذلك: أن الله ضاعف لهذه الأمة، لكونها خير أمة أخرجت للناس أجرها مرتين، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨]»(١).

✍ وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعلمها تكتب له بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتىٰ يلقي الله تعالىٰ

❁ وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف قال الله تعالىٰ إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**» وفي رواية لمسلم بعد قوله «**إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ ما يشاء الله**».

❁ وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذرعن النبي ﷺ قال: «**يقول الله من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفرها**».

❁ وفيه أيضا عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة**»

---

(١) تفسير ابن رجب (١/ ٤٧٦).

❁ وفي المسند عن خريم بن فاتك عن النبي ﷺ قال: «**من هم بحسنة فلم يعملها وعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن عملها كتبت له واحدة ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كتبت له بعشر أمثالها ومن أنفق نفقة في سبيل الله كانت له سبعمائة ضعف**»

✍ **ثم قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي المعنىٰ أحاديث أخر متعددة فتضمنت هذه النصوص كتابة الحسنات والسيئات والهم بالحسنة والسيئة فهذه أربعة أنواع:

النوع الأول عمل الحسنات فتضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ومضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنات وقد دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام:١٦٠].

وأما زيادة المضاعفة علىٰ العشر لمن شاء الله أن يضاعف له فدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة:٢٦١].

فدلت هذه الآية علىٰ أن النفقة في سبيل الله تضاعف بسبعمائة ضعف.

❁ وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال: «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة**».

❁ وفي المسند بإسناد فيه نظر عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ قال: «**من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن أنفق علىٰ نفسه وأهله وعياله أو عاد مريضًا أو أماط أذىٰ فالحسنة بعشر أمثالها**».

❁ وخرَّج أبو داود من حديث سهل بن معاذ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**إن الصلاة والذكر يضاعف علىٰ النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف**».

❁ وروىٰ ابن أبي حاتم بسنده عن الحسن عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال: «**من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية** ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١].

❁ وخرَّج ابن حبان في «صحيحه» من حديث عيسي بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال لما نزلت هذه الآية ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة:٢٦١] قال رسول الله ﷺ: «**رب زد أمتي**» فأنزل الله تعالىٰ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة:٢٤٥] فقال: «**رب زد أمتي**» فأنزل الله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

❁ وخرج الإمام أحمد من حديث علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليضاعف الحسنة ألفي حسنة**» ثم تلا أبو هريرة ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠] وقال: إذا قال الله أجرًا عظيمًا فمن يقدر قدره».

❁ وروىٰ عن أبي هريرة موقوفا وخرج الترمذي من حديث ابن عمر موقوفا: «**من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيىٰ ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو علي كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة**».

❁ ومن حديث تميم الداري مرفوعًا: «**من قال أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له كفوًا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة**» وفي كلا الإسنادين ضعف.

❁ وخرج الطبراني بإسناد ضعيف أيضًا عن ابن عمر مرفوعًا: «**من قال سبحان الله كتب الله له مائة ألف حسنة وقوله في حديث أبي هريرة إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**» يدل علىٰ أن الصيام لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله تعالىٰ لأنه أفضل أنواع الصبر و ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

وقد روىٰ هذا المعنىٰ عن طائفة من السلف منهم كعب وغيره وقد ذكرنا فيما سبق في شرح حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه أن مضاعفة الحسنات زيادة علىٰ العشر تكون بحسب حسن الإسلام كما جاء ذلك مصرحًا به في حديث أبي هريرة وغيره ويكون بحسب كمال الإخلاص وبحسب فضل ذلك»(١).

---

(١) جامع العلوم والحكم (٣٥٠/ ١).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها علىٰ المشاق حتىٰ يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر علىٰ قدر المشقة في كل شيء لا ولكن الأجر علىٰ قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلىٰ قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل. فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة. وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أن فضل الأعمال وثوابها ليس لمجرد صورها الظاهرة، بل لحقائقها التي في القلوب. والناس يتفاضلون ذلك تفاضلًا عظيمًا»(٢).

✍ **قال ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يدل علىٰ أن تضعيف حسنة العمل إلىٰ عشرة مجزوم به وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة وشرف العمل ونحو ذلك»(٣).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها يكتب له عشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها يكتب**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨١/ ٢٥).

(٢) منهاج السنة (٢٢٦/ ٦).

(٣) فتح الباري (٣٢٦/ ١١).

له مثلها حتىٰ يلقىٰ الله»(١).

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومضاعفة ثواب الحسنات تكون بأمور، منها:

الأول: الزمان، مثاله: قول النبي ﷺ في العشر الأول من ذي الحجة «ما **من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلىٰ الله من هذه الأيام العشر**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله، قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله**»(٢). هذا عظم ثواب العمل بالزمن.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر:٣].

الثاني: باعتبار المكان، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة**»(٣).

الثالث: باعتبار العمل فقد قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**»(٤). فالعمل الواجب أفضل من التطوع.

---

(١) متفق عليه أخرجه بمعناه: البخاري ١/ ١٧ (٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد - ج١/ ص٢٢٤، عن أبي معاوية بهذا الإسناد، (١٩٦٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجه (١٧٢٧)، والدارمي - ج٢/ ص٤١، وابن ماجة (٢٤٣٨)، والبخاري(٩٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، (٥٠٥).

(٤) أخرجه البخاري - كتاب: الرقاق، باب التواضع (٦٥٠٢).

الرابع: باعتبار العامل قال النبي ﷺ لخالد بن الوليد وقد وقع بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ما وقع «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه**»(١).

وهناك وجوه أخرىٰ في المفاضلة تظهر للمتأمل ومتدبر الأدلة»(٢).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأعمال تفضل بنيات أصحابها وطاعتهم لله تعالىٰ وما في قلوبهم من الإيمان بطاعتهم لله»(٣).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ «الأجر علىٰ قدر منفعة العمل، ومصلحته، وفائدته، وعلىٰ قدر طاعة أمر الله ورسوله. فأي العملين كان أحسن، وصاحبه أطوع وأتبع: كان أفضل. فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة، وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل»(٤).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمعول علىٰ السرائر، والمقاصد، والنيات، والهمم، فهي الإكسير الذي يقلب نحاس الأعمال ذهبا، أو يردها خبثا، وبالله التوفيق»(٥).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم، (٢٥٤١)، (٢٢٢).
(٢) شرح الأربعين النووية (٣٧٥/ ١).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤٢٤/ ٢٧).
(٤) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ٢٨١).
(٥) زاد المعاد (٣٧٦/ ٣).

التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض فهكذا الأعمال والعمال عند الله والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي الذي إذا وضع منه مثقال ذرة علىٰ قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهبا والله المستعان»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالىٰ، فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلىٰ عياله ونفسه عبودية.

هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكن فرق عظيم بين العبودتين»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فتفاضل الأعمال عند الله تعالىٰ بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها.

فتفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه»(٣).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومضاعفة الحسنات زيادة علىٰ العشر تكون بحسب حسن الإسلام، كما جاء ذلك مصرحا به في حديث أبي

---

(١) مدارج السالكين (٣٣٠/ ١).

(٢) الوابل الصيب (٥/ ١).

(٣) الوابل الصيب (١٠/ ١).

هريرة وغيره، وتكون بحسب كمال الإخلاص، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه، وبحسب الحاجة إليه»(١).

أوقات وأزمان تضاعف فيه الأعمال والحسنات

[١] عشر ذي الحجة

❁ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلىٰ الله من هذه الأيام العشرة**» قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»(٢).

❁ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل أيام الدنيا العشر يعني عشر ذي الحجة قيل ولا مثلهن في سبيل الله قال ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب**»(٣).

❁ وفي لفظ قال النبي ﷺ «**ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة**» قال: فقال رجل: يا رسول الله هن أفضل أم عدتهن جهادا في سبيل الله قال: «**هن أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله إلا عفير يعفر وجهه في التراب**»(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم (١٠٤٠/ ٣) (٣١٣/ ١).

(٢) رواه البخاري برقم(٩١٦)، والترمذي برقم (٦٨٨).

(٣) رواه البزار بإسناد حسن في: صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٠) (صحيح لغيره).

(٤) أبو يعلىٰ بإسناد صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه وقال الشيخ الألباني في: صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٠) (صحيح لغيره).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما نوافل عشر ذي الحجة فأفضل من نوافل عشر رمضان، وكذلك فرائض عشر ذي الحجة تضاعف أكثر من مضاعفة فرائض غيره. عن ابن عمر، قال: ليس يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة، ليس العشر فإن العمل فيه يعدل عمل سنة.

وممن روي عنه: أن صيام كل يوم من العشر يعدل سنة: ابن سيرين وقتادة وعن الحسن: صيام يوم منه يعدل شهرين.

وروىٰ هارون بن موسىٰ النحوي: سمعت الحسن يحدث، عن أنس، قال: كان يقال في أيام العشر بكل ألف يوم، ويوم عرفة عشرة آلاف يوم.

وفي «صحيح مسلم»، من حديث أبي قتادة - مرفوعًا - «**إن صيامه كفارة سنتين**».

وهذه النصوص: تدل علىٰ أن كل عمل في العشر فإنه أفضل من العمل في غيره، أما سنة أو أكثر من ذلك أو اقل. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بحقيقة ذلك كله.

وقد سبق في الحديث المرفوع: أن صيام كل يوم منه بسنة، وقيام كل ليلة منه يعدل ليلة القدر.

وهذا يدل علىٰ أن عشر ذي الحجة أفضل من عشر رمضان، لياليه وأيامه.

وقد تقدم عن ابن عمر، أن أيام العشر أفضل من يوم الجمعة، فلا يستنكر حينئذ تفضيل ليالي عشر ذي الحجة علىٰ ليلة القدر.

وعلىٰ تقدير أن لا يثبت ذلك، فقال بعض أعيان أصحابنا المتأخرين: مجموع عشر ذي الحجة أفضل من مجموع عشر رمضان، وإن كان في عشر رمضان ليلة لا تفضل عليها غيرها. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

وروىٰ سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن كعب: أحب الزمان إلىٰ الله الشهر الحرام، وأحب الأشهر الحرم إلىٰ الله ذو الحجة، وأحب ذي الحجة إلىٰ الله العشر الأول.

وروي عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة – مرفوعًا، ولا يصح، وكذا قال سعيد بن جبير: ما من الشهور أعظم حرمة من ذي الحجة»(١).

✍ **قال عبد الكريم عن مجاهد:** العمل في العشر يضاعف.

✍ **ثم قال الحافظ ابن رجب** «وقد دل حديث ابن عباس علىٰ مضاعفة جميع الأعمال الصالحة في العشر من غير استثناء شيء منها وقد روي في خصوص صيام أيامه وقيام لياليه وكثرة الذكر فيه»(٢).

[٢] شهر رمضان

✍ **عن الزهري، قال:** «تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره»(٣).

✍ **عن أبي بكر بن أبي مريم، قال:** «سمعت مشيختنا، يقولون: إذا حضر

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن رحب (٩/ ١٩).

(٢) لطائف المعارف (٢٨٩/ ١).

(٣) فضائل رمضان لابن أبي الدنيا (٥٠١/ ٤).

شهر رمضان، قد حضر مطهر، ويقولون: انبسطوا بالنفقة فيه، فإنها تضاعف كالنفقة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون: التسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره»(١).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف قال عَزَّوَجَلَّ: إلا الصيام فإنه لي وأنا الذي أجزي به إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(٢).

❁ وفي رواية: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**».

❁ وفي رواية للبخاري: «**لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا الذي أجزي به**».

❁ وخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه ولفظه: «**كل عمل ابن آدم له كفارة إلا الصوم والصوم لي وأنا أجزي به**».

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ «فعلىٰ الرواية الأولىٰ: يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة فتكون العمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عَزَّوَجَلَّ أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر وقد قال الله

---

(١) فضائل رمضان لابن أبي الدنيا (٤/ ٧٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٦١)، ومسلم (١٩٤٢).

تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠] ولهذا ورد عن النبي ﷺ: «**أنه سمىٰ شهر رمضان شهر الصبر**»، وجاء عن أنس: سئل النبي ﷺ أي الصدقة أفضل؟ قال: «**صدقة في رمضان**».

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ قال: «**عمرة في رمضان تعدل بحجة**» **أو** قال: «**حجة معي**».

وفي شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة: منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه»(١).

✍ **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «[أن عمل الصائم مضاعف].

✍ **قال النخعي**: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه أفضل من ألف ركعة

«فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلىٰ سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفا علىٰ سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذي فرضه الله علىٰ عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن رجَب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَان جُودُه ﷺ يَتضَاعَف في شَهر رمَضَان عَلَىٰ غَيْره مِن الشُّهور كَمَا أن جُودَ ربه يَتضَاعَف فيه أيضًا»(٣).

---

(١) لطائف المعارف (١٦٨/ ١) (١٦٣).

(٢) لطائف المعارف (١٦٨/ ١).

(٣) لَطَائِف المَعَارف (٣٨٦).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن رجَب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالله سُبحَانه أجْودُ الأجْودِين وجُودُه يَتضَاعَف في أوقَات خَاصَّةٍ كَشَهر رمَضَان»(١).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمَّا كثُرت أسباب المَغفرة في رمضان، كان الَّذِي تفوته المغفرةُ فيه، محرومًا غاية الحرمان»(٢).

أماكن تضاعف فيها الأعمال

[١] تضاعف الصلاة في الحرمين الحرم المكي والحرم النبوي

❁ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»(٣).

❁ عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**»(٤).

فكل الصلوات في الحرمين تُضاعف لورود اللفظ نكرة «صلاة» الدال علىٰ عموم كل الصلوات بما فيها:

(١) الفريضة في الحرم المكي بمائة ألف فريضة.

---

(١) لَطَائِف المَعَارف (٣٨٣).

(٢) لطائف المعارف (٢١١).

(٣) وأخرجه البخاري برقم (١١١٦)، ومسلم برقم (٢٤٧٠).

(٤) رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين قال الشيخ الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (١١٧٣) (صحيح)، وانظر حديث رقم: ٣٨٣٨ في صحيح الجامع.

(٢) صلاة النافلة بمائة ألف نافلة.

(٣) صلاة الجمعة بمائة ألف جمعة.

(٤) صلاة الجنازة بمائة ألف صلاة جنازة.

وتوضيح ذلك: ركعتان في المسجد الحرام نافلة، تساوي (٢٠٠ ألف ركعة)، أي صلاة النوافل في (٤٦) سنة كاملة.

وصلاة (١٠) ركعات في المسجد الحرام تساوي (٢٣٠) سنة، أي مليون ركعة

✍ **قال أبو بكر النقاش** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحسبت ذلك علىٰ هذه الرواية فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام وهي خمس صلوات عمر مائتين سنة وسبع وتسعين سنة وتسع أشهر وليال»(١).

[٢] تضاعف الصلاة في الفلاة -أي في الصحراء - بخمسين صلاة

❁ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة في جماعة تعدل خمسا وعشرين صلاة فإذا صلاها في فلاة فأتم ركوعها وسجودها بلغت خمسين صلاة**»(٢).

---

(١) التحقيق لابن الجوزي (١٤٢/ ٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٥٩) قال أبو داود: قال عبد الواحد بن زياد في هذا الحديث: صلاة الرجل في الفلاة تضاعف علىٰ صلاته في الجماعة، وساق الحديث قال الشيخ الألباني: صحيح خ الشطر الأول منه.

❁ وفي لفظ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد علىٰ صلاته وحده بخمس وعشرين درجة فإن صلاها بأرض قي فأتم ركوعها وسجودها تكتب صلاته بخمسين درجة**»(١).

[٣] تضاعف صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في المسجد

❁ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ قال: «**صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**»(٢).

❁ وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في دارها وصلاتها في دارها خير من صلاتها في مسجد قومها**»(٣).

[٤] تضاعف صلاة النافلة في البيت يضاعف كمضاعفة الفريضة في المسجد

❁ وعن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أراه رفعه قال: «**فضل صلاة**

---

(١) رواه الحاكم بلفظه وقال صحيح علىٰ شرطهما وصدر الحديث عند البخاري وغيره ورواه ابن حبان في صحيحه. انظر: وصححه الألباني الترغيب والترهيب (٤١٣).

(٢) سنن أبي داود (٥٦٩)، وابن خزيمة في صحيحه انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٥) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٣٤٢): حسن.

الرجل في بيته علىٰ صلاته حيث يراه الناس كفضل الفريضة علىٰ التطوع»[(١)].

❁ وعن صهيب رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ: «فضل صلاة الرجل في بيته علىٰ صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة علىٰ النافلة»[(٢)].

أعمال يضاعف الله ثوابها لأصحابها ومن ذلك:

(١) مضاعفة الصلوات الخمس بأجر خمسين

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ في حديث الإسراء وفيه «ففرض الله علىٰ أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتىٰ مررت علىٰ موسىٰ. فقال: ما فرض الله لك علىٰ أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلىٰ ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إلىٰ موسىٰ فقلت: وضع شطرها فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال: ارجع إلىٰ ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلىٰ موسىٰ فقال: راجع ربك. فقلت: استحييت من ربي»[(٣)].

(٢) مضاعفة القرآن واستماعه

❁ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفا

---

(١) رواه البيهقي وإسناده جيد إن شاء الله تعالىٰ انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٤١) (صحيح موقوف).

(٢) أخرجه الطبراني قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٤٢١٧ في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٦)، ومسلم برقم (٢٣٧).

من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(١).

✍ **قال العلامة ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المستمع للقرآن شريك للقارئ في كل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها»(٢).

(٣) الصدقة

❁ عن أبي هريرة يقول قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن تبارك وتعالىٰ حتىٰ تكون أعظم من الجبل ويربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**»(٣).

❁ عن خريم بن فاتك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت بسبعمائة ضعف**»(٤).

(٤) الصبر على البلاء

❁ عن عائشة قالت: «دخلت أم بشر بن البراء ابن معرور علىٰ رسول الله

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٩٠٨)، وصححه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب (١٤١٦).

(٢) نور علىٰ الدرب (٢٦/ ٣٥٠).

(٣) وأخرجه مسلم برقم (١٦٨٤)، والبخاري (١٣٢١)، وصحيح ابن ماجة (١٤٩٢)، وصححه الألباني (صحيح) الروض ١٠٨٣، والظلال ٦٢٣.

(٤) رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد، وصححه الألباني انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٢٣٦).

ﷺ، في مرضه الذي مات فيه وهو محموم فمسته، فقالت: ما وجدت مثل وعك عليك علىٰ أحد، فقال رسول الله ﷺ: «**كما يضاعف لنا الأجر، كذلك يضاعف علينا البلاء**»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين علىٰ غيره كقوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقوله انما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب قال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر قال الله تعالىٰ انما يوفىٰ الصابرون أجرهم بغير حساب قال كالماء المنهمر»(٢).

(٥) بعض الأعمال يؤتى ثواب الأعمال لأصحابها الأجر مرتين

وقد ذكر هذه الأعمال بتوسع رسالة للإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان «مطلع البدرين لمن يؤتىٰ أجره مرتين»

وهي وقد علق عليها الشيخ سليم الخوخي -حفظه الله- القائم علىٰ الدعوة والتدريس بمدينة الخوخة بمسجد السنة في شهر شوال عام ١٤٤٣ للهجرة النبوية بتعليقات صوتية مسجله مفيدة ينصح بالاستماع إليها في ستة مجالس

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٧٥: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣١٤): صحيح بشواهده.

(٢) عدة الصابرين (٥٨/ ١)، والمدارج (٢/ ١٥١).

الرابع عشر: من أعمال الموفقين البخل بالحسنات والشح في إنفاقها لأهل المظالم

❁ عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك**»، فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ: «ما لك ما تقرأ كتاب الله، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]، فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء -يعني عبيده- أشهدك أنهم كلهم أحرار»(١).

اعلم _حفظك الله _ أن المؤمن الموفق يحافظ علىٰ حسناته، ويخاف عليها البطلان أو الخسران و النقصان، ويخاف أن تُرد عليه ولا تُقبل منه، فإذا وفَّقه اللهُ لحسنة من الحسنات فهو أشد حرصًا عليها من البخيل علىٰ كنزه، ومن الشحيح علىٰ ماله، لا ينفقها ولا يضيعها، ولا يرضىٰ لأحد أن يأخذ منها شيئًا، ولربما كان الشحُّ والبخلُ علىٰ الأهل والأقارب والأصحاب والجيران، هكذا الحرص يفعل بأهله، فكن أنت أحرص علىٰ حسناتك منهم

---

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه العلامة الألباني في «صحيح الترغيب و الترهيب» (٣٦٠٦).

علىٰ أموالهم وكنوزهم يأخذ منها شيئًا ما المخذول فحاله كما قيل «يلتقط الدرهم ويضيع الدينار» يعني أنه يعمل الحسنة الصغيرة ويحرص عليها ويضيع حسناته الكبار للغرماء يوم القيامة، فهذا لا يبالي بحسناته ولا بتعبه، فكم تحمَّل لأجل الطاعات من مشاقٍّ وكلفة، ولكنه مفلس ينفد رصيده يومًا بعد يومٍ، نسأل السلامة، فلو قارن الواحدُ مِنَّا بموقف دنيوي، حين يشتغل في مهنة أو حرفة طيلة اليوم، يريد الأجرة، حتىٰ إذا فرغ من شغله، قال له من أجَّره: ليس لك عندي شيء!. أو أخذها عليه غيره، أو حصل علىٰ أجرة زهيدة قليلة وكان يؤمل الكثرة، كيف سيكون حاله في مثل هذا الموقف؟

أليس يُعد نفسه محرومًا ومغبونًا، فكيف لا يغبن ولا يتحسر علىٰ رأس ماله الحقيقي في الآخرة؟

فاللهم سلِّم سلِّم، نشكوا إلىٰ الله حالنا وتفريطنا، وقلة محاسبتنا لأنفسنا.

❁ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»(١).

✍ **قال عكرمة**: يلقىٰ الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت! وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين. فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا أتخوف مثل الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقىٰ ابنه فيتعلق به فيقول: يا بني، أي والد كنت لك؟ فيثني

---

(١) صحيح ابن ماجة (١٣٧١)، وصححه الألباني وقال: (حسن صحيح). التعليق الرغيب ٢/ ٩٧: المشكاة ٢٠١٤.

بخير. فيقول له: يا بني، إني احتجت إلىٰ مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترىٰ. فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. يقول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس:٣٤-٣٦](١).

من الأعمال التي تذهب بالأجور

[١] المظالم وحقوق العباد

۞ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضىٰ ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»(٢).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد

---

(١) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٨) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٢٥)، (٥٤٢/ ٦)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٨٠) من طريق يزيد به.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٥٢٧: أخرجه مسلم (٨/ ١٨)، والترمذي (٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧٢) عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه فذكره. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». قلت: وعلق البخاري في «صحيحه» (٨/ ٣٥) بعض طرفه الأول بلفظ: «**إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة**».

التوبة وهذا حق. ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين. فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعوضه بمثل مظلمته. وإن لم يعوضه في الدنيا فلا بد له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات حتىٰ إذا استوفىٰ المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا»(١).

✍ **قال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بئس الزاد إلىٰ المعاد العدوان علىٰ العباد»(٢).

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»(٣).

✍ **قال المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأكثر ما يدخل الموحدين النار حقوق العباد»(٤).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٨٨).

(٢) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ١٧/ ١).

(٣) رواه البخاري والترمذي وقال في أوله: «**رحم الله عبدًا كانت له عند أخيه مظلمة في عرض أو مال**». انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٢)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح).

(٤) فيض القدير (٣/ ٥٦٥).

صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤] فليس الشأن الإتيان بالطاعة انما الشأن في حفظها مما يبطلها»(١).

❁ عن ابن عمر: «أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلىٰ الله وأي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ فقال رسول الله ﷺ: وفيه «**وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»(٢).

✍ **قال الصنعاني في التيسير**: «أي أنه يعود عليه بالإحباط كالمتصدق إذا اتبع صدقته بالمن»(٣).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وإن العبد ليشتد فرحه يوم القيامة بما له قبل الناس من الحقوق في المال والنفس والعرض فالعاقل يعد هذا ذخرا ليوم الفقر والفاقة ولا يبطله بالانتقام الذي لا يجدي عليه شيئًا»(٤).

---

(١) عدة الصابرين (٥٢/ ١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٦٠٨: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠٩/ ٢)، وابن عساكر في «التاريخ» (١٨/ ١/ ٢) فرواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص ٨٠ رقم ٣٦)، وأبو إسحاق المزكي في «الفوائد المنتخبة» (١/ ١٤٧/ ٢) - ببعضه - وابن عساكر (١١/ ٤٤٤/ ١) من طرق عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي ﷺ (كذا قال ابن أبي الدنيا، وقال الآخران: عن عبد الله بن عمر - قال: قيل يا رسول الله من أحب الناس إلىٰ الله... «وفيه الزيادة. قلت: وهذا إسناد حسن، فثبت الحديث. والحمد لله تعالىٰ.

(٣) التيسير شرح الجامع الصغير (٦٢/ ٢).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٣).

✍ **قال عمر** رضي الله عنه: «إن في الإنسان عشرة أخلاق، تسعة حسنة، وواحدة سيئة، فيفسدها ذلك السيئ»(١).

✍ **قال ابن القيم** رحمه الله: «وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترىٰ أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلا أن تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به»(٢).

[٢] الغيبة

✍ **وقال البخاري**: «إني لأرجو أن ألقىٰ الله وليس أحد يطالبني أني اغتبته»(٣).

✍ **عن ليث عن مجاهد قال**: «خصلتان من حفظهما يسلم له صومه الغيبة والكذب»(٤).

✍ **قال ابن الجوزي** رحمه الله: «فكم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين وكم أحبطت من أجور العاملين وكم جلبت من سخط رب العالمين فالغيبة

---

(١) مصنف عبدالرازق (٤٠٦/ ٤).

(٢) الداء والدواء (١٦١/ ١).

(٣) البداية والنهاية (٣٢/ ١١).

(٤) شعب الإيمان (٣١٨/ ٣).

فاكهة الأرذلين وسلاح العاجزين»(١).

✍ **قال الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان يقول: «إياكم والغيبة، والذي نفسي بيده لهي أسرع في الحسنات من النار في الحطب»(٢).

✍ **عن كعب الأحبار** قال: «الغيبة تحبط العمل»(٣).

✍ **وقال سعيد بن جبير** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يؤتىٰ بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتابه، فلا يرىٰ فيه صلاته ولا صيامه، ويرىٰ أعماله الصالحة، فيقول يا رب، هذا كتاب غيري، كانت لي حسنات ليس في هذا الكتاب، فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسىٰ، ذهب عملك باغتيابك الناس.

فإياك يا أخي والغيبة والنميمة، فإنهما يضران بالدين، ويحبطان عمل العاملين، وتورث العداوة بين المسلمين، أعاذنا الله منهم»(٤).

❁ عن ابن عباس مرفوعًا به عن النبي ﷺ: «**يؤتىٰ بحسنات العبد وسيئاته، فيقتص بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة؛ وسع الله له في الجنة**»(٥).

---

(١) التذكرة في الوعظ (١/ ١٢٥).

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (١/ ١٧٥).

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا (١/ ١٢٩).

(٤) بحر الدموع (١/ ١٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١١٣)، والطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٣٢) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢١٨): «رواه الطبراني، وإسناده جيد» وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٤/ ١٥٨) من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم من هذا الوجه؛ وقال: «وهو حديث غريب، وإسناده جيد لا بأس به».

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقيل: مثل صاحب الغيبة كمثل من نصب منجنيقا، فهو يرمي به حسناته يمينًا وشمالًا، وشرقًا وغربًا»(١).

✍ **عن الأوزاعي يقول**: «بلغني أنه يقال للعبد يوم القيامة قم فخذ حقك من فلان فيقول ما لي قبله حق فيقال: بلىٰ ذكرك يوم كذا وكذا بكذا وكذا»(٢).

✍ **وروي عن ابن مهدي قال**: «لولا أني أكره أن يعصىٰ الله، لتمنيت أن لا يبقىٰ أحدا في المصر إلا اغتابني! أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها»(٣).

✍ **كان سفيان بن عيينة يقول**: «الغيبة أشد من الدين، الدين يقضىٰ، والغيبة لا تقضىٰ»(٤).

✍ **قال الإمام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أسوأ أنواع الكرم هو: كرمك في إهداء حسناتك للآخرين، غِيبةً، ونمِيمةً، وبهْتانًا، وسبًا، وشتمًا، وأجمل أنواع البخل هو: أن تمنع نفسك من هدر الحسنات، فالسعيد يستغفر من المعائِب، ويصبر علىٰ المصائِب»(٥).

---

(١) بحر الدموع (١٣١/ ١).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٣٠٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٥٩٠/ ٧).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٧٥).
(٥) [مجموع الفتاوىٰ ٤٥٤/ ٨].

✍ **وقال رجل لفضيل بن عياض**: «إن فلانًا يغتابني، قال: قد جلب الخير جلبا»(١).

✍ **قال وهيب بن الورد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله لترك الغيبة عندي أحب إلي من التصدق بجبل من ذهب»(٢)..

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن أدع الغيبة أحب إلي من أن يكون لي الدنيا منذ خلقت إلىٰ أن تفنىٰ، فأجعلها في سبيل الله تعالىٰ، ولأن أغض بصري عما حرم الله تعالىٰ، أحب إلي من أن تكون لي الدنيا وما فيها، فأجعلها في سبيل الله، ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات:١٢]، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠]»(٣).

✍ **زاذان أبو عمر قال**: دخلت علىٰ عبد الله بن مسعود، فوجدت أصحاب الميمنة والخز قد سبقوا إلىٰ المجالس، فناديته: يا عبد الله بن مسعود، من أجل أني رجل أعمىٰ أدنيت هؤلاء، وأقصيتني، قال: «ادنه» فدنوت حتىٰ ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: «يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصبان علىٰ رءوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قبله حق فليأت إلىٰ حقه، فتفرح المرأة أن يدور لها علىٰ زوجها الحق، أو علىٰ ابنها، أو علىٰ أختها»، ثم قرأ عبد الله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون:١٠١] «فيقول الرب

---

(١) حلية الأولياء (٨/١٠٩).

(٢) التوبيخ والتنبيه رقم (١٦٩).

(٣) «تنبيه الغافلين» (١/ ١٧٩).

للعبد: ائت هؤلاء حقوقهم، فيقول: أي رب، من أين آتيهم حقوقهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن يكن كان وليًّا لله فضلت له مثقال حبة من خردل يضاعفه الله له حتىٰ يدخله به الجنة»، ثم قرأ عبد الله: «﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠]»، وإن كان عبدًا شقيًّا قالت الملائكة: يا ربنا فنيت حسناته، وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلىٰ عمله السيئ، ثم صكوا به إلىٰ النار صكًّا»(١).

الخامس عشر: من أعمال الموفقين المبادرة والمسابقة والمسارعة إلى طاعة الله

لقد حثَّ ربنُّا سبحانه عبادَه ورغَّبهم وأمرهم بالمسابقة والمسارعة إلىٰ الخيرات، والمبادرات إلىٰ الطاعات، التي تقربهم عنده زلفىٰ، وتظفرهم بما لديه سبحانه من النعيم والسعادة والرضوان.

❁ قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران:١٣٣].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

---

(١) الزهد لابن المبارك (٤٩٨/ ١).

والجنة وما فيها من النعيم لا يدرك إلا بذلك وبترك الكسل ومغالبة الملل وكثرت العمل ورفع الجاهزية لفعل الخيرات وترك المنكرات وصدق العزيمة في الطلب والاستعجال في فعلها قبل فواتها وذهاب فرصتها ولم تكره العجلة ولم تذم في هذا الباب فقوله عليه الصلاة والسلام «**التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**»(١).

ترغيب ورفع همة المسلم في ذلك فإن عجلة العبد في هذا الأمر أمر مرغوب يسرع به إلىٰ الظفر بالمطلوب ولقد مدح أنبياءه وأصفياءه لنبوته ورسالته قال عز من قائل: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠].

❁ وقال تعالىٰ عن أوليائه والأتقياء من خلقه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦١].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلىٰ الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه، انتهزوه وبادروه، قد نظروا إلىٰ أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٠٣: رواه أبو داود (رقم ٤٨١٠)، والحاكم (١/ ٦٢)، والبيهقي في «الزهد» (٨٨/ ١) عن سعد بن أبي وقاص قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٠٠٩ في صحيح الجامع.

الزلفىٰ عند ربهم، فنافسوهم. ولما كان السابق لغيره المسارع قد يسبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره، أخبر تعالىٰ أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: للخيرات ﴿سَٰبِقُونَ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون»(١).

والملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وكذلك العمل الصالح يمدح المؤمن في قبره حين يصور للعبد المؤمن في قبره صورة العمل الصالح في صورة رجل حسن الهيئة وجميل الوجه

❁ عن البراء بن عازب قال: وفيه «**ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح كنت والله سريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرًا ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا فإذا رأىٰ ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلىٰ أهلي ومالي فيقال له اسكن**»(٢).

❁ وقد جاء الأمر بالمبادرة بالعمل الصالح قبل الفتن لما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٥٤/ ١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [١٧٨٧٢]، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه [٦٨٤٥] باب فتنة القبر، والحديث صحيح.

الدنيا»(١).

❁ وجاء الأمر بالمبادرة والمسارعة بالعمل الصالح قبل الموت قال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون:١٠].

وكذلك الأمر بالمبادرة بالأعمال قبل علامات الساعة التي يقفل بها باب العمل علىٰ من كان كافرًا وأما من كان مؤمنًا فإنه يبقىٰ علىٰ ما هو حتىٰ يموت أو تقوم الساعة عليه.

❁ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستًّا: الدخان، والدجال، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**»(٢).

❁ وكذلك جاء الحث علىٰ المبادرة قبل الشواغل والمشاغل التي تعرض للعبد مما يمنعه من ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**تعجلوا إلىٰ الحج يعني الفريضة**»(٣).

❁ عن ابن عباس عن الفضل أو أحدهما عن الآخر قال: قال رسول الله

---

(١) رواه مسلم (١٦٩) باب الحث علىٰ المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

(٢) رواه مسلم رقم [٥٢٤٠]، والترمذي [٢١٢١] باب ما جاء في المبادرة بالعمل.

(٣) رواه أبو القاسم الأصبهاني والحاكم وحسنه الألباني انظر صحيح الترغيب والترهيب(١١١١)، وقال (حسن لغيره)، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٩٥٧ في صحيح الجامع.

ﷺ «**من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة**»(١).

❁ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتىٰ يغرسها فليغرسها**»(٢).

ولاشك أن المفرط المتوان والملول الكسلان كم يفوته من الأجور ويحرم الثواب لو أنفق ما أنفق من الدثور عله لا يظفر بتلك الأجور مرة أخرىٰ لما روي عن ابن عباس قال: «بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه فقال أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم فلما صلىٰ مع النبي ﷺ رآه فقال: «**ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟**» فقال: أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم قال: «**لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم**»(٣).

✍ **قال سفيان الثوري** رحمه الله: «وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان»(٤).

---

(١) صحيح ابن ماجة (٢٣٣١) المشكاة ٩٩٠، الإرواء ٩٩٠، صحيح أبي داود قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٦٠٠٤ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذي (٥٢٦).

(٣) رواه الإمام أحمد ٣/١٨٣ ١٨٤ ١٩١، وكذا الطيالسي ٢٠٦٨، والبخاري في الأدب المفرد ٤٧٩، وابن الأعرابي في معجمه (ق ١/ ٢١) عن هشام بن زيد عنه قال الشيخ الألباني: (وهذا سند صحيح علىٰ شرط مسلم) انظر: السلسة الصحيحة (٩) (الفسيلة: هي النخلة الصغيرة وهي الودية).

(٤) حلية الأولياء (٨٢/ ٧).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الشيطان أحرص ما يكون علىٰ الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه»(١).

✍ **قال عمرو بن قيس الملائي**: «إذا سمعت شيئًا من الخير فاعمل به تكن من أهله ولو مرة»(٢).

✍ **قال ابن بطال**: «فيه أن الخير ينبغي أن يبادر به فإن الآفات تعرض والموانع تمنع والموت لا يؤمن والتسويف غير محمود زاد غيره وهو أخلص للذمة وأنفىٰ للحاجة وأبعد من المطل المذموم وأرضىٰ للرب وأمحىٰ للذنب وقد تقدمت بقية»(٣).

✍ **قال خالد بن معدان**: «إذا فتح لأحدكم باب الخير فليسرع إليه فإنه لا يدري متىٰ يغلق عنه»(٤).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كم جاء الثواب يسعىٰ اليك فوقف بالباب فرده بواب «سوف ولعل وعسىٰ»(٥).

✍ **محمد بن إسحاق الثقفي، قال**: «كان يقال: من استعمل التسويف والمنىٰ لم ينبعث في العمل، وكان يقال: من أقلقه الخوف، ترك أرجو،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٩٣).
(٢) الزهد للإمام أحمد (١/ ٢٧٦).
(٣) فتح الباري شرح ابن حجر (٣/ ٢٩٩).
(٤) الزهد للإمام أحمد (١/ ٣٨٤)، السير للذهبي (٢/ ٥٥٢).
(٥) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٣).

وسوف، وعسىٰ»[١].

✍ **حدثنا عبد الله قال: أنشدني أبو عبد الله أحمد بن أيوب:**

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ∴ فعسىٰ أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ∴ ذهبت نفسه الصحيحة فلتة[٢]

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضر من التسويف وطول الأمل»[٣].

السادس عشر: من أعمال الموفقين المحافظة على أوقاتهم من الضياع والهدر

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العبد المؤمل للآمال المستقبلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته على ما يستقبل من أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينًا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره»[٤].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا مستقلًّا في كتابه «طريق الهجرتين» يذكر فيه

---

(١) المتمنين لابن أبي الدنيا (٢٠٩/ ٥).
(٢) قصر الأمل لأبي الدنيا (١٤٦/ ١).
(٣) طريق الهجرتين (١/ ٤١٣).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٨٨).

البرنامج اليومي والجدول الزمني التي يسير عليه الموفقون وقد سماهم ابن القيم «بالأبرار المقتصدين» ثم أعقب بذكر «المقربين» ذكر فيه حال ذلك العبد وأعماله من حين قيامه لصلاة الصبح حتىٰ رجوعه إلىٰ فراشه في آخر يومه عند نومه جدول مليء بالعبودية والطاعة لا تضيع عليهم العبادات ولا تفوت حتىٰ العادات فإنهم يغنموها بالاحتساب.

✍ **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر أقسام الناس في الآية ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢]: وهم المخذولون.

قال فيهم: «أما الأشقياء فقطعوا تلك المراحل سائرين إلىٰ دار الشقاء متزودين غضب الرب سبحانه ومعاداة كتبه ورسله وما بعثوا به ومعاداة أوليائه والصد عن سبيله ومحاربة من يدعو إلىٰ دينه ومقاتلة الذين يأمرون بالقسط من الناس وإقامة دعوة غير دعوة الله التي بعث بها رسله لتكون الدعوة له وحده فقطع هؤلاء الأشقياء مراحل أعمارهم في ضد ما يحبه الله ويرضاه وأما السائرون إليه فظالمهم قطع مراحل عمره في غفلاته وإيثار شهواته ولذاته علىٰ مراضي الرب سبحانه وأوامره مع إيمانه بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر لكن نفسه مغلوبة معه مأسورة مع حظه وهواه يعلم سوء حاله ويعترف بتفريطه ويعزم علىٰ الرجوع إلىٰ الله فهذا حال المسلم وأما من زين له سوء عمله فرآه حسنا وهو غير معترف ولا مقر ولا عازم علىٰ الرجوع إلىٰ الله والإنابة إليه أصلا فهذا لا يكاد إسلامه أن يكون صحيحا أبدًا ولا يكون هذا إلا منسلخ القلب من الإيمان ونعوذ بالله من الخذلان».

ذكر حال الأبرار المقتصدون:

✍ **قال**: «وأما الأبرار المقتصدون فقطعوا مراحل سفرهم بالاهتمام بإقامة أمر الله وعقد القلب علىٰ ترك مخالفته ومعاصيه فهممهم مصروفة إلىٰ القيام بالأعمال الصالحة واجتناب الأعمال القبيحة فأول ما يستيقظ أحدهم من منامه يسبق إلىٰ قلبه القيام إلىٰ الوضوء والصلاة كما أمره الله فإذا أدىٰ فرض وقته اشتغل بالتلاوة والأذكار إلىٰ حين تطلع الشمس فيركع الضحىٰ ثم ذهب إلىٰ ما أقامه الله فيه من الأسباب فإذا حضر فرض الظهر بادر إلىٰ التطهر والسعي إلىٰ الصف الأول من المسجد فأدي فريضته كما أمر مكملًا لها بشرائطها وأركانها وسننها وحقائقها الباطنة من الخشوع والمراقبة والحضور بين يدي الرب فينصرف من الصلاة وقد أثرت في قلبه وبدنه وسائر أحواله آثارًا تبدو علىٰ صفحاته ولسانه وجوارحه ويجد ثمرتها في قلبه من الإنابة إلىٰ دار الخلود والتجافي عن دار الغرور وقلة التكالب والحرص علىٰ الدنيا وعاجلها قد نهته صلاته عن الفحشاء والمنكر وحببت إليه لقاء الله ونفرته من كل قاطع يقطعه عن الله فهو مغموم مهموم كأنه في سجن حتىٰ تحضر الصلاة فإذا حضرت قام إلىٰ نعيمه وسروره وقرة عينه وحياة قلبه فهو لا تطيب له الحياة إلا بالصلاة هذا وهم في ذلك كله مراعون لحفظ السنن لا يخلون منها شيء ما أمكنهم فيقصدون من الوضوء أكمله ومن الوقت أوله ومن الصفوف أولها عن يمين الإمام أو خلف ظهره ويأتون بعد الفريضة بالأذكار المشروعة.

ثم يركعون السنة علىٰ أحسن الوجوه هذا دأبهم في كل فريضة.

فإذا كان قبل غروب الشمس توفروا علىٰ أذكار المساء الواردة في السنة

نظير أذكار الصباح الواردة في أول النهار لا يخلون بها أبدًا.

فإذا جاء الليل كانوا فيه علىٰ منازلهم من مواهب الرب سبحانه التي قسمها بين عباده فإذا أخذوا مضاجعهم أتوا بأذكار النوم الواردة في السنة وهي كثيرة تبلغ نحوا من أربعين فليأتون منها بما علموه وما يقدرون عليه.

وبالجملة فلا يزال يذكر الله علىٰ فراشه حتىٰ يغلبه النوم هو يذكر الله فهذا منامه عبادة وزيادة له في قربه من الله.

فإذا استيقظ عاد إلىٰ عادته الأولىٰ ومع هذا فهو قائم بحقوق العباد من عيادة المرضىٰ وتشييع الجنائز وإجابة الدعوة والمعاونة لهم بالجاه والبدن والنفس والمال وزيارتهم وتفقدهم وقائم بحقوق أهله وعياله فهو متنقل في منازل العبودية كيف نقله فيها الأمر فإذا وقع منه تفريط في حق من حقوق الله بادر إلىٰ الاعتذار والتوبة والاستغفار ومحوه ومداواته بعمل صالح يزيل أثره فهذا وظيفته دائمًا».

ثم ذكر حال المقربين:

✍ **وقال**: «وأما السابقون المقربون فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولًا من وصف حالهم وعدم الاتصاف به بل ما شممنا له رائحة ولكن محبة القوم تحمل علىٰ تعرف منزلتهم والعلم بها وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ففي معرفة حال القوم فوائد عديدة منها أن لا يزال المتخلف المسكين مزريا علىٰ نفسه ذاما لها ومنها أن لا يزال منكسر القلب بين يدي ربه تعالىٰ ذليلا له حقيرا يشهد منازل السابقين وهو في زمرة المنقطعين ويشهد بضائع التجار وهو في رفقة المحرمين ومنها أنه عساه أن

تنهض همته يومًا إلىٰ التشبث والتعلق بساقة القوم ولو من بعيد ومنها أنه لعله أن يصدق في الرغبة واللجاء إلىٰ من بيده الخير كله أن يلحقه بالقوم ويهيئه لأعمالهم فيصادف ساعة إجابة لا يسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه ومنها أن هذا العلم هو من أشرف علوم العباد وليس بعد علم التوحيد أشرف منه وهو لا يناسب إلا النفوس الشريفة ولا يناسب النفوس الدنيئة المهينة فإذا رأىٰ نفسه تناسب هذا العلم وتشتاق إليه وتحبه وتأنس بأقله فليبشر بالخير فقد أهل له فليقل لنفسه يا نفس فقد حصل لك شطر السعادة فاحرصي علىٰ الشطر الآخر فإن السعادة في العلم بهذا الشأن والعمل به فقد قطعت نصف المسافة فهلا تقطعين باقيها فتفوزين فوزا عظيما ومنها أن العلم بكل حال خير من الجهل فإذا كان اثنان أحدهما عالم بهذا الشأن غير موصوف به ولا قائم به وآخر جاهل به غير متصف به فهو خلو من الأمرين فلا ريب أن العالم به خير من الجاهل وإن كان العالم المتصف به خيرًا منهما فينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه وينزل في مرتبته ومنها أنه إذا كان العلم بهذا الشأن همه ومطلوبه فلا بد أن ينال منه بحسب استعداده ولو لحظة ولو بارقة ولو أنه يحدث نفسه بالنهضة إليه ومنها أنه لعله يجري منه علىٰ لسانه ما ينتفع به غيره بقصده أو بغير قصده والله لا يضيع مثقال ذرة فعسىٰ أن يرحم بذلك العامل وبالجملة ففوائد العلم بهذا الشأن لا تنحصر فلا ينبغي أن تصغي إلىٰ من يثبطك عنه وتقول إنه لا ينفع بل احذره واستعن الله ولا تعجز ولكن لا تغتر وفرق بين العلم والحال وإياك أن تظن أن بمجرد علم هذا الشأن قد صرت من أهله هيهات ما أظهر الفرق بين العلم بوجوه الغنىٰ وهو فقير وبين الغني بالفعل وبين العالم بأسباب الصحة وحدودها وهو سقيم وبين الصحيح بالفعل

فاسمع الآن وصف القوم وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخرهم الجليل فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلىٰ التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح.

إذا أعجبتك خصال امرئ ∴ فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس علىٰ الجود والمكرما ∴ ت إذا جئتها حاجب يحجبك

فنبأ القوم عجيب وأمرهم خفي إلا علىٰ من له مشاركة مع القوم فإنه يطلع من حالهم علىٰ ما يريه إياه القدر المشترك وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فليها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب قد أنساهم حبه ذكر غيره وأوحشهم أنسهم به ممن سواه قد فنا بحبه عن حب من سواه وبذكره عن ذكر من سواه وبخوفه ورجائه والرغبة إليه والرهبة منه والتوكل عليه والإنابة إليه والسكون إليه والتذلل ... الخ»[(١)].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهم كله عليه. فالعارف ابن وقته فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبدًا».

✍ **قال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوىٰ حرفين: أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإن قطعته، وألا قطعك»[(٢)]. وذكر

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٣٢١).

(٢) «فإن لم تقطعه والا قطعك». وكذا وقع في المدارج (٣/ ٤٩). وفي المدارج (٣/ ١٢٩) كما هنا.

الكلمة الأخرىٰ[(١)].

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة[(٢)]، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر أسرع من مر السحاب.

فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره. وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم. فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته. وإذا كان العبد، وهو في الصلاة، ليس له إلا ما عقل منها، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله وله.

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر، فإما وساوس شيطانية وإما أماني باطلة وخدع كاذبة بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارىٰ والممسوسين والموسوسين.

---

(١) وهي كما ذكرها المصنف في المدارج (٣/ ١٢٩): «ونفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل». وموقع «والا» في هذا التركيب خطأ تكرر في كتب المصنف، والصواب حذفها. وقد زاد بعض ناشري كتابنا هذه الجملة هنا بعد إصلاحها: «ونفسك إن شغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل». انظر: ط عبد الظاهر (٢٠٩)، وط فايد (١٣٣)، وغيرهما. (ص). انظر قول الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٢٠٨). (ز).

(٢) وانظر في قولهم: «العارف ابن وقته» وتفسيره: مدارج السالكين (٣/ ٣٤١)، وانظر: أيضًا: (٣/ ١٢٨ - ١٣١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ٣٠٥).

ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق:

إن كـان منزلتـي في الحشـر عنـدكم ∴ مـا قـد لقيـت فقـد ضـيعت أيـامي
أمنيــة ظفــرت نفســي بهــا زمنــا ∴ واليـوم أحسـبها أضـغاث أحـلام(١)

واعلم أن ورود الخاطر لا يضر، وإنما يضر استدعاؤه ومحادثته.

فالخاطر كالمار علىٰ الطريق، فإن لم تستدعه وتركته مر وانصرف عنك وإن استدعيته سحرك بحديثه وخدعه وغروره. وهو أخف شيء علىٰ النفس الفارغة الباطلة، وأثقل شيء علىٰ القلب والنفس الشريفة السماوية المطمئنة»(٢).

✍ **قال المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والموفق لذلك قليل. وفي منشور الحكم: من الفراغ تكون الصبوة ومن أمضىٰ يومه في حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عتق يومه وظلم نفسه. قال:

لقــد هــاج الفــراغ عليــك شــغلا ∴ وأســباب الــبلاء مــن الفــراغ»(٣)

✍ **وقال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا أراد الله بالعبد خيرًا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعدا له وإذا أراد به شرًّا جعل وقته عليه وناكده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده الوقت والأول كلما همت نفسه بالقعود أقامه

---

(١) والبيتان لابن الفارض في ديوانه (٢٠٧)، وفيه: «ظفرت روحي» وفي البيت الأول: «ما قد رأيت».

(٢) الداء والدواء (٣٥٩/ ١).

(٣) فيض القدير (٢٨٨/ ٦).

الوقت وساعده»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولىٰ بها وأنفع في معادها»(٢).

✍ **قال الإمام الحميدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(٣)

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا ∴ سوىٰ الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ∴ لأخذ العلم أو إصلاح حال

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طوبىٰ لمن بادر عمره القصير، فعمر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير قبل فوات القدرة وإعراض النصير»(٤).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي للإنسان أن يعلم أن أعز الأشياء شيئان: قلبه ووقته، فإذا أهمل وقته وضيع قلبه ذهبت منه الفوائد»(٥).

✍ **عن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «إني لأبغض الرجل أراه فارغًا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته»(٦).

---

(١) مدارج السالكين (١٢٩/ ٣).
(٢) الفوائد (٣٣/ ١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦١).
(٤) الياقوتة مواعظ ابن الجوزي (٥٧/ ١).
(٥) حفظ العمر (٥٩/ ١).
(٦) الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٤/ ١).

✍ **قال معاذ الرازي يقول:** «المغبون من عطل أيامه بالبطالات، وسلط جوارحه علىٰ الهلكات، ومات قبل إفاقته من الجنايات»(١).

✍ **وفي وصية الإمام الموفق ابن غذاء طيب الله روحه ما لفظه:** «فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة، واعلم أن مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكل نفس ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها، ولا خلف منها، فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد في النعيم، أو العذاب الأليم، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعدل أكثر من ألف ألف ألف عام في نعيم لا خطر له أو خلاف ذلك، وما كان هكذا فلا قيمة له. فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير عمل، ولا تذهبها بغير عوض، واجتهد أن لا يخلو نفس من أنفاسك إلا في عمل طاعة أو قربة تتقرب بها، فإنك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها فكيف تفرط في ساعاتك وأوقاتك. وكيف لا تحزن علىٰ عمرك الذاهب بغير عوض». انتهىٰ(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كلَّ وقت بما هو أولىٰ بها وأنفع لها في معادِها»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أعظم الأشياء ضررا علىٰ العبد بطالته وفراغه فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٢٩٤/ ١).

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٣٥١/ ٢).

(٣) الفوائد [٤٥٨].

ولا بد»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان الزهد لأهل الدرجة الأولىٰ: خوفا من المعتبة وحذرًا من المنقصة: كان الزهد لأهل هذه الدرجة أعلىٰ وأرفع وهو اغتنام الفراغ لعمارة أوقاتهم مع الله لأنه إذا اشتغل بفضول الدنيا فاته نصيبه من انتهاز فرصة الوقت فالوقت سيف إن لم تقطعه وإلا قطعك.

وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلىٰ الله أو يعين علىٰ ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة فإنه متىٰ أخذها بنية القوة علىٰ ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت وإن كان له فيها أتم لذة فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات»(٢).

✍ **قال عريف اليماني**: «إن من إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه»(٣).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قلة التوفيق واضاعة الوقت، والوحشة بين العبد وبين ربه، وقسوة القلب، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك المعيشة، وكسف البال... تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله، كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار.

---

(١) طريق الهجرتين (٤١٣/ ١).

(٢) مدارج السالكين (١٨/ ٢).

(٣) الحلية لأبي نعيم (١٠/ ١٣٥).

وأضداد هذه تتولد عن الطاعة»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالزاهد أروح الناس بدنًا وقلبًا فإن كان زهده وفراغه من الدنيا قوة له في إرادة الله والدار الآخرة بحيث فرغ قلبه لله وجعل حرصه علىٰ التقرب إليه وشحه علىٰ وقته أن يضيع منه شيء في غير ما هو أرضىٰ الله وأحب إليه كان من أنعم الناس عيشًا واقرهم عينًا وأطيبهم نفسًا وأفرحهم قلبًا»(٢).

نماذج من همة السلف في حفظ الوقت

(١) همة ابن الجوزي وحفظه لوقته ويذكر من حال الناس في التفريط في ضياعها فيما لا ينفع

✍ **قال في كتابه صيد الخاطر**: «وإني لأذكر لك بعض أحوالي، لعلك تنظر إلىٰ اجتهادي، وتسأل الموفق لي؛ فإن أكثر الإنعام لم يكن بكسبي؛ وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية، وأنا في المكتب ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلا وافرا في الصغر، يزيد علىٰ عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكًا خارجًا.

ولقد كان الصبيان ينزلون إلىٰ دجلة، ويتفرجون علىٰ الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا وأقعد حجرة ٨ من الناس إلىٰ جانب الرقة فأتشاغل

---

(١) الفوائد (٣٥/ ١).

(٢) عدة الصابرين (٢٢٦/ ١).

بالعلم»[(١)].

✍ **وقال في موضع آخر**: «أعوذ بالله من صحبة البطالين! لقد رأيت خلقا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس، وما لا يعني، وما يتخلله غيبة!

وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصا في أيام التهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلىٰ بعض، ولا يقتصرون علىٰ الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.

فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق.

ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلىٰ فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه.

---

(١) صيد الخاطر (٥٠٣/ ١).

- ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنىٰ الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلىٰ الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين، والغلاء والرخص، إلىٰ غير ذلك: فعلمت أن الله تعالىٰ لم يطلع علىٰ شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥]»(١).

✍ **قال عنه العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان وهو صبي دينا مجموعا علىٰ نفسه لا يخالط أحدا ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان»(٢).

(٢) الحافظ المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

✍ **قال أبو إسحاق المرادي**: «جاورت الحافظ المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلةٍ من الليالي في ساعة من ساعات الليل، إلا وجدت ضوء المصباح في بيته، وهو مشتغل بالعلم، حتىٰ كان في حال الأكل والكتب عنده يشتغل فيها»(٣).

✍ **قال إسحاق بن إبراهيم**: «كان الحافظ المنذري لا يخرج من المدرسة التي يدرس فيها، لا لعزاء ولا لهناء ولا لفرح ولا لغير ذلك، بل

---

(١) صيد الخاطر (٢٤٠/ ١).

(٢) البداية والنهاية (٣١/ ٣٥).

(٣) بستان العارفين للنووي (٨٠/ ١)، قيمة الزمن عند العلماء (٧٠/ ١).

يستغرق كل الأوقات في العلم»[(١)].

✍ **قال صاحب كتاب «قيمة الزمن»**: «والمقصود بقوله: «كثير من الناس» إلىٰ أن الذي يوفق لذلك قليل، فالموفق العاقل من عرف كيف يستفيد من فراغه وصحته، ويضعهما في الموضع الذي يحقق له وللبشرية جمعاء السعادة الأبدية في الدارين، فإن كان كذلك فهو المغبوط وإلا فإنه هو المغبون الخاسر، فإما أن يحسن استثماره فيربح مع سلامة رأس المال، وإما أن يسيء استعماله، فيخسر مع ضياع رأس المال وبالتالي ضياعه هو وخسرانه»[(٢)].

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم - فيه - الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل»[(٣)].

✍ **وقال الحسن** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركت أقواما كان أحدهم أشح علىٰ عمره منه علىٰ درهمه، ولذا جسد ابن عمر هذه الحقيقة واستغل وقته في منزله استغلالا نفيسا، قيل لنافع ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال الوضوء لكل

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء عبدالفتاح أبو غدة (٦٩/ ١)، بستان العارفين للنووي (٨٠/ ١).

(٢) قيمة الزمن، د. خلدون الأحدب ص ٢١، ٢٢.

(٣) صيد الخاطر (٣٣/ ١).

صلاة والمصحف فيما بينهما»[(١)].

فالزمن نعمة جلىٰ ومنحة كبرىٰ، لا يدريها ويستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ، كما أشار إلىٰ ذلك لفظ الحديث الشريف فقال: «مغبون فيهما كثير من الناس»، فأفاد أن المستفيدين من ذلك قلة، وأن الكثير مفرط مغبون.

الغيرة الشديدة على الوقت عند العابد والعاقل الموفق

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه «وهو يتحدث عن منزلة الغيرة وشمولها لكثير من الأمور، فذكر منها الغيرة علىٰ الوقت بقوله: الغيرة علىٰ وقت فات! وهي غيرة قاتلة، فإن الوقت وحي التقضي -أي سريع الانقضاء- أبي الجانب، بطيء الرجوع. والوقت عند العابد: هو وقت العبادة والأوراد، وعند المريد: هو وقت الإقبال علىٰ الله، والجمعية عليه، والعكوف عليه بالقلب كله. والوقت أعز شيء عليه، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك! فإذا فاته الوقت لا يمكنه استدراكه البتة، لأن الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاص، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلىٰ تداركه»[(٢)].

ومعنىٰ أنها (غيرة قاتلة) أي أن أثرها يشبه القتل، لأن حسرة الفوت قاتلة، ولا سيما إذا علم المتحسر: أنه لا سبيل إلىٰ الاستدراك. وأيضًا

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (٢٥/ ١)، الزهد لابن المبارك (٤/ ١)، شرح السنة للبغوي (٢٢٥/ ١٤).

(٢) مدارج السالكين (٤٩/ ٣).

السابع عشر: من أعمال الموفقين المحافظة على بدائل الأعمال

الأعمال الصالحة تتفاوت في أجرها وثوابها فعلىٰ ذلك تتفاوت الناس في الإقبال والظفر بهذه الأعمال ولكن قد يدرك الإنسان عمل ويعجز عن أعمال لقلة مال أو ضعف قوة أو بعد مكان العبادة أو مانع يمنعه وهو صادق لو استطاع لفعل العبادة ولكنه لم ييأس من فوات الأجر فيبحث عن بدائل هذه العبادة فيما يستطيع عليه الضعيف فيما يعدلها في الثواب والأجر لا في سقوط الواجب وهذا من رحمة الله بالعباد فالموفق يحرص علىٰ الأعمال التي فيها عوض ما فاته وثواب وأجر ما لم يستطيع عليه في أعمال يسيرة وسهله والموفق من وفقه الله ومن تلك الأعمال التي فيها بدائل عن أعمال أخرىٰ.

أولاً: القرآن بديل عن أجزاء كبيرة منه في الأجر والثواب

(١) سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن

❁ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟**» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] **يعدل ثلث القرآن**»(١).

❁ ولفظ البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة**» فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال: «**الله الواحد الصمد ثلث القرآن**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٢٨).

❁ عَن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أن رجُلًا سَمِعَ رجُلًا يَقْرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] يُرَدِّدُها فلَمَّا أصْبحَ جَاءَ إِلَىٰ رسُولِ الله ﷺ فذَكَر ذَلِكَ لَه وكَأن الرجُلَ يَتقَالُّها فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**والَّذِي نفسِي بيَدِه إِنها لَتعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرآن**»(١).

(٢) سورة الكافرون وسورة الزلزلة وسورة النصر ربع القرآن

❁ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون] **تعدل ربع القرآن**»(٢).

❁ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] **تعدل ثلث القرآن** و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون] **تعدل ربع القرآن وكان يقرؤهما في ركعتي الفجر**»(٣).

❁ عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: فذكره وزاد: «**و** ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة] **ربع القرآن، و** ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر] **ربع القرآن**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٢٧).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ١٣١: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ق ٥٥/ ١)، والحاكم (١/ ٥٦٦ - تلخيص) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠٣/ ٢) قال الألباني فالحديث حسن بمجموع الطرق.

(٣) رواه أبو يعلىٰ بإسناد حسن والطبراني في الكبير واللفظ له قال الشيخ الألباني (صحيح لغيره). انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٥٨٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٦ - ١٤٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٨٠)، ⇦=

ثانيًا: قراءة القرآن بديل عن الصدقة

❁ وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلىٰ بطحان أو إلىٰ العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم**» فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلىٰ المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ **خير له من ناقة أو ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»(١).

بدائل عن الصدقة والنفقات

(١) التسبيح أدبار الصلوات

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن فقَراءَ الْمُهاجِرين أتوا رسُولَ الله ﷺ فقَالُوا ذَهب أهلُ الدُّثُور بالدَّرجَات الْعُلَىٰ والنعِيمِ الْمُقِيمِ فقَالَ **ومَا ذَاكَ** قَالُوا يُصَلُّون كَمَا نصَلِّي ويَصُومُون كَمَا نصُومُ ويَتصَدَّقُون ولَا نتصَدَّقُ ويُعْتقُون ولَا نعْتقُ فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**أفلَا أعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تدْركُون به مَن سَبقَكُمْ وتسْبقُون به مَن بعْدَكُمْ ولَا يَكُون أحَدٌ أفضَلَ مِنكُمْ إِلَّا مَن صَنعَ مِثْلَ مَا صَنعْتمْ**» قَالُوا بلَىٰ يَا رسُولَ الله قَالَ: «**تسَبحُون وتكَبرون وتحْمَدُون دُبر كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وثَلَاثِين مَرةً**» قَالَ أبو صَالِحٍ فرجَعَ فقَراءُ الْمُهاجِرين إِلَىٰ رسُولِ الله ﷺ فقَالُوا سَمِعَ إِخْواننا أهلُ الْأَمْوالِ بمَا فعَلْنا ففعَلُوا مِثْلَه فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**ذَلِكَ فضْلُ**

= والترمذي (٢/ ١٤٧)، وقال: «حديث حسن». ورجاله ثقات غير سلمة فإنه ضعيف لسوء حفظه أيضًا، فالحديث حسن بمجموع الطرق.

(١) رواه مسلم برقم (١٣٣٦) (١٢٤٤).

الله يُؤْته مَن يَشَاءُ»(١).

❁ وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: مر بي رسول الله ﷺ ذات يوم فقلت يا رسول الله قد كبرت سني وضعفت أو كما قالت فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة قال: «**سبحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة** - قال أبو خلف أحسبه قال - **تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لاحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت**(٢).

(٢) الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

❁ عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناسا قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال: «**أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به إن بكل تسبيحة صدقة وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٩٨)، ورواه مسلم (٩٣٦).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن واللفظ له والنسائي ولم يقل ولا يرفع إلىٰ آخره والبيهقي بتمامه ورواه ابن أبي الدنيا فجعل ثواب الرقاب في التحميد ومائة فرس في التسبيح وقال فيه وهللي الله مائة تهليلة لا تذر ذنبا ولا يسبقها عمل. قال الشيخ الألباني: (حسن). [انظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم الحديث: ١٥٥٣].

(٣) رواه مسلم برقم (١٦٧٤).

(٣) أعمال الخير والإحسان إلى الناس

❁ وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس** قيل يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها فقال «**إن أبواب الخير لكثيرة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الأذىٰ عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمىٰ وتدل المستدل علىٰ حاجته وتسعىٰ بشدة ساقيك مع الله فإن المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك علىٰ نفسك**»(١).

❁ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**في ابن آدم ستون وثلاثمائة سلامىٰ أو عظم أو مفصل علىٰ كل واحد في كل يوم صدقة كل كلمة طيبة صدقة وعون الرجل أخاه صدقة والشربة من الماء تسقيها صدقة وإماطة الأذىٰ عن الطريق صدقة**»(٢).

❁ وعن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**علىٰ كل نفس في كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه علىٰ نفسه**» قلت: يا رسول الله من أين أتصدق وليس لنا أموال؟ قال: «**لأن من أبواب الصدقة التكبير وسبحان الله**

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي مختصرًا قال الشيخ الألباني (صحيح لغيره). انظر صحيح الترغيب والترهيب(٢٩٧٠)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٩٠٨ في صحيح الجامع.

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ١١٧: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٢) فالحديث حسن إن شاء الله تعالىٰ.

والحمد لله ولا إله إلا الله وأستغفر الله وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتعزل الشوكة عن طريق الناس والعظمة والحجر وتهدي الأعمىٰ وتسمع الأصم والأبكم حتىٰ يفقه وتدل المستدل علىٰ حاجة له قد علمت مكانها وتسعىٰ بشدة ساقيك إلىٰ اللهفان المستغيث وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف كل ذلك من أبواب الصدقة منك علىٰ نفسك ولك في جماعك زوجتك أجر» قال أبو ذر: كيف يكون لي أجر في شهوتي؟ فقال: «**أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره، فمات أكنت تحتسبه؟**» قلت: نعم قال: «**فأنت خلقته؟**» قال: بل الله خلقه قال: «**فأنت هديته؟**» قال: بل الله هداه قال: «**فأنت ترزقه؟**» قال: بل الله كان يرزقه قال: «**كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه، فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر**»(١).

(٤) الابتسامة

❁ عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة**»(٢).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ١١٣: أخرجه الترمذي (١/ ٣٥٤)، والسياق له والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٨)، وابن حبان (٨٦٤).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ١١٥: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٨) هذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم. ورواه ابن حبان والنسائي كما رمز له في المنتخب (٢/ ٥٣٥)، والله أعلم.

(٥) صلاة الضحى تعدل ثلاثمائة وستين صدقة

❁ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يصبح علىٰ كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ**»(١).

(٦) التبكير إلى صلاة الجمعة في الساعات المبكرة تعدل قربات وصدقات

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولىٰ فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»(٢).

❁ في رواية البخاري ومسلم وابن ماجه «**إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة علىٰ باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر**».

❁ ورواه ابن خزيمة في صحيحه وفي رواية له أن رسول الله ﷺ قال: «**المستعجل إلىٰ الجمعة كالمهدي بدنة والذي يليه كالمهدي بقرة والذي يليه**

---

(١) رواه مسلم برقم (١١٨١).

(٢) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٠٦٣ في صحيح الجامع.

كالمهدي شاة والذي يليه كالمهدي طيرًا».

(٧) القرض الحسن من غير منة ولا أذى

❁ وعن سليم بن أذنان قال: «أسلفت علقمة ألفي درهم، فلما خرج عطاؤه قلت له: اقضيني، قال: أخرني إلىٰ قابل، فأتيت عليه فأخذتها، قال: فأتيته بعد، قال: برحت بي وقد منعتني، فقلت: نعم، هو عملك، قال: وما شأني، قلت: إنك حدثتني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**إن السلف يجري مجرىٰ شطر الصدقة**»(١).

❁ وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من أقرض ورقا مرتين كان كعدل صدقة مرة**»(٢).

(٨) إنظار المعسر وإمهاله إذا عجز عن السداد

❁ عن بريدة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: «**من أنظر معسرًا كان له بكل يوم صدقة، ومن أنظره بعد حله كان له مثله في كل يوم صدقة**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٧٠: أخرجه أحمد (١/ ٤١٢)، وأبو يعلىٰ (٣/ ١٢٩٨ - مصورة الكتب) فهو بمجموع ذلك صحيح. والله أعلم. راجع «تخريج الترغيب» (٢/ ٣٤).

(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ١٩)، وابن شاهين في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣١٤)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣٥٣). قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٠٨٠ في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأحمد وصححه العلامة الألباني قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦١٠٨ في صحيح الجامع.

❁ وفي لفظ: «من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة».

ثالثًا: الأعمال التي هي بديل أو تماثل الحج والعمرة في الأجر والثواب

(١) عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ

❁ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عمرة في رمضان تعدل حجة»(١).

(٢) الجلوس بعد صلاة الفجر في المسجد حتى تطلع الشمس.

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلىٰ الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتىٰ تطلع الشمس ثم صلىٰ ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة» قال: قال رسول الله ﷺ: «تامة تامة تامة»(٢).

(٣) التطهر والوضوء في البيت ثم يأتي مسجد قباء فيصلي فيه صلاة تعدل أجر عمرة

❁ عن سهل بن حنيف قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته ثم أتىٰ مسجد قباء فصلىٰ فيه صلاة كان له كأجر عمرة»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٣٠)، ومسلم برقم (٢٠٠٧).

(٢) رواه الترمذي برقم (٥٨٥)، وقال الألباني (حسن لغيره). انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٤٦٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٣٤٦ في صحيح الجامع.

(٣) صحيح ابن ماجة برقم (١١٦٠) قال الشيخ الألباني: (صحيح) التعليق أيضًا.

(٤) من تطهر وتوضأ في بيته وأتى إلى صلاة الجماعة

❁ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال النبي ﷺ «من مشىٰ إلىٰ صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة ومن مشىٰ إلىٰ صلاة تطوع فهي كعمرة نافلة»(١).

❁ وفي لفظ عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهرا إلىٰ صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلىٰ تسبيح الضحىٰ لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة علىٰ إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»(٢).

رابعًا: حسن الخلق وكفالة الأرملة والمسكين واليتيم تعدل الصائم النهار القائم الليل

❁ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله عز وجل لكرم ضريبته وحسن خلقه»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني قال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٦٥٥٦ في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود (٥٥٧)، وأخرجه أحمد في مسنده قال الشيخ الألباني (حسن) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٢٠)، وانظر حديث رقم: ٦٢٢٨ في صحيح الجامع.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٤٢: أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٢٠): قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وابن لهيعة واسمه عبد الله وإن كان قد ساء حفظه إلا أن عبد الله هذا وهو ابن المبارك صحيح الحديث عنه لأنه سمع منه قديما كما نبه علىٰ ذلك الحافظ عبد الغني ابن سعيد وغيره.

أخرجه الحاكم (١/ ٦٠)، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم». ووافقه الذهبي وهو

⇦=

❁ وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**إن الله ليبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة**»(١).

❁ وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالساعي في سبيل الله**» **وأحسبه قال: «كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر»**(٢).

❁ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار**»(٣).

خامسًا: الرباط في سبيل الله يعدل ليلة القدر وفي البيت الحرام

❁ عن مجاهد وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط ففزعوا إلىٰ الساحل ثم قيل لا بأس فانصرف الناس ووقف أبو هريرة فمر به إنسان فقال ما يوقفك يا أبا هريرة فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول:« **موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود**»(٤).

= كما قالا. وأخرجه هو وغيره من حديث عائشة مرفوعًا نحوه بلفظ: «درجات قائم الليل صائم النهار». وقال أيضًا: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان (١٩٢٧).

(١) أخرجه أيضًا الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (ص ٩/ ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٤)، وأخرجه مسلم برقم (٥٢٩٥).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٤٣٧: أخرجه أبو داود (٤٧٩٨)، وابن حبان (١٩٢٧)، والحاكم (١/ ٦٠)، والحديث علىٰ كل حال صحيح بما تقدم وقد وجدت له طريقا أخرىٰ عنها موصولة، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٤٩/ ١).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٥٧: رواه عباس الترقفي في «حديثه» =

❁ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم ليلة أفضل من ليلة القدر حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلىٰ أهله**»(١).

سادسًا: الرباط في سبيل الله يعدل الشهور والسنوات فيما سواها من العمل

❁ عن محمد بن المنكدر قال: مر سلمان الفارسي بشرحبيل بن السمط وهو في مرابط له وقد شق عليه وعلىٰ أصحابه قال ألا أحدثك يا بن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قال بلىٰ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم في سبيل الله أفضل وربما قال خير من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقي فتنة القبر ونمي له عمله إلىٰ يوم القيامة**»(٢).

❁ عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطًا في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه**

= (٢/٤١) رواه ابن حبان (١٥٨٣)، والحافظ ابن عساكر في «أربعين الجهاد» (الحديث ١٨). قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون، نعم قد قيل: إن مجاهد لم يسمع من أبي هريرة، هكذا حكاه في «التهذيب» بصيغة التمريض: «قيل: وهذا هو الصواب، فقد وجدت تصريح مجاهد بسماعه من أبي هريرة في «سنن البيهقي» (٧/ ٢٧٠) بسند صحيح عنه. وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٤٠٨/ ٣٥٠٧).

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٧٣٩: أخرجه الروياني في «مسنده» (ق ٢٤٧/ ٢): وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري غير عبد الرحمن بن عائذ، وهو ثقة كما في «التقريب». والحديث أخرجه الحاكم (٢/ ٨٠ - ٨١)، وعنه البيهقي (٩/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٥٣٧)، وأخرجه الترمذي (١٥٨٨).

برزقه وريح من الجنة ويجري عليه أجر المرابط حتىٰ يبعثه الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

سابعًا: إصلاح ذات البين بديل عن الصيام والصدقة والاعتكاف

❁ وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلىٰ. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**». وفي رواية: «**هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن أقول تحلق الدين**»(٢).

❁ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلًا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلىٰ الله فقال: «**أحب الناس إلىٰ الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ سرور تدخله علىٰ مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضىٰ ومن مشىٰ مع أخيه في حاجة حتىٰ يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٤٧٩ في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه، والترمذي وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ٧٥).

(٣) رواه الأصبهاني واللفظ له ورواه ابن أبي الدنيا عن بعض أصحاب النبي ﷺ ولم يسمه وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢٣) (حسن لغيره). انظر حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع.

الثامن عشر: من أعمال الموفقين كثرت الذكر

لقد أمر الله عباده المؤمنين بكثرة الذكر والتسبيح بالليل والنهار لما في ذلك من المنافع والعوائد والأجور التي يدعو ربنا عَزَّوَجَلَّ عباده للمحافظة والمسارعة إليها.

❁ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يأمر تعالىٰ المؤمنين، بذكره ذكرا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلىٰ الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، علىٰ جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلىٰ محبة الله ومعرفته، وعون علىٰ الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح»(١).

ووصف الله أولي الألباب بكثرة الذكر علىٰ جميع أحوالهم ومتقلبهم وليلهم ونهارهم.

❁ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٦٧/ ١).

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

✍ **قال العلامة السعدي** «ثم وصف أولي الألباب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم قياما وقعودا وعلىٰ جنوبهم وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنب»(١).

✍ **وقال علي بن أبي طلحة**، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١]: «إن الله لم يفرض علىٰ عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوبًا علىٰ تركه، فقال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:١٠٣]، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنىٰ والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلىٰ كل حال، وقال: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٢]»(٢).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن العبد إذا تعرف إلىٰ الله تعالىٰ بذكره في الرخاء عرفه في الشدة وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذاكر لله تعالىٰ إذا اصابته شدة أو سأل الله تعالىٰ حاجة قالت الملائكة يا رب صوت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٦١/ ١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٣٣/ ٦).

معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله عَزَّوَجَلَّ إذا دعاه وسأله قالت الملائكة يا رب صوت منكر من عبد منكر»(١).

من فضائل الذكر والذاكرين

[١] وصفهم النبي ﷺ بالسبق والمسارعة والفوز بعمل عظيم القدر كثير الأجر

❁ عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر علىٰ جبل يقال له: (جمدان)، فقال: «**سيروا هذا جمدان، سبق المفردون**». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(٢).

وفي لفظ «**سبق المفردون**». قالوا: يا رسول الله! ومن (المفردون)؟ قال: «**الذين يهترون في ذكر الله** عَزَّوَجَلَّ»(٣). (يهترون): أي يولعون.

✍ **قال ابن الأثير**: «يقال: (أهتر فلان بكذا واستهتر فهو مهتر به ومستهتر): أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره».

[٢] الذكر من أجل الأعمال وأرفعها عند الله وتعدل الصدقة والجهاد وأرجى الأعمال للنجاة من العذاب وصقالة القلب من الذنوب والقسوة

❁ عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من إنفاق**

---

(١) الوابل الصيب (٦٤/ ١).

(٢) رواه مسلم (٨/ ٦٣)، والبيهقي (١/ ٣١٣ - ٣١٤).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٣٠٤: أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣)، والحاكم (١/ ٤٩٥ - ٤٩٦)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣١٤ - هندية).

الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: بلىٰ، قال: «**ذكر الله**».

قال معاذ بن جبل: «ما شيء أنجىٰ من عذاب الله من ذكر الله»(١).

❁ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجىٰ من عذاب الله من ذكر الله**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولو أن يضرب بسيفه حتىٰ ينقطع**»(٢).

✍ **قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من هو الرابح؟! الرابح من اشتغل بذكر الله عَزَّوَجَلَّ»(٣).

[٣] الذكر فيه عوض وبدل لمن لم يستطع على نوافل العبادات

❁ عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**»(٤).

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٢٦٢٩ في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي واللفظ له. انظر [صحيح الترغيب والترهيب(١٤٩٥) قال الشيخ الألباني: (صحيح لغيره).

(٣) شرح رياض الصالحين ٤٤٦/ ٣.

(٤) رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن غريب وابن ماجه وابن حبان في =

❁ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من أحب، فمن ضنَّ بالمال أن ينفقه وخاف العدو أن يجاهده وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١).

[٤] صاحب الذكر له معية خاصة من الله تعالى بالتوفيق والتأييد والإعانة

❁ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(٢).

= صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد. انظر [صحيح الترغيب والترهيب (١٤٩١) (صحيح).

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٤٨٢: أخرجه الإسماعيلي في «المعجم» (١/ ١١٤): قلت: وهذا إسناد صحيح. أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٤٨ - ٣٤٩) أخرجه أبو داود في «الزهد» (١٦٤/ ١٥٧).أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٩٠)، وسنده صحيح. وقال الهيثمي (١٠/ ٩٠): «ورجاله رجال الصحيح» ورواه أيضًا الدولابي في «الكنىٰ» (١/ ١٤١)، والبغوي في «شرح السنة» (٨/ ١٠). وطرفه الآخر له شاهد يرويه القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا نحوه. أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٥ و٧٨٠٠ و٧٨٧٧)، وابن شاهين في «الترغيب» (٢٨٤/ ٢) هو حسن الحديث.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٥٦)، وأخرجه مسلم برقم (٤٨٣٢).

[٥] الذكر من خير الأعمال ومن أفضلها لحسن الخاتمة

❁ وعن عبد الله بن يسر قال: جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ فقال: أي الناس خير؟ فقال: «**طوبىٰ لمن طال عمره وحسن عمله**» قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «**أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله**»(١).

[٦] الذاكر لله تعالى دعوته مستجابة

❁ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**»(٢).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ٤٥١: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١١ - ١١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٩٤ - مخطوطة المكتب) عن عبد الله بن بسر المازني قال: «جاء أعرابيان إلىٰ رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: «**طوبىٰ لمن طال عمره وحسن عمله**». وقال الآخر: أي العمل خير؟ قال: «**أن تفارق**...» الحديث.
قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات. وأخرجه ابن حبان (٢٣١٧) بالشطر الثاني منه، والترمذي بتمامه مفرقا (٢/ ٥٢ و٢٤٢). وأخرجه أحمد (٤/ ١٨٨). وللحديث شاهد من رواية معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا نحوه. أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٨٠ - ٨١)، وابن حبان (٢٣١٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢)، وكذا البزار (ص ٢٩٤ - ٢٩٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٧/ ٢١٢). بإسناد حسن. ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا كما في «الترغيب» (٢/ ٢٢٨).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ٢١١: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٩٩/ ١). قلت: وهذا إسناده حسن رجاله رجال البخاري.

[٧] الذاكر لله تعالى حي القلب حي الروح بعكس الغافل فإنه ميت القلب والروح من نفخات الإيمان

❁ وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت**»(١).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذكر يُعطىٰ الذاكر قوة، حتىٰ إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه وكتابه أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا، وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن يسبِّحًا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين ويحمدا ثلاثًا وثلاثين ويكبرا أربعًا وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة، فعلمها ذلك وقال: «**إنه خير لكما من خادم**» فقيل أن من داوم علىٰ ذلك وجد قوة في يومه مغنيه عن خادم»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الله عَزَّوَجَلَّ يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ صعب إلا هان ولا علىٰ عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت فذكر الله تعالىٰ هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم يوضحه»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٢٨)، وأخرجه مسلم برقم (١٢٩٩).

(٢) الوابل الصيب (١/ ١٠٧).

(٣) الوابل الصيب (١/ ١٠٥).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفي به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة».

✍ **قال مالك بن دينار**: «وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليتخذ المؤمن وردا من الأذكار في النهار ووقت النوم وليصبر علىٰ ما يعرض له من الموانع والصوارف فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه ويكتب الإيمان في قلبه»(٢).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الذكر»:

«وهي منزلة القوم الكبرىٰ التي منها يتزودون وفيها يتجرون وإليها دائمًا يترددون والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل وهو قوت قلوب القوم الذي متىٰ فارقها صارت الأجساد لها قبورًا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متىٰ فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم

---

(١) الوابل الصيب (١١٠/ ١).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها (٢٨/ ١).

وبين علام الغيوب إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقبلون ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكًا مسرورًا ويوصل الذاكر إلىٰ المذكور بل يدع الذاكر مذكورًا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلىٰ جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلىٰ لقائه واشتياقًا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه ليقف خاطري في المسألة

---

(١) مدارج السالكين (٤٢٣-٤٢٤/ ٢).

والشيء أو الحالة التي تشكل علي فأستغفر الله تعالىٰ ألف مرة أو أكثر أو أقل حتىٰ ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل»(١).

التاسع عشر: من أعمال الموفقين الاحتساب والنية للعمل بالقلب إذا عجز عنه البدن

فالعبد الموفق الصالح السعيد حين يعجز عن العمل بجوارحه لا يعجز عن النية بقلبه، وذلك العمل هو النية الصالحة والاحتساب، وإنه ليسير لمن يسره عليه، وسهله لمن وفقه الله لاستحضار ذلك العمل الذي يغفل عنه كثير من الناس، وربما لا يعلم فضله وعظم شأنه وكثرة ثوابه وعلو منزلته عند الله تعالىٰ، فكم من مباح ضائع لا يوزن عند من لم يحتسبه، وكم من عمل مستطاع بالقلب سهل يؤجر عليه لم يفطن له، أو لم يعلم فضله، أو لم يستحضره الحسبة فيه، لربما بلغ العبد بنيته ما لا يبلغه العامل بعمله، وانظر إلىٰ حال السلف، تجد الواحد منهم لربما لا يذكر عنه كثير عمل من النوافل، لكنه كان له في شيء نية، وهذا شيء عظيم وقر في قلبه الحامل له حسن ظنه بربه، وصلته له، ومعرفته به.

وروي عن الخليفة هشام بن عبد الملك بن عمه الخليفة عمر بن عبد العزيز يومًا فقال: «ما أحسب عمر خطا خطوة قط إلا وله فيها نية»(٢).

عن يحيىٰ بن أبي كثير، قال: «تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل»(٣).

---

(١) العقود الدرية (صـ٢١).

(٢) سيرة عمر لابن عبد الحكم (٣٠/ ٢٩).

(٣) حلية الأولياء (٧٠/ ٣).

✍ **وعن زبيد اليامي، قال:** إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتىٰ في الطعام والشراب، وعنه أنه قال: انو في كل شيء تريده الخير، حتىٰ خروجك إلىٰ الكناسة

✍ **وعن داود الطائي، قال:** رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية، وكفاك بها خيرًا وإن لم تنصب.

✍ **وعن بعض السلف قال:** من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يأجر العبد إذا حسنت نيته حتىٰ باللقمة. وعن ابن المبارك، قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية.

✍ **وقال بعض العارفين:** «إنما تفاضلوا بالإرادات، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة»(١).

✍ **قال أبو سليمان الداراني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عمل شيئًا من أنواع الخير بلا نية أجزأته النية الأولىٰ حين اختار الإسلام علىٰ الأديان كلها لأن هذا العمل من سنن الإسلام ومن شعائر الإسلام»(٢).

✍ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم، فلم يبق فيها إرادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ، صلحت جوارحهم، فلم تتحرك إلا لله عَزَّوَجَلَّ، وبما فيه رضاه، والله تعالىٰ أعلم»(٣).

---

(١) جامع العلوم والحكم (٧٠/ ١).
(٢) حلية الأولياء(٢٧٠/ ٩).
(٣) جامع العلوم والحكم (٢١٤/ ١).

✍ **قال: سمعت ابن المبارك، يقول:** «ما رأيت رجلًا ارتفع مثل مالك بن أنس ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة»(١).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن الطريق الموصلة إلىٰ الحق سبحانه ليست مما يقطع بالإقدام، وإنما يقطع بالقلوب»(٢).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا جاء: «نية المؤمن خير من عمله»، هذا الأثر رواه أبو الشيخ الأصبهاني في «كتاب الأمثال» من مراسيل ثابت البناني. وقد ذكره ابن القيم في النية من طرق عن النبي ﷺ ثم ضعفها. فالله أعلم. فإن النية يثاب عليها المؤمن بمجردها.

وتجري مجرىٰ العمل إذا لم يمنع من العمل بها إلا العجز ويمكنه ذلك في عامة أفعال الخير وأما عمل البدن فهو مقيد بالقدرة وذلك لا يكون إلا قليلا؛ ولهذا قال بعض السلف: قوة المؤمن في قلبه وضعفه في بدنه وقوة المنافق في بدنه وضعفه في قلبه»(٣).

✍ **وقال الفضيل:** «لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة»(٤).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن رجَب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن وفىٰ نفسَه حَظَّها مِن المُباحِ بنيَّةِ

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ١).
(٢) صيد الخاطر (٣٦٧/ ١).
(٣) مجموع الفتاوىٰ (٧٦٢/ ١٠).
(٤) حلية الأولياء(١٠٣/ ٨).

التقَوي به عَلَىٰ أعْمَالِ الطَّاعَات كَان مَأجُورا في ذَلِكَ كَمَا قَالَ مُعَاذٌ: «إِني أحْتسِب نومَتي كَمَا أحْتسِب قَومَتي»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأهل اليقظة، والاستعداد لما خلقوا له عمله إذا تحرك أو سكن، أو قام أو قعد، أو أكل أو شرب، أو نام، أو لبس، أو نطق، أو سكت كان كله له لا عليه، وكان في ذكر وطاعة وقربة ويتقلب فيما يتقلب فيه بحكم الطاعة والقربة مزيد»(٢).

✍ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعضهم: ما بلغ عندنا من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بسلامة الصدور، وسخاوة النفوس والنصيحة»(٣).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا قال بعض السلف: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره.

✍ **وقال بعضهم**: الذي كان في صدر أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المحبة لله ورسوله والنصيحة لعباده.

✍ **وقال طائفة من العارفين**: ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور والنصيحة للأمة.

زاد بعضهم: وبذم نفوسهم.

✍ **وقال آخر منهم**: إنما تفاوتوا بالإرادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام

---

(١) لطائف المعارف (٢٩٩).

(٢) أسرار الصلاة (٨/ ١).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣٥٥/ ١).

والصلوات.

وذكر لأبي سليمان طول أعمار بني إسرائيل وضدة اجتهادهم في الأعمال، وأن من الناس من غبطهم بذلك.

فقال: إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده. أو كما قال(١).

✍ **وقال ابن مسعود لأصحابه:**(٢) أنتم أكثر صوما وصلاة من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم.

قالوا: وبما ذاك؟

قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة

يشير إلىٰ أن الصحابة فاقوا من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها، وإن كانت في أيديهم، فكانت قلوبهم منها فارغة، وبالآخرة ممتلئة.

وهذه الحال ورثوها من نبيهم ﷺ، فإنه كان أشد الخلق فراغا بقلبه من الدنيا، وتعلقا بالله وبالدار الآخرة مع ملابسته للخلق بظاهره، وقيامه بأعباء النبوة وسياسة الدين والدنيا.

وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده، وكذلك أعيان التابعين لهم بإحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز، وقد كان في زمانهم من هو أكثر منهم صوما

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤١٤/ ٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠١)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٥٠)، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٤).

وصلاة، ولكن لم يصل قلبه إلىٰ ما وصلت إليه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدنيا وتوطنها الآخرة

✍ **قال بعض العلماء المتقدمين**: الذي وقر في صدره هو حب الله والنصيحة لخلقه

✍ **وسئلت فاطمة بنت عبد الملك** زوجة عمر بن عبد العزيز بعد وفاته عن عمله؟ فقالت: والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا بأكثرهم صيامًا ولكن والله ما رأيت أحدًا أخوف لله من عمر لقد كان يذكر الله في فراشه فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتىٰ نقول: ليصبحن الناس ولا خليفة لهم.

✍ **قال بعض السلف**: ما بلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاوة النفوس وسلامة الصدور والنصح للأمة وزاد بعضهم واحتقار أنفسهم وذكر لبعضهم شدة اجتهاد بني إسرائيل في العبادة فقال: إنما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده فمن كان بالله أعرف فله أخوف وفيما عنده أرغب فهو أفضل ممن دون في ذلك وإن كثر صومه وصلاته وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يسبق سهر الجاهلين وصيامهم ولهذا المعنىٰ كان فضل العلم النافع الدال علىٰ معرفة الله وخشيته ومحبته ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه.

لا سيما عند غلبة الجهل والتعبد به أفضل من التطوع بأعمال الجوارح قال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم في زمان العمل فيه أفضل من العلم وسيأتي زمان العلم فيه أفضل من العمل وقال مطرف: فضل العلم أحب إلي من فضل

العبادة وخير دينكم الورع وخرجه الحاكم وغيره مرفوعًا ونص كثير من الأئمة علىٰ: أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وكذلك الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ودغلها ومثل من يستكثر من الصوم والصلاة مع دغل القلب وغشه كمثل من بذر بذرا في أرض دغلة كثيرة الشوك فلا يزكو ما ينبت فيها من الزرع بل يمحقه دغل الأرض ويفسده فإذا نظفت الأرض من دغلها زكىٰ ما ينبت فيها ونما قال يحيىٰ بن معاذ: كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال غيره: ليس الشأن فيمن يقوم الليل إنما الشأن فيمن ينام علىٰ فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب من سار علىٰ طريق الرسول ﷺ ومنهاجه وإن اقتصد فإنه يسبق من سار علىٰ غير طريقه وإن اجتهد.

مـــن لـــي بمثـــل ســـيرك المـــذلل ∴ تمشـي رويـدا وتجـيء في الأول»(١)

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب يتفاضل، لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله»(٢).

✍ **قال العلامة ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما أخذ من الدنيا بنية التقوىٰ علىٰ طلب الآخرة فهو داخل في قسم إرادة الآخرة والسعي لها لا في إرادة الدنيا

---

(١) لطائف المعارف (٢٥٥/ ١).

(٢) منهاج السنة (٢٢٢/ ٦).

والسعي لها»[١].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمعول علىٰ السرائر، والمقاصد، والنيات، والهمم، فهي الإكسير الذي يقلب نحاس الأعمال ذهبا، أو يردها خبثا، وبالله التوفيق»[٢].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض فهكذا الأعمال والعمال عند الله والغافل في غفلة من هذا الإكسير الكيماوي الذي إذا وضع منه مثقال ذرة علىٰ قناطير من نحاس الأعمال قلبها ذهبا والله المستعان»[٣].

✍ **قال ابن الحاج في «المدخل»**: «المباح بالنية إلىٰ الندب، وإن استطعنا أن ننوي بالفعل نيته أداء الواجب كان أفضل من نية الندب، للحديث: (وما تقرب إليّ عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه)»[٤].

✍ **وذكر ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن خواص المقربين هم الذين (انقلبت المباحات في حقهم إلىٰ طاعات وقربات بالنية، فليس في حقهم مباح

---

(١) لطائف المعارف (٣١٢/ ١).

(٢) زاد المعاد (٣٧٦/ ٣).

(٣) مدارج السالكين (٣٣٠/ ١).

(٤) البخاري، الفتح، رقم (٦١٣٧) كتاب الرقاق، باب في التواضع.

متساوي الطرفين، بل كل أعمالهم راجحة»[(١)].

✍ **ويقول ابن الشاط**: «إذا قصد بالمباحات التقوي علىٰ الطاعات أو التوصل إليها كانت عبادة كالأكل والنوم، واكتساب المال...)»[(٢)].

✍ **قال الحافظ ابن حجر**: «وقد استنبط منه النووي أن الحظ إذا وافق الحق لا يقدح في ثوابه لأن وضع اللقمة في فيّ الزوجة يقع غالبًا في حال المداعبة، ولشهوة النفس في ذلك مدخل ظاهر، ومع ذلك إذا وجه القصد في تلك الحالة إلىٰ ابتغاء الثواب حصل له بفضل الله»[(٣)].

✍ **وقال صاحب «دليل الفالحين»**: «وفيه أن الإنفاق علىٰ العيال يثاب عليه إذا قصد وجه الله به، وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة، يثاب عليه، وإذا وضع اللقمة في فم امرأته إنما يكون في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع ذلك فقد أخبر الشارع بأن ذلك يؤجر عليه بالقصد الجميل، فغير هذه الحالة أولىٰ بحصول الأجر إذا قصد به وجه الله، ويؤخذ من ذلك: أن الإنسان إذا فعل مباحًا من أكل أو شرب وقصد به وجه الله كالاستعانة بذلك علىٰ الطاعة وبالنوم علىٰ قيام الليل يثاب عليه»[(٤)].

✍ **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا دليل علىٰ أن المباحات تصير طاعات

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٧).

(٢) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (١/ ٣٤).

(٣) فتح الباري (١/ ١٣٧).

(٤) دليل الفالحين (١/ ٧٤).

بالنيات... الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوىٰ به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالىٰ به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعا من النظر إلىٰ حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة»(١).

أولاً: النية والاحتساب في المباحات والعادات

مثال الأول: الجماع والإتيان للشهوة بالحلال

❁ وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(٢).

❁ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرجل إذا سقىٰ امرأته من الماء أُجر**»، قال: فأتيتها فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ(٣).

---

(١) شرح «صحيح مسلم» ٤/ ١٠٠.

(٢) رواه مسلم برقم (١٦٧٤).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٥٢٩: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١/ ١٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٥٨)، و«الأوسط» (١/ ٤٩/ ٨٤٢)، والحديث قوي الاسناد وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: «حسن لغيره» (١٩٦٣).

❁ عن أبي زر في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال: «**ولك في جماع زوجتك أجر**»، فقال أبو زر: وكيف يكون لي أجر في شهوتي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به؟**» قلت: نعم، قال: «**فأنت خلقته؟**» قال: بل الله خلقه، قال: «**فأنت هديته؟**» قال بل الله هداه، قال: «**فأنت ترزقه؟**» قال: بل الله كان يرزقه، قال: «**كذلك فضعه في حلال وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أمانه ولك أجر**»(١).

المثال الثاني: يحتسب النائم نومه وكان ينوي أن يقوم الليل فغلبته عيناه

❁ عن أبي الدرداء رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتىٰ أصبح كتب له ما نوىٰ وكان نومه صدقة عليه من ربه**»(٢).

المثال الثالث: احتساب عادته مع أهله وفرسه وترويحه على نفسه

❁ عن عطاء بن أبي رباح قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير

---

(١) أخرجه أحمد باب من الصدقة إتيان الزوجة للإعفاف وطلب الولد انظر ترتيب مسند أحمد الشيباني (٩/١٧٩).
قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢ / ١١٥): «سنده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم». و رواه ابن حبان و النسائي كما رمز له في المنتخب (٢ / ٥٣٥). و الله أعلم.

(٢) رواه النسائي ابن ماجه بإسناد جيد وابن خزيمة في صحيحه ورواه النسائي أيضًا وابن خزيمة عن أبي الدرداء وأبي ذر موقوفًا. [الإرواء ٤٥٤: الروض ٧٣٥: صحيح الترغيب ١٩ و٦٠٠: تعليقي علىٰ ابن خزيمة ١١٧١ - ١١٧٥. وانظر حديث رقم: ٥٩٤١ في صحيح الجامع.

الأنصاري يرميان فمل أحدهما فجلس فقال له الآخر كسلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل شيء ليس من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة**»(١).

✍ **قال ابن رجب الله**: «ومتىٰ نوىٰ المؤمن بتناول شهواته المباحة التقوي علىٰ الطاعة كانت شهواته له طاعة يثاب عليها.

✍ **كما قال معاذ بن جبل**: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، يعني: أنه ينوي بنومه التقوي علىٰ القيام في آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه»(٢).

✍ **وعن زبيد اليامي، قال**: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتىٰ في الطعام والشراب.

وقال: «انو في كل شيء تريده الخير، حتىٰ خروجك إلىٰ الكناسة»(٣).

✍ **قال الحميدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت ابن حزم يقول: سمعت محمد بن إسحاق بن عبيد الله يقول لأبي وقد كان وزيرا: «احرص علىٰ أن لا تعمل شيئًا إلا بنية إذا أكلت فانو التقوي لطاعة الله، وكذلك نومك وتفرجك،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد وأخرجه النسائي وصححه الشيخ الألباني. انظر [صحيح الترغيب والترهيب(١٢٨٢)، وانظر حديث رقم: ٤٥٣٤ في صحيح الجامع.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٠/ ١).

وسائر أعمالك؛ فإنك ترىٰ ذلك في ميزان حسناتك»

✍ **قال الحميدي: قال لي ابن حزم:** «ما زلت منذ سمعت ذلك منتفعًا به»(١).

✍ **قال العلامة ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأعمال الصالحة لا تستلزم الثواب لأعيانها وإنما تحصل بالنية الخالصة إجمالًا وتفصيلًا والله أعلم»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين بل كل أعمالهم راجحة ومن دونهم يترك المباحات مشتغلًا عنها بالعبادات وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلا الله»(٣).

✍ **قال ابن الشاط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا قصد التقوي علىٰ الطاعات والتوصل إليها كانت عبادة كالأكل والشرب والنوم واكتساب المال»(٤).

❁ **نقل الغزالي آثار عن السلف منها:**

✍ **قال عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (٤٤/ ١)، وبغية الملتمس لأبي عميرة الضبي (٦١/ ١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٦).

(٣) مدارج السالكين (١٠٩/ ١).

(٤) غمز عيوب البغاء (١/ ٣٤).

تعالىٰ والورع عما حرم الله تعالىٰ وصدق النية فيما عند الله تعالىٰ.

✍ **وكتب سالم بن عبد الله إلىٰ عمر بن عبد العزيز**: اعلم أن عون الله تعالىٰ للعبد علىٰ قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره.

✍ **وقال بعض السلف**: رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية.

✍ **وقال داود الطائي**: البر همته التقوىٰ فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يومًا إلىٰ نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك.

✍ **وقال الثوري**: كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل.

✍ **وقال بعض العلماء**: اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير.

✍ **وكان بعض المريدين يطوف علىٰ العلماء يقول**: من يدلني علىٰ عمل لا أزال فيه عاملًا لله تعالىٰ فإني لا أحب أن يأتي عليَّ ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله»(١).

✍ **قال العلامة ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: وصية الإمام أحمد ولده بنية الخير.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣٦٤/ ٤).

✍ **قال عبد الله بن الإمام أحمد لأبيه يومًا**: أوصني يا أبت، فقال: «يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».

ثم قال معلقًا: وهذه وصية عظيمة سهلة علىٰ المسئول سهلة الفهم والامتثال علىٰ السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر لدوامها واستمرارها، وهي صادقة علىٰ جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعا سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها ولم أجد في الثواب عليها خلافًا قال الشيخ تقي الدين في كتاب الإيمان: ما هم به من القول الحسن والعمل الحسن فإنما يكتب له به حسنة واحدة وإذا صار قولًا وعملًا كتب له عشر حسنات إلىٰ سبعمائة، وذلك للحديث المشهور في الهم فيالها من وصية ما أشد وقعها وما أعظم نفعها، فنسأل الله تعالىٰ لنا ولإخواننا المسلمين العمل بها. والتوفيق لها، ولما يحبه ويرضاه آمين. فمثل هذا تكون وصايا أئمة المسلمين – رضي الله عنهم أجمعين – والله سبحانه أعلم.

✍ **وقد قيل**: «نية المرء خير من عمله وأشرف من عمله لاعتبارها فيه»

✍ **وقيل أيضًا**: النية سبقت العمل. وهذا واضح صحيح»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعمارة الوقت: الاشتغال في جميع آنائه بما يقرب إلىٰ الله أو يعين علىٰ ذلك من مأكل أو مشرب أو منكح أو منام أو راحة فإنه متىٰ أخذها بنية القوة علىٰ ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه كانت من عمارة الوقت وإن كان له فيها أتم لذة فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات

---

(١) الآداب الشرعية (١٠٤/ ١).

والطيبات فالمحب الصادق ربما كان سيره القلبي في حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته أقوىٰ من سيره البدني في بعض الأحيان

✍ **وقد حكي عن بعضهم**: أنه كان يرد عليه وهو علىٰ بطن امرأته حال لا يعهدها في غيرها.

ولهذا سبب صحيح وهو اجتماع قوىٰ النفس وعدم التفاتها حينئذ إلىٰ شيء مع ما يحصل لها من السرور والفرح والسرور يذكر بالسرور واللذة تذكر باللذة فتنهض الروح من تلك الفرحة واللذة إلىٰ ما لا نسبة بينها وبينها بتلك الجمعية والقوة والنشاط وقطع أسباب الالتفات فيورثه ذلك حالا عجيبة»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** «أن نعبد الله بما شرع علىٰ ألسن رسله لا نعبده إلا بواجب أو مستحب والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك»(٢).

✍ **قال أبو حامد الغزالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إحياء علوم الدين»: «الطَّاعَات.. مُرتبطَةٌ بالنيَّات في أصْل صِحَّتها، وفي تضَاعُف فضْلِها. أمَّا الْأصْلُ فهو أن يَنويَ بها عِبادَةَ الله تعَالَىٰ لَا غَيْر، فإِن نوىٰ الريَاءَ صَارت مَعْصِيَةً. وأمَّا تضَاعُف الْفضْل فبكَثْرةِ النيَّات الْحَسَنةِ، فإِن الطَّاعَةَ الْواحِدَةَ يُمْكِن أن يَنويَ بها خَيْرات كَثِيرةً، فيَكُون لَه بكُلِّ نيَّةٍ ثَواب إِذْ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر»(٣).

---

(١) المدارج (١٨/ ٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣١١).

(٣) إحياء علوم الدين – الجزء الرابع ص ٣٧٠-٣٧١).

✍ **وذكر ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أثر معاذ رضي الله عنه: «إني لاحتسب نومتي وقومتي» فقال: «ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة علىٰ العبادة حصلت الثواب»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** «فإن الحرص علىٰ ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته إذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به علىٰ الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح»(٢).

نماذج في أعمال يحتسب فيها الموفق فيؤجر فيها أعظم الثواب

-أولاً: النية في شيء يريد أن يكون من أهله ويمنى أن يعمل بعملهم

۞ عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ «**إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقًّا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقًّا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**»(٣).

---

(١) فتح الباري (٨/٦٢).

(٢) التحفة العراقية (١/٥٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٤)، وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني (صحيح لغيره) [انظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٦٩)]. وانظر حديث رقم: ٣٠٢٤ في صحيح الجامع.

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل**»(١).

-ثانيًا: الهم بالحسنات والترك للسيئات لأجل الله

❁ وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فيما يروي عن ربه عز وجل: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك في كتابه فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**»

زاد في رواية: «**أو محاها ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك**»(٢).

❁ عن خريم بن فاتك الأسدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ومن هم بحسنة فلم يعملها، فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسنة. ومن هم بسيئة لم تكتب عليه، ومن عملها كتبت واحدة، ولم تضاعف عليه ومن عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها**»(٣).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٣٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠١٠)، ومسلم برقم (١٨٧).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٢٠١: أخرجه أحمد (٤/ ٣٤٥)، وابن حبان (٣١)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٢/ ٣٨/ ٢)قلت: وهذا إسناد صحيح، =

✍ **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» والهمُّ هنا ليس مجرد حديث النفس، لأن حديث النفس لا يكتب للإنسان ولا عليه، ولكن المراد عزم علىٰ أن يفعل ولكن تكاسل ولم يفعل، فيكتبها الله حسنة كاملة.

فإن قيل: كيف يثاب وهو لم يعمل؟

فالجواب: يثاب علىٰ العزم ومع النية الصادقة تكتب حسنة كاملة.

واعلم أن من هم بالحسنة فلم يعملها علىٰ وجوه:

الوجه الأول: أن يسعىٰ بأسبابها ولكن لم يدركها، فهذا يكتب له الأجر كاملا، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٠٠].

وكذلك الإنسان يسعىٰ إلىٰ المسجد ذاهبًا يريد أن يصلي صلاة الفريضة قائما ثم يعجز أن يصلي قائمًا فهذا يكتب له أجر الصلاة قائمًا، لأنه سعىٰ بالعمل ولكنه لم يدركه.

الوجه الثاني: أن يهم بالحسنة ويعزم عليها ولكن يتركها لحسنة أفضل منها، فهذا يثاب ثواب الحسنة العليا التي هي أكمل، ويثاب علىٰ همه الأول للحسنة الدنيا، ودليل ذلك أن رجلًا أتىٰ إلىٰ النبي ﷺ حين فتح مكة، وقال:

= وأخرجها الترمذي أيضًا والنسائي كما في «الترغيب»، فراجع تعليقي عليه (٢/ ١٥٦).

يا رسول الله إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في بيت المقدس؟ فقال: «صل هاهنا» فكرر عليه، فقال له: «شأنك إذا»(١)، فهذا انتقل من أدنىٰ إلىٰ أعلىٰ.

الوجه الثالث: أن يتركها تكاسلًا، مثل أن ينوي أن يصلي ركعتي الضحىٰ، فقرع عليه الباب أحد أصحابه وقال له: هيا بنا نتمشىٰ، فترك الصلاة وذهب معه يتمشىٰ، فهذا يثاب»(٢).

ثانيًا: يؤجر العبد على ما كان ينوي فعله فحال دونه العذر من مرض أو غيره كالموت

-المثال الأول: موفق أجر على نيته ولم يتحقق شرطه

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة علىٰ سارق فقال الله م لك الحمد علىٰ سارق لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة علىٰ زانية فقال الله م لك الحمد علىٰ زانية لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة علىٰ غني فقال الله م لك الحمد علىٰ سارق وزانية وغني فأتي فقيل له أما صدقتك علىٰ سارق فلعله أن يستعف**

---

(١) أخرجه أبو داود - كتاب: الأيمان والنذور، باب: من نذر أن يصلي في بيت المقدس، (٣٣٠٥). وسكت عنه المنذري وصححه الحاكم والحافظ تقي الدين بن دقيق العيد. وصححه الألباني. انظر [ارواء الغليل حديث ٩٧٢].

(٢) شرح الأربعين النووية للعثيمين (٣٦٧/ ١).

عن سرقته وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله»(١).

✍ **أقول**: لما علم الله من هذا العبد صدق نيته وقوة إخلاصه واحتسابه لله في بذل هذه الصدقة وحرصه علىٰ أن تقع في يد من يستحقها ثلاث ليال قبلها الله منه وجعل فيها بركة ومنفعة لمن أخذها فغيرت وأثرت في الآخذ لها وهو في الأصل غير مستحق ومع ذلك حصل المطلوب وهو الثواب وقبول العمل وزيادة فوق ذلك صلاح الآخذ لها فنزعت منه شرًّا وغرست فيه خيرًا وكانت كحبة العلاج طردت المرض ونشطت الجسم وأصحته وتعافىٰ بها والله الموفق سبحانه وإلا فكم من صدقة كثيرة وقعت في يد من يستحقها لكنها لم تكن مباركة ولم ينتفع بها الآخذ ولا المعطي فالمعطي لربما في نيته من الشوائب ما فيها والآخذ فيه من التطلع لها أو أنفقها في غير ما يفيده ويدخل عليه صلاحا في دينه أو دنياه.

-المثال الثاني: موفق أجر على نيته ولم يحضر أولو لم يفعل العبادة أو لم يكملها منعه العذر

❁ عن أنس: أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة فقال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم**». وفي رواية: «**إلا شركوكم في الأجر**». قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة حبسهم العذر**»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٣٢)، واللفظ له ومسلم برقم (١٦٨٩)، والنسائي.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٦٢٧)، وأبو داود برقم (٢١٤٧).

❁ وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له بمثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»(١).

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج حاجًّا فمات كتب الله له أجر الحاج إلىٰ يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات كتب الله له أجر المعتمر إلىٰ يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات كتب الله له أجر الغازي إلىٰ يوم القيامة**»(٢).

❁ قال تعالىٰ: ﴿❁ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: فقد حصل له أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالىٰ، وذلك لأنه نوىٰ وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم كاملا ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها»(٣).

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من نوىٰ الخير وعمل منه

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٧٤)، وأبو داود برقم (٢٦٨٧)، واحمد في مسنده (٦٦٠١).

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ١١٦: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤/ ١٥٠٥)، وتابعه الحافظ الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٤/ ٢/ ٥٤٥٤): قال الشيخ الألباني في [صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦٧): (صحيح لغيره).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ١٩٦).

مقدوره، وعجز عن إكماله: كان له أجر عامل كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم**». قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة حبسهم العذر**»(١).

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالأعمال التي يعملها في حضره من الأعمال القاصرة والمتعدية يجري له أجرها إذا سافر، وكذلك إذا مرض.

فيالها نعمة ما أجلها؟ وأعظمها؟»(٢).

ثالثًا: الاحتساب في النفقة على من يعول

❁ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إذ أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا**»(٣).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به علىٰ مسكين ودينار أنفقته علىٰ أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته علىٰ أهلك**»(٤).

❁ وعن سعد بن أبي وقاص قال: مرضت عام الفتح مرضا أشفيت علىٰ

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٢١٢/ ١).

(٢) إرشاد أولي البصائر والألباب (١١٥/ ١).

(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وعند بعضهم إذا تصدقت بدل أنفقت.

(٤) رواه مسلم برقم (١٦٦١).

الموت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فقلت: يا رسول الله: إن لي مالا كثيرًا وليس يرثني إلا ابنتي أفأوصي بمالي كله؟ قال: «**لا**» قلت: فثلثي مالي؟ قال: «**لا**» قلت: فالشطر؟ قال: «**لا**» قلت: فالثلث؟ قال: «**الثلث والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتىٰ اللقمة ترفعها إلىٰ في امرأتك**»(١).

❁ وعن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنفق المسلم نفقة علىٰ أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**»(٢).

❁ وعن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصدقة علىٰ المسكين صدقة وهي علىٰ ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**»(٣).

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ إذ طلع شاب من الثنية، فلما رأيناه رميناه بأبصارنا، فقلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: «**وما سبيل الله إلا من قتل؟! من سعىٰ علىٰ والديه ففي سبيل الله، ومن سعىٰ علىٰ عياله ففي سبيل الله، (ومن سعىٰ علىٰ نفسه ليعفها فهو في سبيل الله)، ومن سعىٰ مكاثرًا**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤)، ومسلم برقم (٣٠٧٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٢)، وأخرجه مسلم برقم (١٦٦٩).

(٣) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٩٢)، وقال (حسن صحيح)، وصحيح ابن ماجة (١٤٩٤) التعليق الرغيب ٣٢/ ٢، المشكاة ١٩٣٩.

ففي سبيل الطاغوت -وفي رواية:- **سبيل الشيطان**»(١).

❁ أن مَيْمُونةَ بنت الْحَارثِ رضي الله عنها أخْبرته أنها أعْتقَت ولِيدَةً ولَمْ تسْتأذِن النبيَّ ﷺ فلَمَّا كَان يَومُها الَّذِي يَدُور عَلَيْها فيه قَالَت: أشَعَرت يَا رسُولَ الله أني أعْتقْت ولِيدَتي قَالَ: «**أوفعَلْت؟**» قَالَت: نعَمْ قَالَ: «**أمَا إنكِ لَو أعْطَيْتها أخْوالَكِ كَان أعْظَمَ لِأجْركِ**»(٢).

❁ وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله قال له: «**وأنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتىٰ ما تجعل في في امرأتك**»(٣).

❁ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنفق المرء علىٰ نفسه وولده وأهله وذي رحمه وقرابته فهو له صدقة**»(٤).

✍ **قال صاحب كتاب «دليل الفالحين»**: «أي إلا أجرت بالنفقة التي تبتغي بها وجه الله حتىٰ بالشيء الذي تجعله في فم امرأتك، ففي الحديث أن الأعمال بالنيات. وإنما يثاب علىٰ عمله بنيته، وأن الإنفاق علىٰ العيال يثاب

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٢٧٢: أخرجه البزار (١٨٧١ - الكشف)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩٦ - ١٩٧)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ق ٢/٤٧ - ١/٤٨ - مصور الجامعة الإسلامية الثانية)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٢٥)، والحديث صحيح، فإن له شواهد كثيرة كما بينته في «التعليق الرغيب علىٰ الترغيب والترهيب».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٠٣)، ومسلم برقم (١٦٦٦).

(٣) رواه البخاري برقم (٥٤).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وشواهده كثيرة. [انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦٠) قال الشيخ الألباني: (حسن لغيره).

عليه إذا قصد وجه الله تعالىٰ به. وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة ويثاب عليه؛ إذ وضع اللقمة في فم امرأته إنما يكون في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع ذلك فقد أخبر الشارع بأن ذلك يؤجر عليه بالقصد الجميل. فغير هذه الحالة أولىٰ بحصول الأجر إذا قصد به وجه الله. ويؤخذ منه أن الإنسان إذا فعل مباحا من أكل أو شرب وقصد به وجه الله كالاستعانة بذلك علىٰ الطاعة وبالنوم علىٰ قيام الليل يثاب عليه»(١).

✍ **قال العلامة ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن صلة الأقرب أفضل من صلة الأبعد والإنفاق في وجوه الخير لأن المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة وقد نبه علىٰ ذلك بأقل الحظوظ الدنيوية العادية وهو وضع اللقمة في فم الزوجة إذ لا يكون ذلك غالبًا إلا عند الملاعبة والممازحة ومع ذلك فيؤجر فاعله إذا قصد به قصدًا صحيحًا فكيف بما هو فوق ذلك»(٢).

❁ وعن أبي هريرة قال: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة فقام رجل فقال يا رسول الله عندي دينار قال: «**تصدق به علىٰ نفسك**» قال: عندي آخر قال «**تصدق به علىٰ ولدك**» قال: عندي آخر قال: «**تصدق به علىٰ خادمك**» قال: عندي آخر قال: «**أنت أبصر**»(٣).

---

(١) دليل الفالحين لابن علان الصديقي (٧٠/ ١).

(٢) فتح الباري (٣٦٨/ ٥).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥١ و٤٧١ و٥٢٤)، والنسائي (٢٥٣٥)، وأبو داوود (١٦٩٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١٩٥٨).

رابعًا: من سأل الشهادة بحق لو مات على فراشه له أجر الشهيد

❁ وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علىٰ فراشه**»(١).

❁ وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ومن سأل الله الشهادة مخلصا أعطاه الله أجر شهيد وإن مات علىٰ فراشه**»(٢).

العشرون: من أعمال الموفقين الصبر والرضا بالقضاء والقدر

❁ قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾ [التغابن:١١].

✍ **قال العلامة السعدي** رحمه الله: «في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله وفي علمه وعمله.

وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان»(٣).

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٥٣٢)، والترمذي برقم (١٥٧٧) بلفظ «**من قلبه صادقًا**».

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح علىٰ شرطهما صحيح الترغيب والترهيب (١٣٢٤)، وقال الشيخ الألباني: (حسن صحيح).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧/ ١).

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدىٰ الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىٰ في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه»(١).

✍ **وروي عن عكرمة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علىٰ معنىٰ أن صاحب المصيبة يسلم فتسكن نفسه، ويرشد الله المؤمن به إلىٰ الصواب في الأمور»(٢).

✍ **قال ابن مسعود**: «هو والعبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضىٰ ويسلم فلهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه»(٣).

❁ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**»(٤).

✍ **قال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال القاضي: يوصل إليه المصائب ليطهره من الذنوب ويرفع درجته، والمصائب اسم لكل مكروه وفيه تسلية للمصاب وإعلام له بما يناله من الثواب، وفيه أن من لم يناله مكروه لم يرد به خير»(٥).

✍ **قال العلامة المباركفوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يحصل له من ذلك الخير،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٣٧/ ٨).
(٢) تفسير ابن عطية (٣١٩/ ٥).
(٣) مفتاح دار السعادة (١٥٥/ ١).
(٤) رواه البخاري برقم (٥٢١٣).
(٥) التنوير (١٠/ ٤٣٢).

فهذا علامة أرادة الله له الخير»(١).

ولما في البلاء من تكفير السيئات ورفع الدرجات حصل للعبد بقدر البلاء الذي يحبه الله له فيصبره عليه ويعينه عليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المعونة تأتي من الله علىٰ قدر المؤونة وإن الصبر يأتي من الله علىٰ قدر البلاء**»(٢).

فالله يحب أن يلقاه عبده نقيًّا صافيًا ومعه من مكفرات الذنوب ومذيبات الخطايا ما يفرحه به ويكرمه به لئلا يكثر حسابه ولا يشتد عليه الأمر إذ إنه أمضىٰ وأفنىٰ عمره في مقاساة البلايا المتنوعة تارة في دينه وتارة في دنياه من مال أو عرض أو ولد سلمنا الله وعافانا وستر علينا من ضعف الإيمان وما نعرف من أنفسنا من الحرمان والخذلان فبكثرة البلاء زادت العبد معرفة بربه وقربا من مولاه وكثرت الالتجاء والدعاء ولتقوىٰ العلاقة بين ذلك العبد المبتلىٰ وبين ربه فأيقظ البلاء غفلته ولعل في كثرت البلاء أن يخوفه من ارتكاب المعاصي ويحجزه عنها خوفا من الله ألا يسلط عليه ما هو أعظم مما فيه أو يزيده والبلاء شيء يختص الله به من أحبه لهذا كله وغير ذلك من الحكم.

❁ مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أشد

---

(١) مرعاة المفاتيح (٥/ ٢٢٧).

(٢) رواه البزار ورواته محتج بهم في الصحيح إلا طارق بن عمار ففيه كلام قريب ولم يترك، والحديث غريب، وحسنه الشيخ الألباني في [صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦١) قال: (حسن لغيره).

بلاء؟ قال: فقال: **الأنبياء ثم...؟ «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسب** (وفي رواية: **قدر) دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي علىٰ حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتىٰ يتركه يمشي علىٰ الأرض ما عليه خطيئة»**(١).

❁ عن فاطمة قالت: عدت رسول الله ﷺ في نسوة، وإذا سقاء معلق وماؤه يقطر عليه من شدة ما يجد من حر الحمي، فقلنا: يا رسول الله لو دعوت الله فأذهب عنك هذا، فقال: «**إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٢).

❁ **وقال تعالىٰ** ﴿ ❁ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٢٢٥: رواه الترمذي (٢/ ٦٤)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، والطحاوي (٣/ ٦١)، وابن حبان (٦٩٩)، والحاكم (١/ ٤٠، ٤١)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والضياء في «المختارة» (١/ ٣٤٩).

فالحديث صحيح. والحمد لله وله شاهد بلفظ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلىٰ بالفقر، حتىٰ ما يجد أحدهم إلا العباءة التي يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء».

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١٥٣: أخرجه ابن سعد (٨/ ٣٢٥ و٣٢٦)، والحاكم (٤/ ٤٠٤)، وإسناده صحيح عندي وللحديث شواهد معروفة، تقدم بعضها برقم (١٤٣ - ١٤٥).

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة:١٧٧].

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتىٰ يلقىٰ الله وما عليه خطيئة**»(١).

❁ مرسل عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**ما زال الله يبتلي العبد حتىٰ يلقاه وما له ذنب**»(٢).

❁ عن محمد بن جبير أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليبتلي عبده بالسقم حتىٰ يكفر عنه بذلك ذنبه كله**»(٣).

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٤٩: أخرجه الترمذي (٢٤٠١)، والحاكم (١/ ٣٤٦ و٤/ ٣١٤)، وأحمد (٢/ ٤٥٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩١)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الكفارات» (٦٩/ ١ - ٢)، وفي «الصبر» (٥٠/ ١)، والبزار (ص ٨٢ - زوائده)، وأبو يعلىٰ (٤/ ١٤١٤): الحديث صحيح بما له من شواهد كثيرة معروفة.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٨٧/ ١): إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، علىٰ ضعف في خالد بن خداش. ثم أخرج (٨٨/ ١) من طريق إبراهيم بن حمزة حدثني عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن يحيىٰ عن أبي الحويرث.

(٣) وهذا مرسل أيضًا، ورجاله ثقات غير أبي الحويرث، واسمه عبد الرحمن بن معاوية المدني، قال الحافظ: «صدوق سيء الحفظ».

بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتىٰ يبلغه إياها»(١).

❁ عن محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده - وكان لجده صحبة - أنه خرج زائرًا لرجل من إخوانه، فبلغه شكاته، قال: فدخل عليه فقال: أتيتك زائرًا عائدًا ومبشرًا! قال: كيف جمعت هذا كله؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغني شكاتك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: «**إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره حتىٰ يبلغه المنزلة التي سبقت له منه**»(٢).

❁ عن جابر بن عبد الله مرفوعًا عن النبي ﷺ «**ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض، مما يرون من ثواب أهل البلاء**»(٣).

❁ وفي حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «**يؤتىٰ بالشهيد يوم القيامة**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٣٠: أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤/ ١٤٤٧)، وعنه أخرجه ابن حبان (٦٩٣)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، وهذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٢)، والسياق له، وأبو داود (٣٠٩٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٧٧)، وكذا البخاري في «التاريخ» (١/ ١/ ٧٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (ق ٦٩/ ١)، والدولابي في «الكنىٰ» (١/ ٢٧) كلهم عن أبي المليح عن محمد بن خالد.. ومن هذا الوجه أخرجه أيضًا أبو يعلىٰ، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «الترغيب» (٤/ ١٤٧).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٢٤٠: رواه الترمذي (٢٤٠٤)، والخطيب في «التاريخ» (٤/ ٤٠٠)، وكذا ابن عساكر (٩/ ٩/ ١)، ورواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود موقوفًا عليه.

فيوقف للحساب، ثم يؤتىٰ بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتىٰ بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينصب لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبا، حتىٰ إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله»(١).

✍ **عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال:** «كنت مع سلمان وعاد مريضًا في كندة فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبًا وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدرىٰ لم عقل ولم أرسل»(٢).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الرضىٰ بالمقدور من سعادة ابن آدم وسخطه من شقاوته كما في المسند والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله: «من سعادة ابن آدم: استخارة الله عَزَّوَجَلَّ ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضىٰ الله ومن شقوة ابن آدم: سخطه بما قضىٰ الله ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله(٣). فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة والتسخط علىٰ القضاء من أسباب الشقاوة»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» من رواية مجاعة بن الزبير، وقد وثق. قلت: أخرجه فيه (٣/ ١٧٨/ ٢): فالحديث حسن. والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٩٣) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) السلسلة الضعيفة - مختصرة(رقم الحديث: ٦٢١٢) (ضعيف)، ولفظه «إن من سعادة المرء استخارته لربه ورضاه بما قضىٰ وإن من شقاوة العبد تركه الاستخارة وسخطه بما قضىٰ».

(٤) مدارج السالكين (٢٠٨/ ٢).

✍ **قال ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمراض مواسم العقلاء يستدركون بها ما فات من فوارطهم وزلاتهم، إن كانوا من أرباب الزلات، ويستزيدون من طاعاتهم إن لم يكونوا أرباب زلات، ويعتدونها، إن خلصوا منها بالمعافاة، حياة بعد الممات. فمن كانت أمراضه كذا، اغتنم في|| الصحة صحة، فقام من مرضه سليم النفس والدين. والكامد ينفق علىٰ الأدوية، ويعالج الحمية، ويوفي الطب الأجر، وليس عنده من علاج دينه خبر. فذاك ينصرع بالمرض انصراع السكران، ويفيق من مرضه إفاقة الإعداد لسكر ثان»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من كمال إحسان الرب تعالىٰ أن يذيق عبده مرارة الكسر قبل حلاوة الجبر، ويعرفه قدر نعمته عليه بأن يبتليه بضدها. كما أنه سبحانه وتعالىٰ لما أراد أن يكمل لآدم نعيم الجنة أذاقه مرارة خروجه منها، ومقاساة هذه الدار الممزوج رخاؤها بشدتها، فما كسر عبده المؤمن إلا ليجبره ولا منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه ولا أماته ألا ليحييه، ولا نغص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يعلم العبد أن أعظم راحته وسروره ونعيمه: في الرضىٰ عن ربه تعالىٰ وتقدس في جميع الحالات فإن الرضىٰ باب الله الأعظم ومستراح العارفين وجنة الدنيا فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه وأن لا يستبدل بغيره منه.

---

(١) الفنون (٤١٤/ ١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٦/ ١).

وأن السخط باب الهم والغم والحزن وشتات القلب وكسف البال وسوء الحال والظن بالله خلاف ما هو أهله والرضىٰ يخلصه من ذلك كله ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقَالَ الحَسَن: «الصَّبر كَنزٌ مِن كُنوزِ الخَيْر لا يُعْطِيه الله عَزَّوَجَلَّ إِلَّا لِعَبدٍ كَريمٍ عِندَه»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ المَاوردِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمْ أن مِن حُسْن التوفيقِ وأمَارات السَّعَادَةِ: الصَّبر عَلَىٰ المُلِمَّات والرفقُ عِندَ النوازِلِ وبذَلِكَ نزَلَ الكِتاب وجَاءَت السُّنة»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن، فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه، وجمعه عليه، وطرحه ببابه، فهو علامة سعادته، وإرادة الخير به»(٤).

الواحد والعشرون: من أعمال الموفقين مواساة نفسه بالأجر عند البلاء والمصيبة

فالموفق للصبر والمحتسب للأجر تجده يسلي نفسه بما يذهب عنه مرارة البلاء بما أعده الله من الأجور الكثيرة والكرامات الوفيرة مما لا يعد

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٧).
(٢) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (٢٦٨).
(٣) آدَاب الدِّين والدُّنيَا (٥٣٤).
(٤) طريق الهجرتين (١/ ٢٥٩).

ولا يحصىٰ ويذكر ما فسر به في قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠].

✍ **قال الأوزاعي**: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا.

✍ **وقال ابن جريج**: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون علىٰ ذلك(١).

لاشك أنه يطمئن قلبه وتسكن نفسه ويبرد حر المصيبة وتحلو مرارة وألم المصيبة حين يذكر أن الدنيا ذاهبة فنفسه مما يذهب مع ما قد ذهب من مال هو فاقده بعد موته وولد وزوجة وصحة فيقول أي شيء أبقىٰ لي ثواب صبري أو جزع نفسي وكم تذهب نفوس كمدا وتذوب أكباد أسفا وتتآكل أجساد حزنا وهما علىٰ فوات أو ضياع لشيء فاني لما هو في الأصل المتعب لنفسه لاشك سيذهب وسيفقد كما فقد فعلام تذهب النفس حسرات وتلتهب القلوب زفرات غفلة عن هذه التسالي الربانية الذي يثمرها الصبر والرضا بالقضاء والقدر

✍ **قال أبو تمام**:

أتصبر للبلوىٰ عزاء وحسبة ∴ فتؤجر أم تسلوا سلوا البهائم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٩٠).

نماذج وأمثلة لمن يتسلى بالأجور الباقية عن الدنيا الفانية الذاهبة

(١) تسلية المريض بالحمى

❁ عن أم العلاء قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: «**أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»(١).

❁ وللحديث طريق أخرىٰ عن أم العلاء بلفظ: «**اصبري، فإنه** (يعني وجع الحمىٰ) **يذهب خبث المؤمن كما تذهب النار خبث الحديد**».

❁ وفي رواية عن أم العلاء أن رسول الله ﷺ عادها من حمىٰ، فرآها تضور من شدة الوجع فقال لها «**أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»(٢).

❁ وله شاهد من طريق فاطمة الخزاعية قالت: عاد النبي ﷺ امرأة من الأنصار وهي وجعة، فقال لها: «**كيف تجدينك؟**» قالت: بخير إلا أن أم ملدم قد برحت بي، فقال النبي ﷺ «**اصبري فإنها تذهب خبث المؤمن كما**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٣٣٩: أخرجه أبو داود (٣٠٩٢): حدثنا سهل بن بكار عن أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير...» فذكره.
قلت: وهذا إسناد جيد، ورجاله ثقات رجال البخاري أورد السيوطي هذا الحديث في «الجامع الكبير» (١/ ٦/ ٢) من رواية الطبراني.

(٢) أخرجه ابن السكن وابن منده كذا في «الإصابة» لابن حجر. قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات فهو إسناد جيد.

تذهب النار خبث الحديد...»(١).

❁ وعن خالد بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر: أن رسول الله ﷺ عاد امرأة من الأنصار، فقال لها: «**أهي أم ملدم؟**» قالت: نعم، فلعنها الله، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبيها، فإنها تغسل ذنوب العبد كما يذهب الكير خبث الحديد**»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَةَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَالَ بعْضُ الحُكَمَاءِ: «مِن كُنوزِ البر كِتمَان المَصَائِب وقَدْ كَانوا يَفرحُون بالمَصَائِب نظَرا إِلَىٰ ثَوابها»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من خلقه الله للجنة لم تزل تأتيه المكاره، والمؤمن الحازم يثبت للعظائم، ولا يتغير فؤاده، ولا ينطق بالشكوىٰ لسانه، وكتمان المصائب والأوجاع من شيم النبلاء، وما هلك الهالكون إلا من نفاد الجلد. فخفف المصاب عن نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر؛ لتذهب المحن بلا شكوىٰ وتذكر دوما: أنك ما منعت إلا لتعطىٰ ولا ابتلاك إلا لتعافىٰ ولا امتحنك إلا لتصفىٰ»(٤).

---

(١) قال الهيثمي (٢/ ٣٠٧): «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٦)، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم وإنما أخرجه بغير هذا اللفظ من حديث حجاج ابن أبي عثمان عن أبي الزبير» ووافقه الذهبي.
قلت: حديث حجاج يأتي بعده. وخالد بن يزيد هو الجمحي المصري وهو ثقة محتج به في «الصحيحين».

(٣) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (٢٧٤).

(٤) الفوائد (صـ ٣٦).

(٢) تسلية من فقد من أولاده

❁ عن أبي سنان قال: دفنت ابني سنانا وأبو طلحة الخولاني جالس علىٰ شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال ألا أبشرك يا أبا سنان قلت بلىٰ فقال حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسىٰ الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد**»(١).

❁ عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا**» فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله ثم قال: «**ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجابا من النار**» فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنين؟ فأعادتها مرتين. ثم قال: «**واثنين واثنين واثنين**»(٢).

❁ عن قرة المزني: أن رجلًا كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له. فقال له النبي ﷺ: «**أتحبه؟**» فقال: يا رسول الله ﷺ أحبك الله كما أحبه. ففقده النبي ﷺ فقال: «**ما فعل ابن فلان؟**» قالوا: يا رسول الله مات. فقال رسول الله ﷺ: «**أما تحب ألا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟**» فقال

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٢٠)، وابن حبان قال الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ٧٩٥ في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري برقم (٩٩).

رجل: يا رسول الله له خاصة أم لكلنا؟ قال: «**بل لكلكم**»(١).

❁ وفي رواية للنسائي (١٨٧٠) قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس جلس إليه نفر من أصحابه فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه ففقده النبي ﷺ فقال: «**ما لي لا أرىٰ فلانًا**» قالوا: يا رسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي ﷺ فسأله عن بنيه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال: «**يا فلان أيما كان أحب إليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتي إلىٰ باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك**» قال: يا نبي الله بل يسبقني إلىٰ باب الجنة فيفتحها لهو أحب إلي قال: «**فذاك لك**».

❁ عن أبي ذر مرفوعًا به عن النبي ﷺ: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم. وما من مسلم ينفق من زوجين من ماله في سبيل الله إلا ابتدره حجبة الجنة (كلهم يدعوه إلىٰ ما قبله)**»(٢).

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني. انظر [صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٠٧)].

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٣٢٩: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٢٦٠/ ٢٩٢٩ و٧/ ٧٧ - ٧٨/ ٤٦٢٤ - ٤٦٢٦)، وأبو عوانة في «صحيحه» (٨/ ٨ - ٩ مخطوطة الظاهرية)، والبيهقي (٩/ ١٧١) - والزيادة له - وأحمد (٥/ ١٥١ و١٥٩ و١٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٤ - ١٥٥/ ١٦٤٤ و١٦٤٥)، وأخرجه النسائي مرفوعًا (١٨٧٤ و٣١٨٥). قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٥٧٧٩ في صحيح الجامع.

❁ وعن أبي حسان رضي الله عنه قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا قال: **نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقىٰ أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهىٰ أو قال ينتهي حتىٰ يدخله الله وأباه الجنة**(١).

❁ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأىٰ أحد منكم من رؤيا**» فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما فانطلقنا...**»

وفيه «**فأتينا علىٰ روضة معتمة فيها من كل نور الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرىٰ رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالا لي وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات علىٰ الفطرة**» قال فقال بعض المسلمين: يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين**»(٢).

(٣) تسلية من مات له شخص إن كانت امرأة على نفاس أو كان حريقا أو غريقا أو مهدوما أو مبطون وذات الجنب والملدوغ كلهم له أجر شهيد

❁ وعن جابر بن عتيك قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهادة سبع سوىٰ**

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٧٦٩)، وأحمد (٢/ ٤٨٨، ٥١٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥٢٥).

القتل في سبيل الله: المطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد وصاحب الحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد»(١).

❁ وفي لفظ لابن عساكر «الغريق شهيد والحريق شهيد (والغريب شهيد والملدوغ شهيد)، والمبطون شهيد ومن يقع عليه البيت فهو شهيد (ومن يقع من فوق البيت فتندق رجله أو عنقه فيموت فهو شهيد ومن تقع عليه صخرة فهو شهيد والغيرىٰ علىٰ زوجها كالمجاهد في سبيل الله فلها أجر شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون نفسه فهو شهيد (ومن قتل دون أخيه فهو شهيد ومن قتل دون جاره فهو شهيد والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر شهيد».

❁ ولفظ الطبراني: «القتيل في سبيل الله شهيد والمبطون شهيد والمطعون شهيد والغريق شهيد والنفساء شهيدة».

(٤) تسلية من مات له حبيب أو قريب عزيز عليه

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»(٢).

---

(١) رواه مالك، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٣٧٣٩ في صحيح الجامع، وانظر حديث رقم: ٤١٧٢ في صحيح الجامع عن عبدالله بن بسر. قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٤٤٤١ في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٩٤٤).

❁ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يرضىٰ لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب وقال ما أمر به بثواب دون الجنة**»(١).

(٥) تسلية الأعمى الصابر المحتسب

❁ عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه**»(٢).

❁ ولفظ الترمذي «قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة**».

(٦) تسلية من ابتلي بكثرة البنات

❁ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة**». قيل: يا رسول الله! فإن كانت اثنتين؟ قال: «**وإن كانت اثنتين**». قال: فرأىٰ بعض القوم أن لو قالوا له: واحدة؟ لقال: واحدة»(٣).

---

(١) سنن النسائي (١٨٧١) قال الشيخ الألباني: (حسن). انظر حديث رقم: ١٨٥١ في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٢٢١) رواه الترمذي (٢٣٢٥).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٣٩٧: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٠٣).
قلت: وهذا إسناد حسن في المتابعات، ورجاله ثقات والحديث قال المنذري (٣/ ٨٤ - ٨٥): «رواه أحمد بإسناد جيد، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وزاد: (ويزوجهن)». وكذا قال الهيثمي (٨/ ١٥٧)، وللحديث شواهد كثيرة تقدم ذكر جملة طيبة منها برقم (٢٩٤ و٢٩٧).

❁ عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كان له ثلاثة بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابًا من النار يوم القيامة**»(١).

❁ وهو لفظ البخاري عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا بلفظ: «**من عال ثلاث بنات، فأدبهن وزوجهن، وأحسن إليهن، فله الجنة**»

❁ ولفظ أحمد: «**لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن، إلا دخل الجنة**»

❁ عن أنس أو غيره، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتىٰ يمتن** (وفي رواية: **يبن** وفي أخرىٰ **يبلغن**) **أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطىٰ**»(٢).

❁ وفي لفظ: «**من عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥٢٦: أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٩)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٧٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤).
قلت وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٢٢١): «إسناده صحيح»، ورواه أحمد وأبو يعلىٰ في «مسنديهما».

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥٢٩: أخرجه أحمد (٣/ ١٤٧، ١٤٨).

(٣) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٥٧) بنحوه من رواية الطبراني في «الأوسط» بإسنادين قال: «ورجال أحدهما رجال الصحيح».

⇦=

❁ عن عائشة رضي الله عنها قالت عن النبي ﷺ: «**ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كن له سترا من النار**»(١).

❁ عن أبي وائل قال: أقبلت ابنه لعبد الله بن مسعود وهي جارية صغيرة فضمها إلىٰ نحره ثم قبلها ثم قال: يا مرحبًا يا ستر عبد الله من النار. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلىٰ الجنة**»(٢).

❁ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة**»(٣).

❁ ولفظ الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقىٰ الله فيهن فله الجنة**»(٤).

= قلت: وعنده الرواية الثالثة، ومما يرجح هذه الرواية أنها ثبتت من طريق أخرىٰ عن أنس بنحوه.

(١) أخرجه ابن وهب قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٥٣٧٢ في صحيح الجامع.

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي (٣٩/ ٢).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٩)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه الترمذي واللفظ له وأبو داؤود إلا أنه قال: [صحيح لغيره] ولفظه: «**فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة**» وابن حبان في صحيحه وفي رواية للترمذي قال =

❁ عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن يبن أو يمتن إلا كن له حجابًا من النار**» فقالت له امرأة: أو ابنتان قال: «**أو ابنتان**»(١).

✍ وقال صالح بن أحمد: كان أبي إذا ولد له ابنة يقول الأنبياء كانوا آباء بنات ويقول قد جاء في البنات ما قد علمت.

✍ **قال يعقوب بن بختان**: ولد لي سبع بنات فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت علىٰ أحمد بن حنبل فيقول لي يا أبا يوسف الأنبياء آباء بنات فكان يذهب قوله همي(٢).

❁ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ: «**لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات**»(٣).

(٧) تسلية الفقير الصابر المحتسب

❁ وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل**

= رسول الله ﷺ: «**لا يكون لاحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة**».

(١) رواه الطبراني وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١٩٧٢) قال الألباني: (حسن لغيره).

(٢) تحفة المودود (٤/ ٥).

(٣) أخرجه أحمد والطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [٣٢٠٦].

للحساب»(١).

❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله عز وجل» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور، وتتقىٰ بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: ربنا نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم، قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني ولا يشركون بي شيئًا، وتُسد بهم الثغور، وتُتقىٰ بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب؛ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار»(٢).

❁ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «يا معشر الفقراء! ألا أبشركم؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٤٧١: رواه أحمد (٥/ ٤٢٧، ٤٢٧ - ٤٢٨، ٤٢٨)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (١/ ١٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٥٥٩ مخطوطة المكتب الإسلامي).

قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) رواه أحمد والبزار ورواتهما ثقات وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني. انظر صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه والترمذي وأحمد قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث =⇦

❁ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا**» فقيل: صفهم لنا، قال: «**الدنسة ثيابهم الشعثة رؤوسهم الذين لا يؤذن لهم علىٰ السدات ولا ينكحون المنعمات توكل بهم مشارق الأرض ومغاربها يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم**»(١).

❁ ولفظ مسلم عن ابن عمر مختصرًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن فقراء أمتي المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا**»(٢).

❁ عن فضالة بن عبيد يقول: «كان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ بالناس خر رجال من قامتهم في الصلاة، لما بهم من الخصاصة وهم من أصحاب الصفة حتىٰ يقول الأعراب: إن هؤلاء مجانين، فإذا قضىٰ رسول الله ﷺ الصلاة انصرف إليهم، فقال: «**لو تعلمون ما لكم عند الله عَزَّوَجَلَّ، لأحببتم لو أنكم تزدادون حاجة وفاقة**»(٣).

= رقم: ٧٩٧٦ في صحيح الجامع. انظر حديث رقم: ٨٠٧٦ في صحيح الجامع عن أبي هريرة.

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورواته ثقات قال الشيخ الألباني: (صحيح).

(٢) رواه مسلم (٥٢٩١).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٢٠٢: أخرجه الترمذي (٢٣٦٩)، وابن حبان (٢٥٣٨)، وأحمد (٦/ ١٨ - ١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧). قلت: وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي هانئ، وهو ثقة قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٥٢٦٥ في صحيح الجامع.

✍ **كان أبو حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يمر علىٰ الفاكهة في السوق فيشتهيها، فيقول: «موعدك الجنة»(١).

❁ عن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق وينقلون التراب وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا ∴ علىٰ الجهاد ما بقينا أبدًا

يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ∴ فاغفر للأنصار والمهاجرة»(٢)

تنبيه: انظر أخي -حفظك الله ورزقك العلم والعمل- إن أردت المطالعة في هذا الموضوع إلىٰ:

(١) تسلية الأعمىٰ عن بلية العمىٰ للهروي (المتوفىٰ ١٠١٤).

(٢) اللباب في تسلية المصاب لأبي الحسن علي بن أيوب المقدسي (المتوفىٰ ٧٤٨).

(٣) تسلية أهل المصائب شمس الدين المنبجي (المتوفىٰ ٧٨٥).

(٤) تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال للحافظ ابن رجب (المتوفىٰ ٧٩٥).

(٥) تسلية صالحي الفقراء بما لهم من الفضل علىٰ أهل الثراء الشيخ يحيىٰ الحجوري.

---

(١) حلية الأولياء (٣/٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٤١)، وأخرجه مسلم برقم (٣٣٦٦).

الثاني والعشرون: من أعمال الموفقين العمل بالعلم

❁ قال تعالىٰ: ﴿ ❁ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤].

✍ **قال العلامة ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ: كيف يليق بكم -يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير-أن تنسوا أنفسكم، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه علىٰ من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم؛ فتنتبهوا من رقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم. وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة:٤٤]. قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه، وبالبر، ويخالفون، فعيرهم الله، عَزَّوَجَلَّ. وكذلك قال السدي.

✍ **وقال ابن جريج**: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة.

✍ **وقال محمد بن إسحاق**، عن محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: تتركون أنفسكم ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾»(١).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٧).

✍ **قال الإمام القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت: فقد دل الحديث الصحيح وألفاظ الآية علىٰ أن عقوبة من كان عالمًا بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالىٰ ومستخف بأحكامه وهو ممن لا ينتفع بعلمه قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**» أخرجه ابن ماجه في سننه(١).

واعلم وفقك الله تعالىٰ أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر ولهذا ذم الله تعالىٰ في كتابه قوما كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها وبخهم به توبيخًا يتلىٰ علىٰ طول الدهر إلىٰ يوم القيامة فقال: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الآية(٢).

❁ عن أبي تميمة عن جندب بن عبد الله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مثل الذي يعلم الناس الخير وينسىٰ نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ....**» الحديث(٣).

❁ وفي لفظ «**كمثل الفتيلة**».

❁ عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ «**سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوذوا**

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» ٤/ ١٣٨: (ضعيف الإسناد جدًّا).

(٢) تفسير القرطبي (٣٦٨/ ١).

(٣) قال الشيخ الألباني: رواه الطبراني وإسناده حسن إن شاء الله. انظر [صحيح الترغيب والترهيب(٢٣٢٨) (صحيح لغيره)، وانظر حديث رقم: ٥٨٣١ في صحيح الجامع.

بالله من علم لا ينفع»(١).

❁ عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلىٰ الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا**»(٢).

❁ وعن أنس عن رسول الله ﷺ: «**أتيت ليلة أُسري بي علىٰ قوم تقرضهم شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرضت وفت** -يعني عادت كما كانت- **فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرأون كتاب الله ولا يعملون**»(٣).

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٦: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٦٠٥)، وابن ماجة (٣٨٤٣)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق/ ١١٨/ ١)، والفاكهي في «حديثه» (٢/ ٣٤/ ٢)، وعزاه الحافظ ابن رجب الحنبلي في «فضل علم السلف» (ص ٨) للنسائي بلفظ: أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إن أسألك علمًا نافعًا وأعوذ بك من علم لا ينفع**».

(٢) انظر [صحيح ابن ماجة(٧٥٣)] قال الشيخ الألباني: (صحيح) الروض ١١٩٩.

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٥٢٢: هو من حديث «أنس» رضي الله عنه، وله عنه أربع طرق: الأولىٰ: عن مالك بن دينار عنه. أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (ق ١٩٨/ ١):.و أخرجه بن حبان في «صحيحه» (رقم ٥٢ ترتيبه): أورده ابن أبي حاتم (٤/ ١/ ٢٢٠/ ٩٩١)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤٣ ٤٤) أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (ق ١٩٢/ ١ من الكواكب)، وأحمد (٣/ ١٢٠، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩)، وأبو يعلىٰ (١٩١/ ١ ٢ و٢)، والخطيب في «التاريخ» (٦/ ١٩٩، ١٢/ ٤٧) [رواه البيهقي في شعب الإيمان: ١٦٣٧].

قلت: و جملة القول: أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والحمد لله رب العالمين.

❁ وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح أيضًا: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**»(١).

❁ وقال النبي ﷺ: «**يؤتىٰ بالرجل يوم القيامة، فيلقىٰ في النار، فتندلق أقتاب بطنه يعني أمعاؤه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحىٰ، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف، وتنهىٰ عن المنكر؟ فيقول: بلىٰ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهىٰ عن المنكر وآتيه**»(٢).

✍ **وعن منصور بن شاذان قال:** «نبئت أن بعض من يلقىٰ في النار فيتأذىٰ أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتىٰ ابتلينا بك ونتن ريحك؟ فيقول: إني كنت عالمًا فلم انتفع بعلمي»(٣).

✍ **وعن عبد الله بن عكيم قال:** «سمعت ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث» يعني حلف قبل أن يتكلم بالكلام، فقال: «ما منكم أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: ابن آدم، ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»(٤).

---

(١) [رواه الترمذي: ٢٤١٧، وقال: «حديث حسن صحيح»، وقال الألباني: «حسن صحيح» كما في صحيح الترغيب والترهيب: ٣٥٩٢].

(٢) [رواه البخاري: ٣٢٦٧، ومسلم: ٢٩٨٩].

(٣) الزهد لأحمد، ص: ٣٠٦].

(٤) [الزهد والرقائق، لابن المبارك ص: ١٣، والتوحيد، لابن خزيمة: ٢/ ٤٢٠].

✍ **وقال أبو الدرداء**: إنما أخاف أن يكون ما يسألني عنه ربي أن يقول قد علمت فما عملت فيما علمت حسن موقوف علىٰ أبي الدرداء قد علمت فما عملت فيما علمت(١).

✍ **وكان بعض السلف يقول**: أخشىٰ ألا تبقىٰ آية في كتاب الله -تعالىٰ- آمرة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتسألني الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع(٢).

- **وقد كانت عائشة** رضي الله عنها حريصة علىٰ تأصيل هذا المفهوم في نفوس بعض أهلها ومن يسألها، قضية أن الإنسان لا ينتقل إلىٰ تعلم شيء جديد إلا بعد أن يعمل بما علم، لا يستكثر من العلم دون عمل.

✍ **عن عطاء**: «كان فتىٰ يختلف إلىٰ أم المؤمنين عائشة، فيسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: يا بني هل عملت بعد بما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا أمه، فقالت: يا بني فبما تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟»(٣).

✍ **وقال منصور الفقيه فأحسن**:

إن قوما يأمرونا بالذي لا يفعلونا ∴ لمجانين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

---

(١) [اقتضاء العلم العمل، ص: ٤١].

(٢) [جامع بيان العلم وفضله، ص: ٦٨٣].

(٣) [اقتضاء العلم العمل، ص: ٦٠].

✍ **وقال أبو العتاهية:**

وصفت التقىٰ حتىٰ كأنك ذو تقىٰ ∴ وريح الخطايا من ثيابك تسطع

✍ **وقال أبو الأسود الدؤلي:**

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ∴ عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ∴ فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدىٰ ∴ بالقول منك وينفع التعليم

✍ **وقال أبو عمرو بن مطر:** حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد فخرج وقعد علىٰ موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير، فسكت حتىٰ طال سكوته، فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس: ترىٰ أن تقول في سكوتك شيئًا؟ فأنشأ يقول:

وغير تقي يأمر الناس بالتقىٰ ∴ طبيب يداوي والطبيب مريض

✍ **وقال سلم بن عمرو:**

ما أقبح التزهيد من واعظ ∴ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا ∴ أضحىٰ وأمسىٰ بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما باله ∴ يستمنح الناس ويسترفد
والرزق مقسوم علىٰ من ترىٰ ∴ ينالـه الأبيض والأسود

✍ **قال الشاعر:**

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ ∴ والماء فوق ظهورها محمول

✍ **وقال القائل:**

يـا أيهـا الرجـل المعلـم غيـره ∴ هـلا لنفسـك كـان ذا التعلـيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنىٰ ∴ كيمـا يصـح بـه وأنـت سـقيم
لا تنـه عـن خلـق وتـأتي مثلـه ∴ عـار عليـك إذا فعلـت عظـيم
فابـدأ بنفسـك فنههـا عـن غيهـا ∴ فـإذا انتهـت عنـه فأنـت حكـيم

✍ **قال صاحب الزبد:**

وعـالم بعلمـه لـم يعملـن ∴ معـذب مـن قبـل عبـاد الـوثن

✍ **وقال آخر:**

وبـاذل العلـم والتعلـيم في نصـح ∴ فنفسـه أولـىٰ وأقـرب منـه بالنصـح
كمنفـق المـال وينسـىٰ منه ذي قربـىٰ ∴ وأهلـه أزكـىٰ وأكثـر منـه في الـربح
مسـكين مـن أفنـىٰ مـن عمـره دهـرا ∴ علمـا وتعليمـا ونفسـه منـه في كـدح

✍ **قال العلامة ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب، وبدد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقل الانتفاع بهم في حياتهم، ونسوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد يلتفت إلىٰ مصنفاتهم.

فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر. والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم

مفلسا، علىٰ قوة الحجة عليه»(١).

✍ **ذكر الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في ترجمة أن عبدالله بن أحمد الخشاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك؟

فقال: غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول»(٢).

✍ **قال محمد بن ميمون الخياط**: سمعت ابن عيينة يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل، فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟(٣).

✍ **قال الحسن**: إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرىٰ ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده، وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم، فيعمل به، فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها، لو كانت له فجعلها في الآخرة. (٤).

✍ **عن مطر الوراق**، في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] قال: بلغنا أن الحكمة خشية الله، والعلم به(٥).

✍ **قال أبو قلابة** -وهو من أعلام التابعين-: «إذا أحدثَ الله لك علمًا،

---

(١) صيد الخاطر (١٥٩/ ١).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٩).
(٣) أخلاق العلماء للآجري (٧٤/ ١).
(٤) أخلاق العلماء للآجري (٧٢/ ١).
(٥) أخلاق العلماء للآجري (٧٠/ ١).

فأحدِثْ لله عبادةً ولا تكن إنما همّكَ أن تحدثَ به الناسَ»(١).

✍ **عن عطاء بن السائب، أن أبا عبد الرحمن عبدالله بن شقيق قال:** «أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلىٰ العشر الآخر حتىٰ يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء، لا يجاوز تراقيهم»(٢).

✍ **من طريق ابن حميد عن جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن، عبدالله بن شقيق قال:** حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا.

✍ **عن شقيق عن ابن مسعود، قال:** كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتىٰ يعرف معانيهن والعمل بهن.

✍ **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياك أن تدل الناس علىٰ الله ثم تفقد أنت الطريق واستعذ بالله دائمًا أن تكون جسرًا يعبر عليه إلىٰ الجنة ثم يرمىٰ في النار»(٣).

---

(١) «فتح المغيث»٣/ ٢٩٤.

(٢) زاد ابن سعد ٦/ ١٧٢: «بل لا يجاوز هاهنا، ووضع يده علىٰ الحلق»، وأخرجه الطبري ١/ ٣٦ وجرير سمع من عطاء بعد الاختلاط، وأخرجه الطبري ١/ ٣٥، من طريق الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش ورجاله ثقات. وإسناده حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩١).

✍ **قال علي** رضي الله عنه «إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرونه من قلة انتفاع من علم بما علم»(١).

✍ **قال بعض الحكماء أو العلماء**: «نفعنا الله وإياكم بالعلم ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب»(٢).

✍ **وقال بعضهم**: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعده شرًّا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل»(٣).

الثالث والعشرون: من أعمال الموفقين الهمة والإرادة

❁ عن حسين بن علي رضي الله عنه مرفوعًا عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها**»(٤).

---

(١) أدب الدنيا والدين ص٧٦.

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٠).

(٣) [اقتضاء العلم العمل، ص: ٨٤].

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٤/ ١٦٨: رواه الطبراني رقم (٢٨٩٤)، وابن عدي (١١٤/ ١)، والقضاعي (٨٩/ ٢)، ورواه الخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه في الرسم» (٨/ ١) من هذا الوجه.. أخرجه ابن عساكر (٢/ ٢٢٦/ ١)، وأخرجه الخرائطي «مكارم الأخلاق ومعاليها» (ص ٢ - ٣) بهذا الإسناد. وأخرجه البيهقي في «الأسماء» (ص ٥٣) من طريق أخرىٰ عن ابن يونس به. قلت: فهو إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات مترجمون في «التهذيب» وهو مخرج في «حجاب المرأة المسلمة» (١٠١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٠/ ١)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ١٨٩٠ في صحيح الجامع.

✍ **قال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأخلاق الشريفة والخصال الشريفة فهي معالي الأمور لاحب العلو والفساد في الأرض (ويكره سفسافها) حقيرها ورديئها يقال الإنسان يشابه الملك بقوة التفكر وحسن الإدراك ويشابه الحيوان البهيمي بما ركب فيه من الشهوة والدناءة فمن قصرت همته علىٰ اكتساب معالي الأخلاق أحبه الله وشابه الملائكة ومن صرفها إلىٰ السفساف ورذائل الأخلاق التحق بالعالم البهيمي وتتنوع في المشابهة فإما صار كالكلب وإما سترها كالخنزير أو حقود كالجمل أو متكبر كالنمر أو رواغا كالثعلب أو جامعا للكل كالشيطان»(١).

✍ **قال العلامة المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معالي الأمور: وهي الأخلاق الشرعية والخصال الدينية لا الأمور الدنيوية فإن العلو فيها نزول (ويكره) في رواية البيهقي ويبغض (سفسافها) بفتح أوله أي حقيرها ورديئها فمن اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تحلىٰ بالأوصاف الرديئة كرهه.

وشرف النفس صونها عن الرذائل والدنايا والمطامع القاطعة لأعناق الرجال فيربأ بنفسه أن يلقيها في ذلك وليس المراد به التيه فإنه يتولد من أمرين خبيثين إعجاب بنفسه وازدراء بغيره والأول يتولد بين خلقين كريمتين إعزاز النفس وإكرامها وتعظيم مالكها فيتولد من ذلك شرف النفس وصيانتها وقد خلق سبحانه وتعالىٰ لكل من القسمين أهلا لما مر أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة علىٰ الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها فالتربة الخبيثة نفوسها التي

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٣٩١/ ٣).

خلقت منها مطبوعة علىٰ الشقوة والصعوبة والشح والحقد وما أشبهه.

(تنبيه) علم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بها غيره من الحيوان والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلىٰ معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة فحينئذ ترفع همته إلىٰ العالم الرضواني وتنساق إلىٰ الملأ الروحاني.

(تنبيه) قال بعض الحكماء بالهمم العالية والقرائح الزكية تصفو القلوب إلىٰ نسيم العقل الروحاني وترقىٰ في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الأبصار المحيطة بالأنظار وترتع في رياض الألباب المصفاة من الأدناس وبالأفكار تصفو كدر الأخلاق المحيطة بأقطار الهياكل الجسمانية فعند الصفو ومفارقة الكدر تعيش الأرواح التي لا يصل إليها انحلال ولا اضمحلال»(١).

✍ **كان شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: «لا بد للسالك إلىٰ الله من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه»(٢).

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أراد القدر شخصًا بذر في أرض قلبه بذر التوفيق، ثم سقاه بماء الرغبة والرهبة، ثم أقام عليه بأطوار المراقبة، واستخدم له حارس العلم، فإذا الزرع قائم علىٰ سوقه.

فإذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وردفه قمر العزيمة، أشرقت

---

(١) فيض القدير (٣٧٤/ ٢).

(٢) الشاهدة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية ص(٣٥).

أرض القلب بنور ربها»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية، والمحبة الصادقة، والإرادة الخالصة، فعلىٰ قدر ذلك تكون الحياة الطيبة، وأخس الناس حياة أخسهم همة، وأضعفهم محبة وطلبا، وحياة البهائم خير من حياته»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكمال كل إنسان إنما يتم بهذين النوعين، همة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه؛ فإن مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين، أو من إحداهما، إما أن لا يكون له علم بها، فلا يتحرك في طلبها، أو يكون عالما بها ولا تنهض همته إليها، فلا يزال في حضيض طبعه محبوسا، وقلبه عن كماله الذي خلق له مصدودًا منكوسًا، قد أسام نفسه مع الأنعام راعيا مع الهمل، واستطاب لقيمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رفع له علم فشمر إليه، وبورك له في تفرده في طريق طلبه، فلزمه واستقام عليه، قد أبت غلبات شوقه إلا الهجرة إلىٰ الله ورسوله، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سبيله»(٣).

✍ **قال الشاعر:**

إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم ∴ فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

---

(١) الفوائد (٤٨/ ١).

(٢) مدارج السالكين (٢٤٧/ ٣).

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٢١٤.

فطعم الموت في أمر حقير ∴ كطعم الموت في أمر عظيم

✍ **وقال بعضهم:**(١)

فكن رجلًا رجله في الثرىٰ ∴ وهامة همته في الثريا

✍ **وقال السري السقطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل»(٢).

✍ **وقال بعضهم:**(٣)

والنفس راغبة إذا رغبتها ∴ وإذا ترد إلىٰ قليل تقنع

✍ **وقال بعضهم:**(٤)

وإذا كانت النفوس كبارًا ∴ تعبت في مرادها الأجسام

✍ **قال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إني لأبغض الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة»(٥).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد عرفت بالدليل أن الهمّة مولودة مع الآدميّ، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُثَّت سارت، ومتىٰ رأيت في نفسك عجزًا فسَلِ المنعم، أو كسلًا فالجأ إلىٰ الموفق، فلن

---

(١) [المنتظم ١٥/ ٢٣٢].

(٢) [صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠].

(٣) [عيون الأخبار ٢/ ٥٨٨].

(٤) [البداية والنهاية ١١/ ٣٣٢].

(٥) [(رواه الإمام أحمد)، صفة الصفوة ١/ ٢٠١].

تنال خيرًا إلا بطاعته، ولا يفوتك خير إلا بمعصيته)»[١].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولقاح الهمة العالية النية الصالحة فإذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد»[٢].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنفوسُ الشَّريفةُ لَا ترضَىٰ مِن الأشْيَاءِ إِلَّا بأعْلَاها وأفضَلِها وأحْمَدها عَاقِبة والنفوسُ الدَّنيئَةُ تحُومُ حَولَ الدَّناءَات وتقَعُ عَلَيْها كَمَا يَقَعُ الذُّباب عَلَىٰ الأقْذَار»[٣].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع عقلاء كل أمة علىٰ أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة. ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام، فأما في هذه الدار فكلا ولما»[٤].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن الجَوزِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن عَلَامَةِ كَمَالِ العَقْلِ عُلُو الهمَّة والراضِي بالدُّون دَنِيء»[٥].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار

---

(١) لفتة الكبد إلىٰ نصيحة الولد (٣/ ١).

(٢) الفوائد (٢٦١).

(٣) الفوائِد (١٧٥).

(٤) مفتاح دار السعادة ١٥/ ٢.

(٥) صيد الخاطر (٢٦٥).

فترت عزائمه»[(١)].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كيف الفلاح بين إيمان ناقص وأمل زائد، ومرض لا طبيب له ولا عائد وهوىٰ مستيقظ وعقل راقد»[(٢)].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا جَن الليل تغالب النوم والسهر، فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة، والكسل والتواني في كتيبة الغفلة، فإذا حمل العزم حمل علىٰ الميمنة فانهزَمَت جنود التفريط، فما يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهام وبردت الغنيمة لأهلها»[(٣)].

✍ **وقال عمر بن عبد العزيز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانت لي نفس تواقة، فكنت لا أنال منها شيئًا إلا تاقت إلىٰ ما هو أعظم، فلما بلغت نفسي الغاية، تاقت إلىٰ الآخرة»[(٤)].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع عقلاء كل أمة علىٰ أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة، فإنه علىٰ قدر التعب تكون الراحة.

علىٰ قدر أهل العزم تأتي العزائم ∴ وتأتي علىٰ قدر الكريم الكرائم
ويكبر في عين الصغير صغيرها ∴ وتصغر في عين العظيم العظائم»[(٥)]

---

(١) [تهذيب مدارج السالكين(٥٠٧/ ١)].
(٢) فوائد الفوائد(٣٤٣/ ١).
(٣) [الفوائد(٤٩)].
(٤) [الحلية (تهذيبه) ٢/ ٢٣٧].
(٥) بتصرف. مدارج السالكين ٢/ ٤٥.

✍ **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخسف بالقلب، كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلىٰ أسفل سافلين، وصاحبه لا يشعر. وعلامة الخسف به أن لا يزال جوالًا حول السفليات والقاذورات والرذائل، كما أن القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوالًا حول البر والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق»(١).

✍ **قال بعض السلف**: «إن هذه القلوب جوالة، فمنها ما يجول حول العرش، ومنها ما يجول حول الحش»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتخلف العبد عن مصالحه وتفويتها عليه، إما أن يكون من عدم القدرة وهو العجز، أو من عدم الإرادة وهو الكسل»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعلىٰ الهمم في باب الإرادة أن تكون الهمة متعلقة بمحبة الله والوقوف مع مراده الديني الأمري وأسفلها أن تكون الهمة واقفة مع مراد صاحبها من الله فهو إنما يعبده لمراده منه لا لمراد الله منه فالأول يريد الله ويريد مراده»(٤).

---

(١) الداء والدواء (٢٧٥/ ١).

(٢) ذكره ابن القيم في المفتاح (١/ ٤٦٦)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥٢٤). وهو من كلام أحمد بن خضرويه البلخي من أصحاب حاتم الأصم (٢٣٧ هـ). طبقات الصوفية (١٠٤)، صفة الصفوة (٢/ ٢٩٥). والحش: موضع قضاء الحاجة.

(٣) الطب النبوي (١٧١/ ١).

(٤) الفوائد (٦١/ ١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علامة صحة الإرادة أن يكون هم المريد رضا ربه واستعداده للقائه وحزنه علىٰ وقت مر في غير مرضاته وأسفه علىٰ قربه والأنس به وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غيره»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والهدىٰ التام يوجب الاهتداء.

فالأول: هدىٰ البيان والدلالة ولتعليم، ولهذا يقال: هدي فما اهتدىٰ.

والثاني: هدىٰ البيان والدلالة، مع إعطاء التوفيق، وخلق الإرادة؛ فهذا الهدىٰ الذي يستلزم الاهتداء، ولا يتخلف عنه موجبه، فمتىٰ وجد السبب ونتفت الموانع لزم وجود حكمه»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي يسير العبد بإذن ربه إنما هو همته، والهمة إذا علت وارتفعت لم تلحقها القواطع والآفات، كالطائر إذا علا وارتفع في الجو فات الرماة ولم يلحقه الحصا ولا البنادق ولا السهام، وإنما تدرك هذه الأشياء للطائر إذا لم يكن عاليا، فكذلك الهمة العالية قد فاتت الجوارح والكواسر، وإنما تلحق الآفات والدواعي والإرادات الهمة النازلة، فأما إذا علت فلا تلحقها الآفات»(٣).

---

(١) الفوائد (١١٧/ ١).

(٢) مفتاح دار السعادة (٩٩/ ١).

(٣) طريق الهجرتين (٢٢٩/ ١).

الرابع والعشرون: من أعمال الموفقين هضم النفس ومعرفة قدرها والاشتغال بعيب النفس

تعظيم الله واتهام النفس بالتقصير وحسن الظن بالله وتحقير الأعمال الصالحة بالنسبة لحقّ الله من صفات المُؤمنين الصادقين.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم -وفقك الله- أنك كلما اشتغلت بتلك الطريقة، وسلكت السُّبل الموصلة إِلَىٰ الله عَلَىٰ الحقيقة، واستعملت الخشية ونفسها المراقبة، ونظرتَ في أحوال من سلف من الأئمة بإدمان النظر في أحوالهم بحُسن العاقبة، ازددت بالله وبأمره علمًا، وازددت لنفسك احتقارًا وهضمًا، وكان لك من نفسك شغلٌ شاغلٌ عن أن تتفرغ لمخالفة المسلمين.

ولا تكن حاكمًا عَلَىٰ جميع فرق المؤمنين، كأنك قد أوتيت علمًا لم يؤتوه، أو وصلت إِلَىٰ مقامٍ لم يصلوه.

فرحم الله من أساء الظلم بنفسه علمًا وعملًا وحالًا، وأحسن الظن بمن سلف، وعرف من نفسه نقصًا ومن السَّلف كمالاً، ولم يهجم عَلَىٰ أئمة الدين»(١).

وعن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة، وقال: أرفع الناس قدرًا من لا يرىٰ قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرىٰ فضله(٢).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن تحقير النفس، والإزراء عليها،

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٦٣٥).

(٢) السير (تهذيبه) [٢/ ٨٥٥].

ومقتها في ذات الله يقطع المسافات إلىٰ الله ما لا يقطعه صيام الهواجر، ولا قيام اللّيالي»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه؛ لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويُلَبس عليه، فيرىٰ المساوئ محاسن، والعيوب كَمالًا، ولا يُسيء الظن بنفسه إلاّ من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه»(٢).

وصية العالم العارف بربه إلىٰ الموفق:

✍ **وقال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا مسكين أنت مُسيّء وترىٰ أنك مُحسِن، وأنت جاهل وترىٰ أنك عالم، وتبخل وترىٰ أنك كريم، وأحمق وترىٰ أنك عاقل، أجَلك قصير وأمَلُك طويل!»

✍ **قال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مُعَلّقًا:**

قلت: إي والله، صدق، وأنت ظالم وترىٰ أنك مظلوم، وآكل للحرام وترىٰ أنك متورع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترىٰ أنك تطلبه لله(٣).

✍ **كما قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طوبىٰ لمن أنصف ربه فأقر بالجهل في

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٩٢).

(٢) انظر مدارج السالكين (١/ ١٨٩)، أدب الدنيا والدين للماوردي (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء(٧/ ٤٠٥).

عامه، والآفات في عمله، والعيوب في نفسه، والتفريط في حقه، والظلم في معاملته. فإن آخذه بذنوبه رأىٰ عدله، وإن لم يؤاخذه بها رأىٰ فضله وإن عمل حسنة رآها من منته وصدقته عليه، فإن قبلها فمنة وصدقة ثانية، وإن ردها فلكون كثلها لا يصلح أن يواجه به وإن عمل سيئة رآها من تخليه عنه، وخذلانه له، وإمساك عصمته عنه، وذلك عدله فيه، فيرىٰ في ذلك فقره إلىٰ ربه، وظلمه في نفسه، فإن غفرها له فبمحض إحسانه وجوده وكرمه ونكتة المسألة وسرها أنه لا يرىٰ ربه إلا محسنًا ولا يرىٰ نفسه إلا مسيئًا أو مفرطًا أو مقصرًا فيرىٰ كل ما يسره من فضل ربه عليه وإحسانه إليه وكل ما يسوؤه من ذنوبه وعدل الله فيه»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعارف لا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان يعني لا يرىٰ نفسه إلا مقصرا. والموجب له هذه الرؤية: استعظام مطلوبه، واستصغار نفسه، ومعرفته بعيوبها، وقلة زاده في عينه. فمن عرف الله وعرف نفسه: لم ير نفسه إلا بعين النقصان»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله إذا أراد بعبدٍ خيرًا سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتىٰ يدخل الجنة»(٣).

✍ **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رحِمَ الله عَبدًا أَخْمَلَ ذِكْره، وبكىٰ

---

(١) الفوائد (٣٦/ ١).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٦٩/).

(٣) [طريق الهجرتين (٣١٠)].

عَلىٰ خَطِيئَته قَبلَ أن يُرتهن عَمَلِه»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالىٰ في لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل»(٢).

✍ **قال العلامة ابن باديس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العجب أصل الهلاك فإذا أعجب المرء بنفسه عمي عن نقائصها، فلا يسعىٰ في إزالتها، ولهي عن الفضائل فلا يسعىٰ في اكتسابها فعاش ولا أخلاق له مصدرا لكل شر بعيدا عن كل خير»(٣).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عرف قدره وعرف لذي الفضل فضله فقد قرع باب التوفيق والله الفتاح العليم»(٤).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبد الخائف الوجل المشفق الذليل بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ المنكس الرأس بين يديه الذي لا يرضىٰ لربه شيئًا من عمله: هو أحوج شيء إلىٰ عفوه ورحمته ولا يرىٰ نفسه في نعمته إلا طفيليًّا ولا يرىٰ نفسه محسنا قط وإن صدر منه إحسان: علم أنه ليس من نفسه ولا بها ولا فيها وإنما هو محض منة الله عليه وصدقته عليه»(٥).

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي ١/ ٩٦.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ١٥٥.

(٣) آثار ابن باديس (٢٧٦/ ١).

(٤) مفتاح دار السعادة (٩٥/ ١).

(٥) مدارج السالكين (٣٥٩/ ٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكم بين عبادة مدل علىٰ ربه بعبادته، شامخ بأنفه، كلما طلبت منه أوصاف العبد قامت صور تلك الأعمال في نفسه فحجبته عن معبوده وإلهه، وبين عبادة من قد كسر الذل قلبه كل الكسر وحرق ما فيه من الرعونات والحماقات والخيالات فهو لا يرىٰ نفسه مع الله إلا مسيئا، كما لا يرىٰ ربه إليه إلا محسنا؛ فهو لا يرضىٰ نفسه لله طرفة عين؛ قد كسر إزراؤه علىٰ نفسه قلبه، وذلل لسانه وجوارحه، وطأطأ منه ما ارتفع من غيره، فقلبه واقف بين يدي ربه وقوف ناكس الرأس، خاضع غاض البصر، خاشع الصوت هادىٰ الحركات قد سجد بين ربه سجدة إلىٰ الممات»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عرف قدره، وعرف لذي الفضل فضله، فقد قرع باب التوفيق»(٢).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها وفقرها الذاتي إلىٰ مولاها الحق في كل لحظة ونفس وشدة حاجتها إليه عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونفس.

وأيضًا فإذا عرف حقارتها مع عظم قدر من خالفه عظمت الجناية عنده فشمر في التخلص منها وبحسب تصديقه بالوعيد ويقينه به يكون تشميره في التخلص من الجناية التي تلحق به»(٣).

---

(١) مفتاح دار السعادة (٨١٨/ ٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٦٣/ ١).

(٣) مدارج السالكين (١٤٤/ ١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شهود العبد خسة قدر نفسه فاستصغرها أن تكون أهلا لما أهلت له وكذلك شهود سفالة منزلته أي انحطاط رتبته وكذلك شهود تفاهة قيمته أي خستها وقلتها وحاصل ذلك كله احتقاره لنفسه واستعظامه للطف ربه به وتأهيله له فيتولد من بين هذين الهيمان المذكور ولا ريب أنه يتولد من بين هذين الشهودين أمور أخرىٰ أجل وأعظم وأشرف من الهيمان من محبة وحمد وشكر وعزم وإخلاص ونصيحة في العبودية وسرور وفرح بربه وأنس به هي مطلوبة لذاتها بخلاف عارض الهيمان فإنه لا يطلب لذاته وليس هو من منازل العبودية»(١).

✍ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن الإنسان بشر فينبغي أن يعرف قدر نفسه، حتىٰ لو أنعم الله عليه بمال، أو أنعم الله عليه بعلم، أو أنعم الله عليه بجاه، فينبغي أن يتواضع، وتواضع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالمال والعلم والجاه افضل من تواضع غيرهم، ممن لا يكون كذلك»(٢).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا عرف الإنسان قدر نفسه خضع لربه وقام بعبادته وعلم أنه لا غنىٰ له عن ربه طرفة عين».

ويكون لسان العبد كما **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(٣)

أقول ما قاله العبد المنيب أنا ∴ أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن

---

(١) مدارج السالكين (٨٠/ ٣).

(٢) شرح رياض الصالحين (٥٧٢/ ٣).

(٣) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لتلميذه ابن عبدالهادي (٥٣٥/ ١).

أنـا الكسـير أنـا المحتـاج يـا أملـي ∴ أنـا الغريـب فـلا أهـل ولا وطـن
أنـا العبيـد الـذي مـا زلـت مفتقـرا ∴ ما لي سواك ولا لي عنك منصرف!
أنت القدير علىٰ جبري بوصلك لي ∴ أدعـوك يـا سيدي يـا مشتكىٰ حزني
فانظر إلىٰ غربتي وارحم ضنا جسدي ∴ مـا زال مفتقـرا في بـاب سـيده
حتـىٰ رمتنـي إلـىٰ الابعـاد رايـاتي ∴ وابك علىٰ ما جرىٰ يا قلبي العاتي
بعـد الـزلال بكاسـات المنيـات ∴ تحت التراب فيا عظم المصيبات
إمـا بـدار هـوان أو بجنـات ∴ أودىٰ بـه السـجن في بـر وطاعـات
أنـا الفقيـر إلـىٰ رب السـموات ∴ جد لي بفضلك واعفو عن حلياتي
أنـا الوحيـد فـك! لـي في ملمـاتي ∴ إليـك يـا سـيدي في كـل حـالاتي
ذكـراك في القلـب قـراني وايـاتي ∴ أنـت العلـيم بأسـرار الخفيـات
يـا جـابري يـا مغيثـي في مهمـاتي ∴ يـا راحـم الخلـق يـا بـاري البريـات

✍ **وقال عن نفسه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد وجد بخط الشيخ أبيات، قالها بالقلعة، وهي(١):

أنـا الفقيـر إلـىٰ رب السـموات ∴ أنـا المسـيكين في مجمـوع حـالاتي
أنـا الظلـوم لنفسـي وهـي ظـالمتي ∴ والخيـر إن جاءنـا مـن عنـده يـاتي
لا أسـتطيع لنفسـي جلـب منفعـة ∴ ولا عـن النفس لـي دفـع المضـرات

---

(١) الأبيات ذكرها أيضًا تلميذه ابن القيم في «مدارج السالكين»: (٢/ ٢٢٥). وقال: إنه بعث إليه في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلىٰ ظهرها أبيات بخطه من نظمه.

ولـيس لـي دونـه مـولىٰ يـدبرني ∴ ولا شـفيع إذا حاطـت خطيئـاتي
إلا بـإذن مـن الـرحمن خالقنـا ∴ إلىٰ الشفيع كما قد جاء في الآيات
ولسـت أملـك شـيئًا دونـه أبـدًا ∴ ولا شـريك أنـا في بعـض ذراتي
ولا ظهيـر لـه كـي يسـتعين بـه ∴ كمـا يكـون لأربـاب الولايـات
والفقـر لـي وصـف ذات لازم أبـدًا ∴ كمـا الغنـىٰ أبـدًا وصـف لـه ذاتي
وهـذه الحـال حـال الخلـق أجمعهـم ∴ وكلهـم عنـده عبـد لـه آتي
فمـن بغـىٰ مطلبـا مـن دون خالقـه ∴ فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمـد لله مـلء الكـون أجمعـه ∴ مـا كـان فيـه ومـا مـن بعـده يـاتي
ثـم الصـلاة علىٰ المختـار من مضـر ∴ خيـر البريـة مـن مـاض ومـن اتي

✍ **وعن وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال نبئت انه كان فيمن قبلكم رجل تعبد زمانا ثم طلب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ حاجة وصام لله سبعين سبتا يأكل كل سبت احدىٰ عشرة تمرة فطلب حاجته إلىٰ الله فلم يعطها فلما مضي ذلك ولم يعكها اقبل علىٰ نفسه فقال من قبلك اتيت لو كان فيك خير اعطيت حاجتك ولكن ليس فيك خير فنزل إليه ملك من ساعته فقال يا ابن آدم إن ساعتك هذه التي ازريت علىٰ نفسك فيها خير من عبادتك قد أعطاك الله حاجتك»(١).

✍ **كان سعيد بن المسيب** إذا دخل الليل يقول لنفسه: قومي إلىٰ خدمة ربك، يا مأوىٰ كل شر، تريدين أن تغفلي بالنهار وتنامي بالليل، والله لأدعنك

---

(١) الزهد للإمام أحمد (٩٧/ ١).

تزحفي زحف البعير فيصبح وقدماه منتفختان[١].

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلىٰ نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، ومن لم يتهم نفسه علىٰ دوام الأوقات فهو مغرور»[٢].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل (وليحذر كل الحذر من طغيان «أنا»، «ولي»، «وعندي»، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس، وفرعون، وقارون، (فأنا خير منه) لإبليس، و(لي ملك مصر لفرعون، و(إنما أوتيته علىٰ علم عندي) لقارون، وأحسن ما وضعت «أنا» في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف ونحوه، «ولي»: في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر والذل، «وعندي» في قوله: (اغفر لي جدي، وهزلي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي)»[٣].

✍ **قَالَ ابن عُمَر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «التقْوىٰ أن لَا ترىٰ نفسَكَ خَيْر مِن أحَدٍ»[٤].

✍ **وعن ابن المبارك، قال**: «إذا عرف الرجل قدر نفسه، يصير عند نفسه أذل من كلب»[٥].

---

(١) فيض القدير (٤/ ٣٢٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٥).

(٣) (زاد المعاد ٢/ ٤٧٥).

(٤) تفسِير البغَوي (١/ ٨٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٧٨).

✍ **قال ابن عيينة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان ربيعة يومًا جالسا فغطىٰ رأسه ثم اضطجع فبكي، فقيل له: ما يبكيك؟! فقال: رياء ظاهر.، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما أمروهم به ائتمروا، وما نهوهم عنه انتهوا»(١).

✍ **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مع أنا نرجو أن تكون رؤية التقصير، وشهادة التأخير من نعمة الله علىٰ عبده المؤمن، التي يستوجب بها التقدم ويتم له بها النعمة، ويكفي بها مؤنة شيطانه المزين له سوء عمله، ومؤنة نفسه التي تحب أن تحمد بما لم تفعل، وتفرح بما أتت. وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٥٧- ٦٠] [المؤمنون: ٥٧ ٦٠]

❁ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، ويخاف ألا يقبل منه**».

✍ **وقال الصديق** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الله ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم وغفر لهم سيئها، فيقول الرجل: أين أنا من هؤلاء؟! يعني: وهو منهم، وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم وأحبط حسنها، فيقول القائل: لست من هؤلاء، يعني: وهو منهم. هذا الكلام أو قريبًا منه.

فليبرد القلب من وهج حرارة هذه الشهادة، إنها سبيل مهيع [أي: طريق بين. انظر: القاموس، مادة: هيع].

---

(١) تذهيب تهذيب الكمال (٢٢٧/ ٣).

لعباد الله، الذين أطبق شهداء الله في أرضه أنهم كانوا من الله بالمكانة العالية، مع أن الازدياد من مثل هذه الشهادة هو النافع في الأمر الغالب ما لم يفض إلىٰ تسخط للمقدور، أو يأس من روح الله، أو فتور عن الرجاء»(١).

مما يعين العبد المؤمن على هضم نفسه ومعرفة قدرها

(١) خوفه من ذنوبه أن تكون أحدها سببا لعذابه وترك الغرور بحسناته

❁ **جاء في الأثر**: «إن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وإن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار».

✍ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني أن السيئة يذكرها ويتوب منها فيدخله ذلك الجنة، والحسنة يعجب بها ويستكبر فيدخله ذلك النار»(٢).

✍ **عن عمارة عن الحارث قال**: دخلت علىٰ ابن مسعود أعوده وهو مريض فحدثنا بحديثين حديثا عن نفسه وحديثا عن رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أشد فرحًا الحديث قوله: إن المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه قال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فإذا رأىٰ من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلىٰ النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط علىٰ الشخص لا ينجو منه عادة قال الحافظ ابن حجر: «وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما

---

(١) الرسالة المدنية ص (٢).

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٩٥/ جامع المسائل (٤١/ ٤).

عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشىٰ من صغير عمله السيء قوله وإن الفاجر يرىٰ ذنوبه كذباب»(١).

(٢) طلب العلم والانتفاع به

✍ **قَالَ المَاوردِيُّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقَالَ مَالِكُ بن دِينار**: «مَن لَمْ يُؤْت مِن العِلْمِ مَا يَقْمَعُه فمَا أوتيَ مِنه لَا يَنفعُه»(٢).

(٣) أن يعلم أنه مهما اجتهد في الطاعة أنه لن يبلغ ما بلغه ما بلغه السلف من العلم والعبادة

✍ **قال مجاهد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُجتهد فيكم اليوم، كاللَّاعب فيمن كان قبلكم»(٣).

✍ **قال حمدون بن القصار**: «من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال»(٤).

(٤) أنه يعلم مهما عمل فلن يؤدي حق ربه

❁ عن عتبة بن عبد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**لو أن رجلًا يُجَر علىٰ وجهه من يوم ولِد إلىٰ يوم يموت هرمًا في مَرضاة الله** عَزَّ وَجَلَّ **لَحَقّره يوم القيامة**»(٥).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠٥/ ١١).

(٢) أدب الدنيا والدين (٥٣).

(٣) [كتاب الزهد لوكيع (٢٢١)].

(٤) الاعتصام للشاطبي (١٢٧).

(٥) [رواه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١٧٦٤٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الجامع: ٥٢٤٩].

✍ **قال الشيخ العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الإنسان لا يعجب بعمله، مهما عملت من الأعمال الصالحة لا تعجب بعملك، فعملك قليل بالنسبة لحق الله عليك»(١).

(٥) أن تنظر إلى الناس بعدل وتنزلهم منازلهم

✍ **وقال بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان، والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلىٰ الذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرا، فقل: هذا ذنب أحدثته»(٢).

(٦) أن يعلم أن ما حصل له من الرفعة والمكانة كان بعد ستر الله لذنوبه عن الناس

✍ **قال أحد السلف**: «وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به» وإذا رأيت من ينتقص منك فقل هذا ذنب أحدثته

❁ وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: «جاء شيخ يريد النبي ﷺ، فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**»(٣).

---

(١) [صفة الصفوة ٣/ ١٧٥، موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٥٢٧].

(٢) شرح رياض الصالحين (٥٧٥/ ١).

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٥/ ٢٣٠: أخرجه الترمذي (١/ ٣٤٩) الحديث صحيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٠٧) من هذا الوجه بلفظ:
⇦=

✍ **قالُ سُفيَان بن عُيَيْنة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُولُ: «لَولَا سِتر الله عَزَّوَجَلَّ مَا جَالَسَنا أَحَدٌ»(١).

✍ **قال ابن عيينة**: قال ابن واسع: «لو كان للذنوب ريح، ما جلس إلي أحد»(٢).

✍ **قال يحيىٰ بن معين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد رأينا الإمام أحمد نزل إلىٰ سوق بغداد، فاشترىٰ حزمةً من الحطب، وجعلها علىٰ كتفه، فلما عرفه الناس، ترك أهل المتاجر متاجرهم، واهل الدكاكين دكاكينهم، وتوقف المارة في طرقهم، يسلمون عليه، ويقولون: نحمل عنك الحطب. فهز يده، واحمر وجهه، ودمعت عيناه. وقال: «نحن قوم مساكين، لولا ستر الله لافتضحنا»(٣).

✍ **قال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيتم علىٰ رأسي التراب»(٤).

= «**ويعرف حق كبيرنا**». وهو رواية للبخاري (٣٥٥). وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، وله طريق أخرىٰ صحيحه عن ابن عمرو باللفظ الثاني، وقد خرجته في «الترغيب» (١/ ٦٦). أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٥٤ - ١٥٥) عن حديث أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «من لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا، فليس منا». أخرجه البخاري في «الأدب» (٣٥٦)، وهذا إسناد حسن. وله بهذا اللفظ شاهد آخر من حديث عبادة بن الصامت وإسناده حسن أيضًا كما حققته في «الترغيب» (١/ ٦).

(١) شُعَب الْإِيمَان (٦/ ٢٩٠).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢٠/ ٦.

(٣) [حلية الأولياء: (٩/ ١٨١).

(٤) [صفة الصفوة ١/ ١٨٦].

✍ **قال العلامة القحطاني في «نونيته»:**

والله لـو علمـوا قبـيح سـريرتي ∴ لأبـىٰ السـلام علـي مـن يلقـاني
ولأعرضـوا عنـي وملـوا صـحبتي ∴ ولبـؤت بعـد قرابـة بهـوان

✍ **وقال أبو العباس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثت أنه التقىٰ حكيمان، فقال أحدهما للآخر: إني لأحبك في الله، فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله. فقال له صاحبه: لو علمت من ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل»(١).

✍ **وقال مطرف بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلي نفسي»(٢).

✍ **وقال عبد الله بن بكر المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سمعت إنسانا يحدث عن أبي أنه كان واقفا بعرفة، فرق فقال: لولا أني فيهم لقلت: قد غفر لهم».

✍ **قال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كذلك ينبغي للعبد أن يزري علىٰ نفسه ويهضمها»(٣).

(٧) أن يعلم أن الحسنات وتوفيقه إليها محض نعمة ومنة وأنه لا غنى له عن الله طرفة عين ليست بجهده قدر عليها ولا بحوله فعلها فلو شاء الله ما فعلها وهدي إليها

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستغناء عن الله سبب هلاك العبد وتيسيره لك عسرىٰ ورؤيته غنىٰ نفسه سبب طغيانه وكلاهما مناف للفقر

---

(١) [الكامل في اللغة والأدب/ ١٨٧].
(٢) [صفة الصفوة ٣/ ١٥٨].
(٣) [السير (تهذيبه) ٣/ ٥٥٠].

والعبودية»(١).

✍ وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله ورحمته ومن نعمته كما قال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

❁وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات:٧].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢].

❁ وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

❁ وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

❁ وكذلك إضافة السيئات إلىٰ نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود: من الأعيان والصفات والحركات والسكنات. كما قال آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣].

---

(١) طريق الهجرتين (٣٣/ ١).

❁ وقال موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾»(١).

(٨) أن يعلم أن عمله الصالح لا يساوي حق نعمة لا يعرف قدرها

❁ وروي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يبعث الله يوم القيامة عبدا لا ذنب له، فيقول الله: «أي الأمرين أحب إليك أن أجزيك بعملك، أو بنعمتي عندك؟ قال: يا رب إنك تعلم أني لم أعصك، قال خذوا عبدي بنعمة من نعمي، فما تبقىٰ له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة، فيقول: رب بنعمتك ورحمتك فيقول: بنعمتي ورحمتي**»(٢).

❁ وعن جابر رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**خرج من عندي خليلي جبريل آنفا فقال: يا محمد والذي بعثك بالحق، إن لله عبدًا من عباده عبد الله خمسمائة سنة علىٰ رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عينًا عذبة بعرض الأصبع تفيض بماء عذب فيستنقع في أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة يتعبد يومه، فإذا أمسىٰ نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة فأكلها؛ ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجدا، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلا حتىٰ يبعثه الله وهو ساجد قال: ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا**

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٨/٤٤٣).

(٢) رواه الطبراني. وضعفه العلامة الألباني. انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٠٩٨). رواه الحاكم عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال: صحيح الإسناد.

عرجنا فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله، فيقول له الرب: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول: رب بل بعملي

فيقول: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي فيقول الله: «قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول: أدخلوا عبدي النار، فيجر إلىٰ النار فينادي: رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول: ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئًا؟ فيقول: أنت يا رب، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة فيقول: أنت يا رب فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح. وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج مرة في السنة، وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل؟ فيقول: أنت يا رب، قال: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة أدخلوا عبدي الجنة فنعم العبد كنت يا عبدي فأدخله الله الجنة. قال جبريل: إنما الأشياء برحمة الله يا محمد»(١).

✍ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات: رؤيته وملاحظته وطلب العوض عليه ورضاه به وسكونه إليه، ففي هذه الدرجة يتخلص من هذه البلية فالذي يخلصه من رؤية عمله: مشاهدته لمنة الله عليه وفضله وتوفيقه له وأنه بالله لا بنفسه وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا

---

(١) ضعفه العلامة الألباني انظر ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٠٩٩)، ولكن يصلح الاستشهاد به في الوعظ والترغيب والترهيب كما عند كثير من المحدثين من أهل العلم ممن أجاز ذلك.

مشيئته هو كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

فهننا ينفعه شهود الجبر وأنه آلة محضة وأن فعله كحركات الأشجار وهبوب الرياح وأن المحرك له غيره والفاعل فيه سواه وأنه ميت والميت لا يفعل شيئًا وأنه لو خلي ونفسه لم يكن من فعله الصالح شيء ألبتة فإن النفس جاهلة ظالمة طبعها الكسل وإيثار الشهوات والبطالة وهي منبع كل شر ومأوىٰ كل سوء وما كان هكذا لم يصدر منه خير ولا هو من شأنه.

فالخير الذي صدر منها: إنما هو من الله وبه لا من العبد ولا به كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٢١]، وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال تبارك وتعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء:٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ الآية [الحجرات:٧].

فكل خير في العبد فهو مجرد فضل الله ومنته وإحسانه ونعمته وهو المحمود عليه فرؤية العبد لأعماله في الحقيقة كرؤيته لصفاته الخلقية: من سمعه وبصره وإدراكه وقوته بل من صحته وسلامة أعضائه ونحو ذلك فالكل مجرد عطاء الله ونعمته وفضله.

فالذي يخلص العبد من هذه الآفة: معرفة ربه ومعرفة نفسه والذي يخلصه من طلب العوض علىٰ العمل: علمه بأنه عبد محض والعبد لا

يستحق علىٰ خدمته لسيده عوضًا ولا أجرة إذ هو يخدمه بمقتضىٰ عبوديته فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه وإحسان إليه وإنعام عليه لا معاوضة إذ الأجرة إنما يستحقها الحر أو عبد الغير فأما عبد نفسه فلا.

والذي يخلصه من رضاه بعمله وسكونه إليه: أمران أحدهما: مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره فيه وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل وللنفس فيه حظ سئل النبي ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال: هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد.

فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه فكيف التفات قلبه إلىٰ ما سوىٰ الله هذا أعظم نصيب الشيطان من العبودية

✍ **وقال ابن مسعود**: لا يجعل أحدكم للشيطان حظًّا من صلاته يرىٰ أن حقًّا عليه: أن لا ينصرف إلا عن يمينه فجعل هذا القدر اليسير النزر حظًّا ونصيبًا للشيطان من صلاة العبد فما الظن بما فوقه وأما حظ النفس من العمل: فلا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون.

الثاني: علمه بما يستحقه الرب جل جلاله: من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة وشروطها وأن العبد أضعف وأعجز وأقل من أن يوفيها حقًّا وأن يرضىٰ بها لربه فالعارف لا يرضىٰ بشيء من عمله لربه ولا يرضىٰ نفسه لله طرفة عين ويستحيي من مقابلة الله بعمله.

فسوء ظنه بنفسه وعمله وبغضه لها وكراهته لأنفاسه وصعودها إلىٰ الله: يحول بينه وبين الرضىٰ بعمله والرضىٰ عن نفسه.

وكان بعض السلف يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ثم يقبض علىٰ لحيته ويهزها ويقول لنفسه: يا مأوىٰ كل سوء وهل رضيتك لله طرفة عين.

✍ **وقال بعضهم**: آفة العبد رضاه عن نفسه ومن نظر إلىٰ نفسه باستحسان.

✍ **فصل قال صاحب «المنازل»**: الدرجة الثانية: الخجل من العمل مع بذل المجهود وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

هذه ثلاثة أمور خجلة من عمله وهو شدة حيائه من الله إذ لم ير ذلك العمل صالحًا له مع بذل مجهوده فيه قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠] قال النبي ﷺ: «**هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

✍ **وقال بعضهم**: إني لأصلي ركعتين فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني الذي يراه الناس حياء من الله عَزَّوَجَلَّ

فالمؤمن: جمع إحسانًا في مخافة وسوء ظن بنفسه، **والمغرور**: حسن الظن بنفسه مع إساءته الثاني: توفير الجهد باحتمائه من الشهود أي يأتي بجهد الطاقة في تصحيح العمل محتميا عن شهوده منك وبك الثالث: أن تحتمي بنور التوفيق الذي ينور الله به بصيرة العبد فترىٰ في ضوء ذلك النور: أن عملك من عين جوده لا بك ولا منك فقد اشتملت هذه الدرجة علىٰ خمسة أشياء: عمل واجتهاد فيه وخجل وحياء من الله عَزَّوَجَلَّ وصيانة عن شهوده

منك ورؤيته من عين جود الله سبحانه ومنه»[١].

(٩) أن يعلم أنه لا يدخل الجنة أحد بعلمه وأن التوفيق نعمة من الله عليه[٢].

❁ وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها كانت تقول: قال رسول الله ﷺ: «**سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحدًا الجنة عملُه**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[٣].

❁ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، وقال بيده فوق رأسه**»[٤].

✍ **قال ابن القيم** رحمه الله: «لا تحسب نفسك هي التي ساقتك إلىٰ فعل الخيرات بل إنك عبد أحبك الله فلا تفرط في هذه المحبة»[٥].

✍ **وقال شيخ الإسلام** رحمه الله: «فليس الفضل بكثرة الاجتهاد ولكن بالهدىٰ والسداد»[٦].

✍ **وقال** رحمه الله: «فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٤).

(٢) وقد ذكرت في الجزء الأول فصلًا مستقلًّا في نعمة التوفيق يرجع إليه للاستفادة منه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه أحمد بإسناد حسن، ورواه البزار والطبراني [صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩٩) (صحيح لغيره).

(٥) عدة الصابرين (١/ ٣٠٤).

(٦) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٥/ ٢٩٩).

ولا يأتيه الشر إلا من نفسه»[(١)].

✍ وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم العبد أن الله مسبب الأسباب وميسرها فإياك أن تعجب بنفسك وحذقك وذكائك فإن هذا هو الهلاك وإنما الكمال أن تخضع لربك وتكون مفتقرا إليه علىٰ الدوام»[(٢)].

✍ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أساس الخير أن تؤمن بما شاءه تعالىٰ أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلىٰ نفسك»[(٣)].

✍ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلما عظم المطلوب في قلبك صغرت نفسك عندك وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيله وكلما شهدت حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية وعرفت الله وعرفت النفس وتبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق ولاو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله ويثيبك عليه أيضًا بكرمه وجوده وتفضله»[(٤)].

---

(١) الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام (٤٩/ ١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٢٧٣).

(٣) الفوائد (١٠١/ ١).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٧٦).

(١٠) ومما يعين على هضم النفس أن يعلم أن لله من هو أطيع وأعبد وأخشع وأعلم واتقى منه

فالنبي ﷺ أعبد العالمين لربه وأتقاهم لله وأعلمهم بالله وأخشاهم له فمن هو الذي سيعبد الله كعبادته فيكون أعظم تقوىٰ وأشد خشية لربه منه لا أحد علىٰ الإطلاق.

❁ عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

- وكذلك عبادة الملائكة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ [الأنبياء:١٩].

❁ وعن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله لمن شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٧٥)، ومسلم برقم (١٨٩٠).

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح علىٰ شرط مسلم [صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٢٦)، قال الشيخ الألباني: (صحيح لغيره).

❁ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان] حتىٰ ختمها ثم قال: «**إني أرىٰ ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله، والله لوددت أني شجرة تعضد**»(١).

- وعبادة الصالحين من الصحابة والتابعين **قال حمدون القصار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال: «من نظر في سير السلف؛ عرف تقصيره، وتخلفه عن درجات الرجال»(٢).

❁ عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(٣).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب النجاة من النار ولا دخول الجنة، فضلا عن أن يوجب بنفسه الوصول إلىٰ أعلىٰ ما في الجنة من منازل المقربين، والنظر إلىٰ وجه رب العالمين، وإنما ذلك كله برحمة الله وفضله ومغفرته.

---

(١) رواه البخاري باختصار والترمذي إلا أنه قال ما فيها موضع أربع أصابع والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد (صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٨٠) قال الشيخ الألباني: (حسن).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١٢٧/ ١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٩٧)، ومسلم برقم (٤٦١٠).

فذلك يوجب علىٰ المؤمن أن يقطع نظره عن عمله بالكلية، وأن لا ينظر إلا إلىٰ فضل الله ومنته عليه.

كما سئل بعض العارفين: أي الأعمال أفضل؟

قال: رؤية فضل الله عَزَّوَجَلَّ، وأنشد:

إن المقـــــادير إذا ســـــاعدت ∴ ألحقـــت العـــاجز بالحـــازم»[١]

١٢ - ومما يعين على هضم النفس أن يعلم أن عمره أكثره كان في غيره طاعة وأنه في المباح والحاجة

✍ **فقد كان خويل بن محمد الأزدي -وكان عابدًا- يقول:** كأن خويلًا قد وقف للحساب فقيل له: يا خويل قد عمرناك ستين سنة، فما صنعت فيها فجمع نوم سنة مع قائلة النهار فإذا قطعة من عمري نوم وجمعت ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل وجمعت ساعات وضوئي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت فيه، ثم نظر في صلاتي فإذا صلاتي منقوصة وصوم مخرق. فما هو إلا عفو الله أو الهلكة[٢].

١٣ - الدعاء

✍ **كان يزيد بن ميسرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:** «إذا زكّاكَ رجلٌ في وجهكَ فأنكِر عليه واغضب ولا تقِر بذلكَ، وقلْ: اللهمَّ لا تؤاخذْني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون[٣].

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٤٠٨/ ٤).

(٢) صفة الصفوة (٢٠٦/ ٢).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٤٠).

✍ عن بكر بن عبد الله المزني عن عدي بن أرطأة قال: «كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زكي قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»(١).

✍ **قال العلامة القحطاني في «نونيته»:**

والله لو علموا قبيح سريرتي ∴ لأبىٰ السلام علي من يلقاني
ولأعرضوا عني وملوا صحبتي ∴ ولبوأت بعد قرابة بهوان

الخامس والعشرون: من أعمال الموفقين الاشتغال بعيب النفس وترك عيوب الناس

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول علامة السعادة والثاني علامة الشقاوة»(٢).

من أسباب الحرمان من الخير والخذلان عن التوفيق الاشتغال بعيوب الآخرين.

✍ **وقال رجل لإبراهيم بن أدهم:** «إن الله -تعالىٰ- يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] فما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال له إبراهيم: من أجل خمسة أشياء، قال: وما هي؟ قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، وقلتم نحب الرسول ﷺ وتركتم سنته، وقلتم نلعن إبليس وأطعتموه، والخامسة: تركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٦١) قال الألباني: صحيح.
(٢) المرجع طريق الهجرتين صـ١٧٦.

الناس»[(١)].

✍ **قال أبو الدرداء**: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتىٰ يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلىٰ نفسه فيكون لها أشد مقتا»[(٢)].

✍ **قال ابن مفلح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يُحزنك قول الناس فيك؛ فإن كان كذبًا كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صدقا كانت سيئة عُجلت عقوبتها»[(٣)].

✍ **قال الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ابن آدم إنك لن تبلغ حقيقة الإيمان حتىٰ لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتىٰ تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلىٰ الله من كان هكذا»[(٤)].

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة المَقْدِسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَدْ كَان أمِير المُؤْمِنين عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «رحِمَ الله امْرءًا أهدَىٰ إِلَيْنا عُيُوبنا»[(٥)]..

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة المَقْدِسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَدْ كَان السَّلَف يُحِبون مَن يُنبههمْ عَلَىٰ عُيُوبهمْ ونحْن الآن في الغَالِب أبغَضُ الناسِ إِلَيْنا مَن يُعَرفنا عُيُوبنا وهذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ ضَعْف الإيمان»[(٦)].

---

(١) [جامع بيان العلم وفضله، ص: ٦٩٢].
(٢) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٧٣/ ١).
(٣) [الآداب الشرعية [ج ١ ص ١٢].
(٤) الزواجر (١٨/ ٢).
(٥) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٥٦).
(٦) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٥٦).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن قُدَامَة المَقْدِسِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعْلَمْ أن الله تعَالَىٰ إِذَا أرادَ بعَبدٍ خَيْرا بصَّره بعُيُوب نفسِه فمَن كَانت لَه بصِيرةٌ لَمْ تخْف عَلَيْه عُيُوبه وإِذَا عَرف العُيُوب أمْكَنه العِلَاجُ ولَكِن أكْثَر الناسِ جَاهلُون بعُيُوبهمْ يَرىٰ أحَدُهمُ القَذَىٰ في عَيْن أخِيه ولَا يَرىٰ الجِذْعَ في عَيْنه»(١).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ترأ بنفسك عن تعيير المقصرين، فلعل تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه، وأشد من معصيته»(٢).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن اشْتغَلَ بالله عَن نفسِه كَفاه الله مُؤْنةَ نفسِه ومَن اشْتغَلَ بالله عَن الناسِ كَفاه الله مُؤْنةَ الناسِ ومَن اشْتغَلَ بنفسِه عَن الله وكَلَه الله إِلَىٰ نفسِه ومَن اشْتغَلَ بالناسِ عَن الله وكَلَه الله إِلَيْهم»(٣).

✍ **قَالَ الإِمَامُ ابن القَيِّمِ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِذَا أرادَ الله بعَبدٍ خَيْرا جَعَلَه مُعْترفا بذَنبه مُمْسِكًا عَن ذَنب غَيْره جَوادًا بمَا عِندَه زَاهدًا فيمَا عِندَ غَيْره مُحْتمِلًا لِأذَىٰ غَيْره وإِن أرادَ به شَرا عَكَسَ ذَلِكَ عَلَيْه»(٤).

✍ **عن عَون بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: «ما أحسَب أحَدًا تفرغَ لِعُيُوب الناس إلا مِن غَفلَةٍ غَفلَها عن نفسِه»(٥).

✍ **قال سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان يقال: إذا عرفت نفسك لم يضرك

---

(١) مُخْتصَر مِنهاجِ القَاصِدِين (١٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١٨٣/ ١).

(٣) الفوائِد (١٠٦).

(٤) الفوائِد (٩٩).

(٥) ذَمُّ الغِيبة والنميمَة: ص٢٣.

ما قيل لك»(١).

✍ **قال وهب بن منبه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طوبىٰ لمن نظر في عيبه عن عيب غيره، طوبىٰ لمن تواضع لله من غير مسكنة ورحم أهل الذل والمسكنة وتصدق بمال جمع من غير معصية، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة، ووسعته السنة ولم يتعدها إلىٰ البدعة»(٢).

✍ **وقال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العارف يسير إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس»(٣).

❁ عن أبي هريرة مرفوعًا: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسىٰ الجذع أو الجدل في عينه معترضًا**»(٤).

---

(١) المُخَلِّصِيَّات لأبي طاهر (١٦٢٦).

(٢) الزهد للإمام أحمد.

(٣) الشاهدة الزكية في ثناء الائمة علىٰ ابن تيمية ص(٣٥).

(٤) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٤٢: رواه ابن صاعد في «زوائد» الزهد «لابن المبارك» (ق ١٦٥/ ١ من «الكواكب» (٥٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (ق ٥١/ ١).

قلت: ورجاله كلهم ثقات رجال الصحيح، ولا علة فيه، فهو حديث صحيح، ولا ينافيه قوله «غريب» لأن الغرابة قد تجامع الصحة كما هو مقرر في «مصطلح الحديث». والحديث عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» لأبي نعيم فقط! وقال المناوي: «قال العامري: حسن». ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٢) انظر حديث رقم: ٨٠١٣ في صحيح الجامع.

✍ **قال العلامة الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو مثل لتدقيق الإنسان في النظر في عيوب الناس حتىٰ يعلم الخفي منها الذي لا يكاد أن يعلم وإعراضه عن عيب نفسه حتىٰ لا يرىٰ الأمر الواضح الذي لا يخفىٰ علىٰ أحد وهو إخبار في معرض الذم لمن كان كذلك وأحسن من قال:

أرىٰ كل إنسان يرىٰ عيب غيره ∴ ويعمىٰ عن العيب الذي هو فيه
ولا خير في من لا يرىٰ عيب نفسه ∴ ويعمىٰ عن العيب الذي بأخيه»(١)

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مثل ضربه لمن يرىٰ بغيره عيبا يسيرا فيعيره به وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلىٰ القذاة وهو ما يقع في العين والماء نحو تبن وتراب وذلك من أقبح القبائح»(٢).

السادس والعشرون: من أعمال الموفقين يتذكر الموفق المشاهد الأخروية بالمشاهد الدنيوية

وهذا من أجل أعمال الصالحين وعلامات العارفين الذين تعلقت قلوبهم بأمور الحياة الأخروية فهم في تذكرها ورهبة أهوالها وخوف مشاهدها في حالة دائمة لكثرت ما تمر علىٰ أبصارهم من الآيات الكونية وما تمر علىٰ قلوبهم من الآيات الشرعية فقد تولد لديهم قوة المعرفة العملية والعلمية التي أكسبته الملكة في المقارنة بين المشهد الدنيوي والمشهد الأخروي والربط بينهما بعبادة التفكر والاعتبار والاستحضار القلبي له واستخراج وجه الشبه بين المشهد مما يزيد قوة إيمان هذا العبد الصالح

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١١/ ١٩٣).
(٢) التيسير شرح الجامع الصغير (٢/ ٥٠٦).

العارف الموفق السعيد الذي جعل الآخرة همة فأي شيء يخطر علىٰ باله أو يمر علىٰ بصره إلا وله حظ من التفكر وربطه بالحياة الأخروية فعنئذ يضيق عند هذا العبد كل واسع ويتسع عنده كل ضيق ويسلي نفسه تارة ويخوفها أخرىٰ كما أخبر الله تعالىٰ عن أولي الألباب؛ قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران:١٩١].

✍ **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي ضمن ذلك حث العباد علىٰ التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿ءَايَٰتٖ﴾ ولم يقل: «علىٰ المطلب الفلاني» إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة علىٰ جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل علىٰ عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل علىٰ حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل علىٰ سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره.

وكل ذلك يدل علىٰ تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم»(١).

✍ **قال أبو سليمان الداراني** «إني لأخرج من بيتي، فما يقع بصري علىٰ شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمه، أو لي فيه عبرة»(٢).

✍ **قال ابن الجوزي:**(٣).

إذا المرء كانت له فكرة ∴ ففي كل شيء له عبرة

✍ **وقد ورد عَن أبي الدَّردَاءِ** رضي الله عنه **قال:** «تفكُّر سَاعَةٍ خَيْر مِن قِيَامِ لَيْلَة»(٤).

✍ **قال أبو سليمان الداراني** رحمه الله: «الْفكْر في الدُّنيَا حِجَاب عَن الْآخِرةِ وعُقُوبةٌ لِأهلِ الْولَايَةِ، والْفكْرةُ في الْآخِرةِ تورثُ الْحِكْمَةَ وتحْيِي الْقَلْب، ومَن نظَر إِلَىٰ الدُّنيَا مُولِّيَةً صَحَّ عِندَه غُرورها ومَن نظَر إِلَيْها مُقْبلَةً بزِينتها شَاب في قَلْبه حُبها، ومَن تمَّت مَعْرفته اجْتمَعَ همُّه في أمْر الله وكَان أمْر الله شُغْلَه»(٥).

✍ **وقد قال مغيث الأسود** رحمه الله: «زُوروا الْقُبور كُلَّ يَومٍ تذَكِّركُمُ الْمَوت، وتوهمُوا جَوامِعَ الْخَيْر كُلَّ يَومٍ في الْجَنةِ بعُقُولِكُمْ، وشَاهدُوا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٦١/ ١).

(٢) ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٢/ ١٨٤.

(٣) المدهش (٢٣١/ ١).

(٤) صحيح ابن حبان (٢/ ٧٦).

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٩/ ٢٧٨).

الْمَوقِف كُلَّ يَومٍ بقُلُوبكُمْ، وانظُروا إِلَىٰ الْمُنصَرف بالْفريقَيْن إِلَىٰ الْجَنةِ أو النار بهمَمِكُمْ، وأَشْعِروا قُلُوبكُمْ وأبدَانكُمْ ذِكْر النار ومَقَامِعِها وأطْباقِها»، وكان يبكي عند ذلك حتىٰ يُرفع صريعًا من بين أصحابه، قد ذهب عقلُه»(١).

✍ **جَاءَ ابن الكَواءِ إِلَىٰ الربيْعِ بن خُثَيْم، فقَالَ:** «دُلَّني عَلَىٰ مَن هو خَيْر مِنكَ. قَالَ: نعَمْ، مَن كَان مَنطِقُه ذِكْرًا، وصَمْته تفكُّرًا، ومَسِيْره تدَبرًا، فهو خَيْر مِني»(٢).

✍ **قال علي بن المديني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ودعت الإمام أحمد بن حنبل فقلت له: أوصني.

قال: اجعل التقوىٰ زادك، وانصب الآخرة أمامك»(٣).

✍ **عن يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال:** «قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ.

فناولته، فأخذها بيمينه، ووضع يساره علىٰ خده، فبقي مفكرًا، ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع.

فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة، حتىٰ الساعة»(٤).

✍ **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو صفت لك فكرة كان لك في كل شيء

---

(١) (العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني: ١/ ٢٥٠، وتفسير ابن كثير: ٢/ ١٨٥).
(٢) حلية الأولياء ٢/ ١٠٦.
(٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (١/ ٢٧٣).
(٤) الحلية لأبي نعيم (٧/ ٥٣).

عبرة كل المخلوقات بين مخوف ومشرق حر الصيف يذكر حر جهنم وبرد الشتاء محذر من زمهريرها والخريف ينبه علىٰ اجتناء ثمار الأعمار والربيع يحث علىٰ طلب العيش الصافي أوقات الأسحار ربيع الأبرار وقوة الخوف صيف وبرودة الرجاء شتاء وساعات الدعاء والطلب خريف إذا استحر الحر تقحم القحل فطلق القسر الأرض فلبست سربال الجدب واحدت في حفش الذل»(١).

✍ **قال ابن رجب** الحنبلي: «وفصول السنة تذكر بالآخرة، فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم، وهو من سمومها، وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها، والخريف يكمل فيه اجتناء، ثمرات الأعمال في الآخرة، وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة، وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها»(٢).

مشروعية تذكر مشاهد الآخرة بمشاهد الدنيا

❁ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»(٣).

---

(١) المدهش (٣٩١/ ١).

(٢) لطائف المعارف [(٣١٥/ ١)].

(٣) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٢/ ٦٧٠: أخرجه الترمذي (٢/ ٧٦) هو حسن في المتابعات.

❁ وفي رواية «عن يزيد الرقاشي عنه ويزيد قد وثق ولا بأس به في المتابعات ورواه البزار ولفظه قال رسول الله ﷺ: «**من كانت نيته الآخرة جعل الله تبارك وتعالىٰ الغنىٰ في قلبه وجمع له شمله ونزع الفقر من بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة فلا يصبح إلا غنيا ولا يمسي إلا غنيا ومن كانت نيته الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه فلا يصبح إلا فقيرًا ولا يمسي إلا فقيرًا**»(١).

❁ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال عن النبي ﷺ: «**من كان همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا، فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له**»(٢).

❁ علي رضي الله عنه قال له النبي ﷺ: «**يا علي! سل الله الهدىٰ والسداد واذكر بالهدىٰ هدايتك الطريق وبالسداد تسديدك السهم**»(٣).

❁ وعن عائشة أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما

---

(١) قال المنذري (٣/ ٩): «رواه البزار والطبراني واللفظ له، وابن حبان في صحيحه عن أنس».

(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٦٨٩: أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣)، واللفظ له والدارمي (١/ ٧٥)، وابن حبان (٧٢، ٧٣ موارد)، وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات، وروىٰ ابن ماجه (٢/ ٥٢٤ ٥٢٥) الشطر الأخير منه من هذا الوجه، وقال البوصيري في «الزوائد» (٢٥٢/ ١): «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة بنحوه، ورواه الطبراني بإسناد لا بأس به» قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٥١٦ في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه مسلم (٤٩٠٤)، وأخرجه أحمد (٦٢٨).

بقي منها إلا كتفها قال: «**بقي كلها غير كتفها**»(١).

نماذج من مشاهد دنيوية تذكر بها الموفقون مشاهد أخروية

[١] الموت

❁ ما روي أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة وإنها تذكركم الموت ولا تقولوا هجرا**»(٢).

❁ وما جاء من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال النبي ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها عبرة**»(٣).

❁ وفي لفظ «**فإن لكم فيها تذكرة**».

✍ **كان عمرو الملائي** إذا نظر إلىٰ أهل السوق، بكىٰ، وقال: «ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم»(٤).

✍ **إسحاق بن جبلة قال**: «دخل الحسن بن صالح يومًا السوق وأنا معه، فرأىٰ هذا يخيط، وهذا يصبغ، فبكىٰ، وقال: انظر إليهم يتعللون حتىٰ يأتيهم

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٦/ ٩٧: أخرجه الترمذي (٢/ ٧٧)، وأحمد (٦/ ٥٠) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) رواه مالك في الموطأ والنسائي (٢٠٣٠)، والحاكم قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٤٥٨٤ في صحيح الجامع.

(٣) رواه الطبراني قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر حديث رقم: ٦٧٨٩ في صحيح الجامع.

(٤) حلية الأولياء (١٠٢/ ٥).

الموت»(١).

[٢] مشهد القبر

❁ كان عثمان بن عفان إذا وقف علىٰ قبر يبكي حتىٰ يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا قال إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**» قال وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»(٢).

✍ **كان هشام الدستوائي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا فقد السراج من بيته، يتململ علىٰ فراشه، فكانت امرأته تأتيه بالسراج.

فقالت له في ذلك، فقال: إني إذا فقدت السراج، ذكرت ظلمة القبر»(٣).

✍ **ويقال**: «إن سعيد بن عبد العزيز زار الخواص ليلة في بيته ببيروت، فرآه في الظلمة، فقال: ظلمة القبر أشد»(٤).

✍ **الربيع بن خثيم بن عائذ الثوري عن ابنة للربيع، قالت**: كنت أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟!

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٢٠٨).

(٢) حسنه العلامة الألباني. انظر صحيح ابن ماجة وأخرجه الترمذي (٣٤٤٢) (حسن) المشكاة ١٣٢، تخريج المختارة ٣٦٦ - ٣٦٧ . [انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٠)].

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٧٠/ ٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٣٠/ ٧).

فيقول: كيف ينام من يخاف البيات. «تعني ليلة المبيت في القبر»(١).

✍ **عن محمد بن كعب القرظي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال: دخلت علىٰ عمر بن عبدالعزيز فجعلت أنظر إليه نظرًا شديدا فقال لي: إنك لتنظر إلي نظرًا ما كنت تنظر إلي وأنا بالمدينة!

فقلت: لتعجبي.

فقال: ومما تتعجب.

فقلت: لما حال من لونك، ونحل من جسمك، ونفي من شعرك.

فقال لي: كيف لو رأيتني بعد ثلاثة وقد سالت حدقتاي علىٰ وجنتي، وسال منخراي في فمي صديدًا، كنت لي أشد نكرة»(٢).

❁ وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مر رجل ممن كان قبلكم بجمجمة، فنظر إليها، فحدث نفسه بشيء، ثم قال: يا رب، أنت أنت، وأنا أنا، أنت العواد بالمغفرة، وأنا العواد بالذنوب، وخر لله ساجدًا، فقيل له: ارفع رأسك، فأنت العواد بالذنوب، وأنا العواد بالمغفرة، قال: فغفر له**»(٣).

[٣] مشهد ذل العبد وحاجته وفقره إلى الله وترك الذل والافتقار للخلق

✍ **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تعلمت الصبر من صبي صغير: ذهبت مرة إلىٰ المسجد فوجدت امرأة داخل دارها تضرب ابنها وهو يصرخ

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٧٠، وانظر الحلية ٢/ ١١٤، ١١٥.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (٤٧/ ١-١٢١).

(٣) السلسلة الصحيحة (٣٢٣١).

ففتح الباب وهرب فأغلقت عليه الباب!

قال: فلما رجعت نظرت، فلقيت الولد بعدما بكىٰ قليلا نام علىٰ عتبة الباب يستعطف أمه فرق قلب الأم ففتحت له الباب!

فبكىٰ الفضيل حتىٰ ابتلت لحيته بالدموع وقال: سبحان الله! لو صبر العبد علىٰ باب الله عَزَّوَجَلَّ لفتح الله له!

✍ **وقال الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا أخي، إذا طردك مولاك عن بابه؟ فإلىٰ باب من ترجع، وإلىٰ أي طريق تذهب، وإلىٰ أي جهة تقصد، لازم باب مولاك، فلعل وعسىٰ يثمر عودك»(١).

✍ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والانكسار والخضوع والافتقار للرب جل جلاله فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة:.....

وصاحب هذا المشهد: يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يغذوه بأطيب الطعام والشراب واللباس ويربيه أحسن التربية ويرقيه علىٰ درجات الكمال أتم ترقية وهو القيم بمصالحه كلها فبعثه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأسره وكتفه وشده وثاقا ثم ذهب به إلىٰ بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب وعامله بضد ما كان أبوه يعامله به فهو يتذكر تربية والده وإحسانه إليه الفينة بعد الفينة فتهيج من قلبه لواعج الحسرات كلما رأىٰ حاله ويتذكر ما كان عليه وكل ما كان فيه فبينا هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ويريد نحره في آخر الأمر إذ حانت منه التفاتة إلىٰ نحو ديار أبيه فرأىٰ

---

(١) [بحر الدموع: (٥٤/ ١)].

أباه منه قريبا فسعىٰ إليه وألقىٰ نفسه عليه وانطرح بين يديه يستغيث: يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه! انظر إلىٰ ولدك وما هو فيه ودموعه تستبق علىٰ خديه قد اعتنقه والتزمه وعدوه في طلبه حتىٰ وقف علىٰ رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك به فهل تقول: إن والده يسلمه مع هذه الحال إلىٰ عدوه ويخلي بينه وبينه فما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده ومن الوالدة بولدها إذا فر عبد إليه وهرب من عدوه إليه وألقىٰ بنفسه طريحا ببابه يمرغ خده في ثرىٰ أعتابه باكيا بين يديه يقول: يا رب يا رب ارحم من لا راحم له سواك ولا ناصر له سواك ولا مؤوي له سواك ولا مغيث له سواك مسكينك وفقيرك وسائلك ومؤملك ومرجيك لا ملجأ له ولا منجا له منك إلا إليك أنت معاذه وبك ملاذه فصل فإذا استبصر في هذا المشهد تمكن من قلبه وباشره وذاق طعمه»(١).

إن الإمام أحمد بن حنبل كان مع أصحابه يومًا فمر بارض فيها وحل فجعل يتوقاها حتىٰ سقطت رجله فيها فخاض فيها ولم يتوقىٰ الوحل بعد ذلك فنظر إلىٰ أصحابه وقال: «هكذا العبد لا يزال يتوقىٰ الذنوب فإذا واقعها خاضها»(٢).

نقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن خادمًا لعبدالله بن عمر أذنب، فأرادَ ابن عمر أن يعاقبه علىٰ ذنبه، فقال: يا سيدي؛ أما لَكَ ذنب تخاف الله تعالىٰ منه؟

---

(١) مدارج السالكين(٤٢٨/ ١).

(٢) ذكر ابن مفلح في الآداب الشرعية ١١٢/ ١.

قال: بلىٰ.

قال: فبالذي أمهلكَ لمَا أمهلتني.

ثم أذنب العبدُ ثانيًا، فأراد عقوبته، فقالَ له مثل ذلك، فعفا عنه، ثم أذنب الثالثة، فعاقبه وهو لا يتكلم.

فقال له ابن عمر: مالكَ لَمْ تقل ما قلت في الأولتين؟

فقال: يا سيدي، حياءٌ مِن حِلمك مع تكرار جُرمي.

فبكىٰ ابن عمر وقال: أنا أحقُّ بالحياء من ربي، أنت حر لوجه الله تعالىٰ»(١).

✍ وقال ابن مهدي: «كنت أرمق سفيان في الليلة بعد الليلة، ينهض مرعوبا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات»(٢).

من أعمال الموفقين الخوف ألا يتقبل الله منهم أعمالهم بعد الفراغ منها

❁ عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر قال: «**لا يا بنت أبي بكر أو يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي وهو يخاف أن لا يتقبل منهم**»(٣).

---

(١) البداية والنهاية (٢٠٥/ ١٣).

(٢) الحلية (٧/ ٦٠)، وتاريخ بغداد: (٩/ ١٥٧).

(٣) رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحميدي ١/ ٢٩٨ (٢٧٧)، وأبو يعلىٰ ٨/ ٣١٥ (٤٩١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢).

❁ عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان يقول إذا صلىٰ الصبح حين يسلم: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا**»(١).

✍ **قال الحافظ ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠].

✍ **روي عن علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كونوا لقبول العمل أشد همًّا منكم بالعمل؛ فإنه لن يقلّ عمل مع التقوىٰ، وكيف يقلّ عمل يُتقبل ألم تسمعوا الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]»(٢).

✍ **وعن فضالة بن عبيد قال**: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

✍ **قال ابن دينار**: الخوف علىٰ العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال عطاء السلمي: الحذر الاتقاء علىٰ العمل أن لا يكون لله وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا.

✍ **قال بعض السلف**: كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر

---

(١) صحيح ابن ماجة (٧٥٣)، وراوه أحمد والبيهقي وصححه العلامة الألباني في الروض (١١٩٩).

(٢) «موسوعة ابن أبي الدنيا» (١/ ١٧٥)، «الحلية» (تهذيبه) (١/ ٨١).

رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم خرج عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم عيد فطر فقال في خطبته: أيها الناس إنكم صمتم لله ثلاثين يومًا وقمتم ثلاثين ليلة وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر فيقال له: إنه يوم فرح وسرور فيقول: صدقتم ولكني عبد أمرني مولاي أن أعمل له عملًا فلا أدري أيقبله مني أم لا؟.

✍ **رأىٰ وهب بن الورد قومًا يضحكون في يوم عيد فقال**: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين وعن الحسن قال: إن الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلىٰ مرضاته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون.

لعلك غضبان وقلبي غافل ∴ سلام علىٰ الدارين إن كنت راضيا

✍ **روي عن علي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه وعن ابن مسعود أنه كان يقول: من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول هنيئا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك.

ليت شعري من فيه يقبل منا ∴ فيهنا يا خيبة المردود

من تولىٰ عنه بغير قبول ∴ أرغم الله أنفه بخزي شديد

ماذا فات من فاته خير رمضان وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان كم

بين من حظه فيه القبول والغفران ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش»(١).

✍ **قال ضيغم العابد**: إن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور، لقد اجتمع عليه همان، هم الدنيا وشقاء الآخرة.

فقيل له: كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب؟

قال: كيف بالقبول، كيف بالسلامة؟ كم من رجل يرىٰ أنه قد أصلح همته يجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه.

ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

✍ **وقال ابن عون**: لا تثق بكثرة العمل، فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا، ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري هل كفرت عنك أم لا؟ لأن عملك مغيب عنك كله لا تدري ما الله صانع به(٢).

✍ **وعن أبي عثمان الجيزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو»(٣).

✍ **قال بعض السلف**: «لا يقل عمل مع تقوىٰ، وكيف يقل ما يتقبل؟!

---

(١) لطائف المعارف (٢١٠/ ١).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٤٤٠/ ٤).

(٣) فتح الباري (٣٠١/ ١١).

يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]، ولهذا قال من قال من الصحابة: لو علمت أن الله قبل مني ركعتين، كان أحب إلي من كذا وكذا.

فمن اتقىٰ الله في العمل قبله منه، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه.

والتقوىٰ في العمل أن يأتي به علىٰ وجه إكمال واجباته الظاهرة والباطنة، وإن ارتقىٰ إلىٰ الإتيان بآدابه وفضائله كان أكمل.

والقبول هنا يراد به: الرضا بالعمل، والمدح لعامله، والثناء عليه في الملأ الأعلىٰ، ومباهاة الملائكة.

وقد يراد بالقبول الثواب علىٰ العمل، وإن لم يرض به، ولم يمدح عامله، فيجازىٰ عليه بأنواع من الجزاء، فضلًا من الله وإحسانًا، وإن لم يرض عن عامله.

ويطلق القبول علىٰ إسقاط الفرض بالعمل، وإن لم يثب عليه بثواب غير سقوط العقوبة، والمطالبة بأداء الفرض به.

والعارفون كلهم إنما يطلبون القبول بالوجه الأول -وهو الرضا- ويخافون من فواته أشد الخوف»(١).

✍ **قال الحسن**: «عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا»(٢).

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣٥٣/ ١).

(٢) مدارج السالكين (٥٠٧/ ١).

✍ **قال شيخ الإسلام:** «وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتىٰ بالعمل علىٰ وجهه المأمور»(١).

✍ **قال الفضل بن زياد:** سمعت أبا عبد الله يقول: كان سليمان بن حرب يقول: نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أم لا؟(٢)

✍ **قال شيخ الإسلام:** «والقبول متعلق بفعله كما أمر. فكل من اتقىٰ الله في عمله ففعله كما أمر فقد تقبل منه. لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]»(٣).

✍ **قال شيخ الإسلام:** «كما يرجو المؤمن إذا عمل عملا أن يكون الله تقبله منه ويخاف أن لا يكون تقبله منه. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠].

❁ وقال النبي ﷺ: «**هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

والقبول هو أمر حاضر أو ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك أن ما له عاقبة مستقبلة محمودة أو مذمومة والإنسان يجوز وجوده وعدمه. يقال: إنه يرجوه وإنه يخافه. فتعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي لأن عاقبته

---

(١) الإيمان الأوسط (٤٥/ ١).

(٢) السنة للخلال (٥٩٧/ ٣).

(٣) الإيمان الكبير (٢٣٦/ ١).

المطلوبة والمكروهة مستقبلة. فهو يرجو أن يكون الله تقبل عمله فيثيبه عليه فيرحمه في المستقبل. ويخاف أن لا يكون تقبله فيحرم ثوابه. كما يخاف أن يكون الله قد سخط عليه في معصيته فيعاقبه عليها»(١).

✍ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون صادقا في إخلاصه الدين لله أو أن لا تكون موافقة لما أمر الله به علىٰ لسان رسوله»(٢).

✍ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ: واذكر -يا محمد -لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، البيت، ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالىٰ أن يتقبل منهما، كما روىٰ ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي، عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧]، ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وهذا كما حكىٰ الله تعالىٰ عن حال المؤمنين المخلصين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ [المؤمنون:٦٠] أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] أي: خائفة ألا يتقبل منهم وهم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح، مشفقون

---

(١) الإيمان الكبير (٢٤٠/ ١).

(٢) جامع الرسائل (٢٥٦/ ١).

من الله خائفون منه، وجلون من مكره بهم»[(١)].

✍ **قال العلامة الصنعاني**: «وما احسن ما قاله ابن القيم في الجواب الشافي[(٢)] قال: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه أمورًا:

أحدها: حبه ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء آخر فكل راج خائف والسائر علىٰ الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال السيئة فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

❁ وقد روىٰ الترمذي في «جامعه»[(٣)] عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٢٧/ ١) (٤٨٠/ ٥).

(٢) الجواب الكافي (ص ٢٤).

(٣) سبق تخريجه.

أولئك الذين يسارعون في الخيرات» وقد روي من حديث أبي هريرة والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط مع الأمن»(١).

✍ **وقال طاووس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بينا أنا بمكة بعث إلي الحجاج فأجلسني إلىٰ جنبه وأتكأني علىٰ وسادة إذ سمع ملبيا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية، ثم ذهب الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر علىٰ مصيبتي بتركك القبول»(٢).

✍ **قال علي بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كونوا لقبول العمل أشد هما منكم بالعمل؛ ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧]»(٣).

---

(١) التنوير (١٣/ ٣).

(٢) [المنتظم ٧/ ١١٦].

(٣) [موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٥].

الخاتمة

إني لأحمد الله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، الذي وفقني وأعانني علىٰ الفراغ من هذا الكتاب الذي أسال الله تعالىٰ أن يجعله نافعًا في بابه، فقد يسَّر الله جمعه، لمدة استغرقت سنتين، بدأت في ربيع الأول لعام ١٤٤٣ لهجرة النبي ﷺ، وفرغت منه ولله الحمد في ٢١ ربيع الأول ليلة الجمعة ١٤٤٥ للهجرة النبوية الشريفة.

وقد حرصت علىٰ التوسع في ذكر مواضيع الكتاب، وتدعيمها بالآيات والأحاديث الصحيحة، معتمدًا علىٰ تخريجات العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتغمده بواسع رحمته، وذكرت من تفسير الآيات ما احتجت إلىٰ ذكر تفسيره من كتب أهل التفسير المشهورة المعروفة بالسير علىٰ مذهب السلف الصالح، كتفسير العلامة السعدي «تيسير الكريم الرحمن»، و«تفسير القرآن العظيم» للعلامة ابن كثير، رحم الله الجميع، وغيرهما، ثم أرفدت ودعمت المواضيع بالآثار عن السلف الصالح، وبالنقولات من كتب أهل العلم الموثوقين من أئمة السنة سلفًا وخلفًا، مثل: كتب الإمامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهما، رحم الله الجميع.

فهاك أيها القارئ موردًا صافيًا بإذن الله، لا ضعف تجده في الدليل، إلا ما ندر من القليل، ذكرته للاستشهاد به، مبينًا تضعيف العلماء له، لئلا يحصل اللبس والتشكك في المصدر وصحة الخبر.

وهذا جهدي جهد المقل، المعترف بقلة علمي، وضعف خبرتي، فما كان من توفيق وسدادٍ فمِن الله وحده، لله وحده المن والفضل، وما كان من خطأ وقصور، فمن نفسي الضعيفة والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والله أسأل سبحانه ربي أن يجعله خالصًا صوابًا.

فيا أيها القارئ الكريم؛ لسان حالي ومقالي كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيا أيها القارئ له لك غنمه، وعلىٰ مؤلفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته، فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله، ولا تلتفت إلىٰ قائله، بل انظر إلىٰ ما قال، لا إلىٰ من قال، وقد ذم الله تعالىٰ من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه، فهذا خلق الأمة الغضبية، قال بعض الصحابة: اقبل الحق فمن قاله وإن كان بغيضًا، ورد الباطل علىٰ من قاله وإن كان حبيبًا، وما وجدت فيه من خطأ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة، ويأبىٰ الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن ∴ فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يُعصم من الخطأ من خُلق ظلومًا جهولًا، ولكن من عدت غلطاته أقرب إلىٰ الصواب ممن عدت إصاباته.

وعلىٰ المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولإخوانه المسلمين، وإن جعل

الحق تبعًا للهوىٰ فسد القلب والعمل والحال والطريق قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١]، وقال النبي: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»، فالعلم والعدل أصل كل خيرٍ، والظلم والجهل أصل كل شرٍّ، والله تعالىٰ أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق، وأمره أن يعدل بين الطوائف، ولا يتبع هوىٰ أحد منهم، فقال تعالىٰ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى:١٥].

والحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ خاتم المرسلين محمد وعلىٰ آله أجمعين»(١).

---

(١) [المدارج (٣/ ٥٢٣)].

فهرس الموضوعات

حث الشارع الحكيم العبد المؤمن علىٰ التأني في الأمور والنظر في عواقبها ٧
(١) النهي عن سب آلهة المشركين ٧
(٢) النهي عن العجلة في الكلام والتسرع في الألفاظ والأفعال ٨
(٣) الاعتدال في المحبة والبغض بلا إفراط ولا تفريط ١١
(٤) النهي عن سب الرجل أبا الرجل وسب أم الرجل فيسب والديه ١٢
(٥) النهي عن الذنوب ومنها النظر الحرام ١٢
(٦) النهي عن العجلة والطيش: ١٥
(٧) السعيد الموفق من وفق لصحة المعتقد وسلامة المنهج ٢٠
(٨) السعيد الموفق من رزقه الله قلبًا سليمًا ٣٠
ما يمنع سلامة القلب: ٣٧
الغل والحسد ٣٧
تعريف السلف للقلب السليم ٤٠
[علامة القلب السليم] ٤٣
إذا بعد القلب عن الله ماذا يحدث له؟ ٥١
(٩) السعيد الموفق يتزود للآخرة ويزداد كل يوم خيرًا ٥٢
(فائدة) ٥٧

(١٠) السعيد الموفق يجعل الله له القبول في الأرض والذكر الحسن والسمعة الحسنة ٦٤
[الذنوب تميت ذكر صاحبها وتخمله وتطوي محاسن عمله وتورث له البغض في قلوب الخلق] ٨٤
(١١) السعيد الموفق مَن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ٨٧
[١٢] السعيد الموفق من يثبت علىٰ الحق ويستقيم علىٰ دينه حتىٰ يلقىٰ ربه عليه ٩٢
[١٣] السعيد الموفق غريب في زمن الغربة لا يعرفه الناس لمخالفته لهم ٩٥
[١٤] السعيد الموفق كالغيث أينما وقع نفع وكالنحلة في طيب مدخلها وطيب مخرجها ١٠٢
وصف الله العبد الموفق والمؤمن السعيد بأوصاف ومثله بأشياء نافعة محسوسة للناس منها: ١٠٨
(١) شجرة النخلة الشجرة الطيبة ١٠٨
(٢) مثل المؤمن أو المسلم مثل النحلة ١١١
[١٥] السعيد الموفق تزيده الطاعة إيمانا والمعصية تنقص إيمانه وتصلح من حاله بعد التوبة ١١٢
[١٦] السعيد الموفق من رزق حلاوة الإيمان وأسبابها ١١٥
أسباب حصول حلاوة الإيمان وموانع حصولها.....١١٧
أولاً: التوحيد وصلاح عقيدة العبد ورضاه بالله ورسوله دون غيرهما ...١١٧
ثانيًا: ترك المعاصي والذنوب والإقبال علىٰ الله تعالىٰ ١١٩
ثالثًا: التواضع لله وترك رضا الناس ١٢١

رابعًا: الصبر والرضا بالقدر خيره وشره والإيمان بهذا الركن من أركان الإيمان السادس ١٢٢
خامسًا: محبة الله تعالىٰ وإيثار محبته علىٰ محبة ما سواه ١٢٤
[١٧] السعيد الموفق من وفق لليقين والصبر ١٢٦
فائدة: ١٣٣
[من نماذج اليقين] ١٣٥
أولاً: اليقين بالقضاء والقدر والرضا بالخير والشر منه ١٣٦
ثانيًا: اليقين بالأرزاق ١٣٧
قوة البدن ليست سببا لكثرة الرزق: ١٣٩
ثالثًا: اليقين بالعوض والخلف في الصدقة ١٤٠
[١٨] الموفق السعيد من رزق العافية وأكثر من سؤالها: ١٤٣
حث النبي ﷺ علىٰ سؤال العافية والإكثار منها ١٤٤
مواضع يستحب فيها الدعاء بالعافية وينبغي للمؤمن أن يستغلها ويغتنمها ١٤٩
أولًا: عند زيارة القبور ١٤٩
ثانيًا: أذكار الصباح والمساء ١٤٩
ثالثًا: عند زيارة المريض ١٥٠
رابعًا: في دعاء الاستفتاح في الصلاة ١٥٠
خامسًا: بين السجدتين ١٥١
فائدة: العافية نعمة من الله تعالىٰ يعطيها من يشاء ١٥١
فائدة: حقيقة العافية ١٥٢

[١٩] المؤمن الموفق السعيد من رزق الفراسة والفهم ١٥٣
وصحة الفهم نعمة من الله للموفقين من عباده ١٥٧
أسباب تورث الفراسة والفهم والحكمة ١٦٢
أولًا: التقوىٰ وترك الذنوب والإيمان واتباع السنة ١٦٢
ثانيًا: غض البصر ١٦٣
ثالثًا: صحة المعتقد وسلامة المنهج واتباع طريقة السلف في القول والعمل ١٦٤
[٢٠] الموفق السعيد هو المؤمن القوي ١٦٥

القسم الثالث: أعمال الموفقين ١٧٣

أولًا: من أعمال الموفقين قبول الحق والرضا والتسليم له: ١٧٧
ثانيًا: من أعمال الموفقين ترك رضا الناس لأجل رضا الله تعالىٰ ١٨٢
ثالثًا: من أعمال الموفقين ترك ما لا يعنيهم والاهتمام بصلاح أنفسهم وحالهم وأمرهم الذي يخصهم ١٩٦
رابعًا: من أعمال الموفقين الحزن علىٰ فوات العبادة وضياع الطاعة ٢١٠
من أخبار أسفهم علىٰ فوات العبادة ٢١٧
من أخبار الموفقين في حزنهم علىٰ فوات العبادة عند الموت ٢٢٠
خامسًا: من أعمال الموفقين المحافظة علىٰ فضائل الأخلاق ومكارمها ٢٢٣
وأحق الناس بخلق الرجل الموفق أهله وأقربوه ٢٢٦
أولًا: حسن الخلق ثقيل في الميزان ٢٢٨
ثانيًا: صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم القائم ٢٢٨
ثالثًا: خير الناس وخيارهم أحسنهم خلقا ٢٢٩

رابعًا: أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا ٢٢٩
خامسًا: أقرب الناس مجلسًا يوم القيامة من النبي ﷺ ٢٣٠
سادسًا: ما عمل الخلائق من فضائل الأعمال أفضل من حسن الخلق ..٢٣٠
سابعًا: أعظم ما يسع به الناس ويكفيهم من بعضهم لبعض حسن الخلق ٢٣١
ثامنًا: حسن الخلق من موجبات الجنة والمغفرة ٢٣١
تاسعًا: إذا فاز الموفق بحسن الخلق لا يضره ما فاته من الدنيا ٢٣٢
عاشرًا: حسن الخلق أوفر الحظوظ وفيه زيادة العمر والأرزاق ٢٣٢
سادسًا: من أعمال الموفقين استغلال مواسم الطاعات وأيام العبادات .٢٣٥
سابعًا: من أعمال الموفقين اغتنام الفرص واستغلالها ٢٣٩
نماذج من الفرص التي حث الشرع علىٰ اغتنامها واستغلالها قبل فواتها ٢٥٢
أولاً: خمس فرص بعدها خمس غصص ٢٥٢
ثانيًا: فرصة الصباح والمساء ٢٥٣
ثالثًا: فرصة الفراغ والصحة ٢٥٣
رابعًا: فرصة الأمن والأمان والعافية ٢٥٣
خامسًا: وجود العلماء وتوافر أهل العلم وسهولة وسائل الطلب ٢٥٣
ثامنًا: من أعمال الموفقين استغلال النعم وتسخيرها في الطاعة ٢٥٤
عشر نعم ضائعة معطلة من الانتفاع بها عند أكثر الخلق من المخذولين .٢٥٦
(١) استغلال نعمة الجوارح الأعضاء ٢٥٧
(٢) نعمة العقل والسمع والبصر ٢٥٧
فائدة: ٢٥٨
(٣) استغلال نعمة المال ٢٦٣

(٤) استغلال نعمة الوجاهة والمكانة في المجتمع ٢٦٦
(٥) اغتنام الليل وغفلة الناس للخلوة بطاعة الله ٢٦٧
تاسعًا: من أعمال الموفقين اتخاذ لنفسه خبيئة عمل ٢٧٠
[من الأعمال التي تصلح أن تكون خبيئة عمل صالح].....٢٧٢
أولاً: صنائع المعروف ٢٧٢
ثانيًا: الصدقات ٢٧٢
ثالثًا: أعمال السبعة الذين يظلون تحت ظل العرش يوم القيامة ٢٧٣
رابعًا: أعمال الثلاثة الذين أووا للغار ٢٧٣
خامسًا: ما كان يعمله بلال بن رباح ركعتي الوضوء ٢٧٤
سادسًا: أعمال ثلاثة يحبهم الله ٢٧٤
سابعًا: قراءة القرآن ٢٧٥
عاشرًا: من أعمال الموفقين الحرص علىٰ أعمال أجرها بغير حساب...٢٧٥
(١) دعاء الاستفتاح ٢٧٥
(٢) الصيام ٢٧٦
(٣) النحر في الحج ٢٧٧
(٤) الشهادة في سبيل الله ٢٧٨
(٥) كظم الغيظ ٢٧٨
(٦) الصبر ٢٧٨
(٧) الدعاء في آخر ساعة من الجمعة ٢٧٩
(٨) الصدقة ٢٨٠

الحادي عشر: من أعمال الموفقين المحافظة علىٰ أعمال يفرط فيها الناس ويغفل عنها وهي عظيمة الأجر.....٢٨٠
[١] صيام شهر شعبان ٢٨١
[٢] التبكير ليوم الجمعة ٢٨٢
[٣] الجلوس بعد صلاة الصبح حتىٰ تطلع الشمس ٢٨٢
[٤] دعاء دخول السوق ٢٨٣
[٥] قيام الليل ٢٨٣
[٦] المحافظة علىٰ تكبيرة الإحرام ٢٨٤
[٧] الحرص علىٰ الدعاء في أوقات يغفل فيها الناس ٢٨٤
أولاً: آخر ساعة من يوم الجمعة ٢٨٤
ثانيًا: يوم الأربعاء بين الظهر إلىٰ العصر ٢٨٤
ثالثًا ورابعا وخامسًا: عند نزول المطر والتقاء الجيشين وإقامة الصلاة ..٢٨٥
سادسًا: الدعاء عند السحر ٢٨٥
سابعًا وثامنًا وتاسعًا: دعوة المسافر ودعوة الوالد لولده ودعوة الصائم .٢٨٦
[٨] العبادة في زمن الفتن ٢٨٦
الثاني عشر: من أعمال الموفقين الحرص علىٰ مميزات الأعمال لأصحابها يوم القيامة ٢٨٩
أولًا: السبعة الأصناف المتميزون بالظل تحت العرش يوم القيامة ٢٨٩
ثانيًا: سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ٢٩١
ثالثًا: أقوام يجلسون علىٰ منابر من نور عن يمين الرحمن.....٢٩٣
[١] المتحابون لأجل الله ٢٩٣

[٢] المقسطين العادلين ٢٩٤
رابعًا: أقوام يحلون بحلل الجنة ويلبس من لباس الجنة علىٰ رؤوس الأشهاد ٢٩٥
[١] من كظم غيظًا ٢٩٥
[٢] من ترك اللباس تواضعًا لله ٢٩٥
[٣] من عزَّىٰ أخاه في مصيبة ٢٩٥
[٤] حافظ القرآن العامل به ٢٩٦
[٥] والدي حامل القرآن العامل به ٢٩٦
الثالث عشر: من أعمال الموفقين الحرص علىٰ مضاعفة الأعمال ٢٩٦
فائدة: ٢٩٦
أوقات وأزمان تضاعف فيه الأعمال والحسنات ٣٠٦
[١] عشر ذي الحجة ٣٠٦
[٢] شهر رمضان ٣٠٨
أماكن تضاعف فيها الأعمال ٣١١
[١] تضاعف الصلاة في الحرمين الحرم المكي والحرم النبوي ٣١١
[٢] تضاعف الصلاة في الفلاة -أي في الصحراء - بخمسين صلاة ٣١٢
[٣] تضاعف صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في المسجد ٣١٣
[٤] تضاعف صلاة النافلة في البيت يضاعف كمضاعفة الفريضة في المسجد ٣١٣
أعمال يضاعف الله ثوابها لأصحابها: ٣١٤
(١) مضاعفة الصلوات الخمس بأجر خمسين ٣١٤

(٢) مضاعفة القرآن واستماعه ٣١٤
(٣) الصدقة ٣١٥
(٤) الصبر علىٰ البلاء ٣١٥
(٥) بعض الأعمال يؤتىٰ ثواب الأعمال لأصحابها الأجر مرتين ٣١٦
الرابع عشر: من أعمال الموفقين البخل بالحسنات والشح في إنفاقها لأهل المظالم ٣١٧
من الأعمال التي تذهب بالأجور ٣١٩
[١] المظالم وحقوق العباد ٣١٩
[٢] الغيبة ٣٢٢
الخامس عشر: من أعمال الموفقين المبادرة والمسابقة والمسارعة إلىٰ طاعة الله ٣٢٦
السادس عشر: من أعمال الموفقين المحافظة علىٰ أوقاتهم من الضياع والهدر ٣٣٢
ذكر حال الأبرار المقتصدون: ٣٣٤
ثم ذكر حال المقربين: ٣٣٥
نماذج من همة السلف في حفظ الوقت ٣٤٣
(١) همة ابن الجوزي وحفظه لوقته ويذكر من حال الناس في التفريط في ضياعها فيما لا ينفع ٣٤٣
(٢) الحافظ المنذري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٤٥
الغيرة الشديدة علىٰ الوقت عند العابد والعاقل الموفق ٣٤٧
السابع عشر: من أعمال الموفقين المحافظة علىٰ بدائل الأعمال ٣٤٨

أولاً: القرآن بديل عن أجزاء كبيرة منه في الأجر والثواب.....٣٤٨
(١) سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن ٣٤٨
(٢) سورة الكافرون وسورة الزلزلة وسورة النصر ربع القرآن ٣٤٩
ثانيًا: قراءة القرآن بديل عن الصدقة ٣٥٠
بدائل عن الصدقة والنفقات ٣٥٠
(١) التسبيح أدبار الصلوات ٣٥٠
(٢) الأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٥١
(٣) أعمال الخير والإحسان إلىٰ الناس ٣٥٢
(٤) الابتسامة ٣٥٣
(٥) صلاة الضحىٰ تعدل ثلاثمائة وستين صدقة ٣٥٤
(٦) التبكير إلىٰ صلاة الجمعة في الساعات المبكرة تعدل قربات وصدقات ٣٥٤
(٧) القرض الحسن من غير منة ولا أذىٰ ٣٥٥
(٨) إنظار المعسر وإمهاله إذا عجز عن السداد ٣٥٥
ثالثًا: الأعمال التي هي بديل أو تماثل الحج والعمرة في الأجر والثواب ٣٥٦
(١) عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ ٣٥٦
(٢) الجلوس بعد صلاة الفجر في المسجد حتىٰ تطلع الشمس. ٣٥٦
(٣) التطهر والوضوء في البيت ثم يأتي مسجد قباء فيصلي فيه صلاة تعدل أجر عمرة ٣٥٦
(٤) من تطهر وتوضأ في بيته وأتىٰ إلىٰ صلاة الجماعة ٣٥٧

رابعًا: حسن الخلق وكفالة الأرملة والمسكين واليتيم تعدل الصائم النهار القائم الليل ٣٥٧
خامسًا: الرباط في سبيل الله يعدل ليلة القدر وفي البيت الحرام ٣٥٨
سادسًا: الرباط في سبيل الله يعدل الشهور والسنوات فيما سواها من العمل ٣٥٩
سابعًا: إصلاح ذات البين بديل عن الصيام والصدقة والاعتكاف ٣٦٠
الثامن عشر: من أعمال الموفقين كثرت الذكر.....٣٦١
من فضائل الذكر والذاكرين ٣٦٣
[١] وصفهم النبي ﷺ بالسبق والمسارعة والفوز بعمل عظيم القدر كثير الأجر ٣٦٣
[٢] الذكر من أجل الأعمال وأرفعها عند الله وتعدل الصدقة والجهاد وأرجىٰ الأعمال للنجاة من العذاب وصقالة القلب من الذنوب والقسوة ٣٦٣
[٣] الذكر فيه عوض وبدل لمن لم يستطع علىٰ نوافل العبادات ٣٦٤
[٤] صاحب الذكر له معية خاصة من الله تعالىٰ بالتوفيق والتأييد والإعانة ٣٦٥
[٥] الذكر من خير الأعمال ومن أفضلها لحسن الخاتمة ٣٦٦
[٦] الذاكر لله تعالىٰ دعوته مستجابة ٣٦٦
[٧] الذاكر لله تعالىٰ حي القلب حي الروح بعكس الغافل فإنه ميت القلب والروح من نفخات الإيمان ٣٦٧

التاسع عشر: من أعمال الموفقين الاحتساب والنية للعمل بالقلب إذا عجز عنه البدن ٣٧٠
أولاً: النية والاحتساب في المباحات والعادات ٣٧٩
مثال الأول: الجماع والإتيان للشهوة بالحلال ٣٧٩
المثال الثاني: يحتسب النائم نومه وكان ينوي أن يقوم الليل فغلبته عيناه.٣٨٠
المثال الثالث: احتساب عادته مع أهله وفرسه وترويحه علىٰ نفسه ٣٨٠
نماذج في أعمال يحتسب فيها الموفق فيؤجر فيها أعظم الثواب ٣٨٦
-أولاً: النية في شيء يريد أن يكون من أهله ويمنىٰ أن يعمل بعملهم ٣٨٦
-ثانيًا: الهم بالحسنات والترك للسيئات لأجل الله ٣٨٧
ثانيًا: يؤجر العبد علىٰ ما كان ينوي فعله فحال دونه العذر من مرض أو غير ه كالموت ٣٨٩
-المثال الأول: موفق أجر علىٰ نيته ولم يتحقق شرطه ٣٨٩
-المثال الثاني: موفق أجر علىٰ نيته ولم يحضر أولو لم يفعل العبادة أو لم يكملها منعه العذر ٣٩٠
ثالثًا: الاحتساب في النفقة علىٰ من يعول ٣٩٢
رابعًا: من سأل الشهادة بحق لو مات علىٰ فراشه له أجر الشهيد ٣٩٦
العشرون: من أعمال الموفقين الصبر والرضا بالقضاء والقدر ٣٩٦
الواحد والعشرون: من أعمال الموفقين مواساة نفسه بالأجر عند البلاء والمصيبة ٤٠٤
نماذج وأمثلة لمن يتسلىٰ بالأجور الباقية عن الدنيا الفانية الذاهبة.....٤٠٦
(١) تسلية المريض بالحمىٰ ٤٠٦

(٢) تسلية من فقد من أولاده ٤٠٨
(٣) تسلية من مات له شخص إن كانت امرأة علىٰ نفاس أو كان حريقا أو غريقا أو مهدوما أو مبطون وذات الجنب والملدوغ كلهم له أجر شهيد.٤١٠
(٤) تسلية من مات له حبيب أو قريب عزيز عليه ٤١١
(٥) تسلية الأعمىٰ الصابر المحتسب ٤١٢
(٦) تسلية من ابتلي بكثرة البنات ٤١٢
(٧) تسلية الفقير الصابر المحتسب ٤١٥
تنبيه: ٤١٨
الثاني والعشرون: من أعمال الموفقين العمل بالعلم ٤١٩
الثالث والعشرون: من أعمال الموفقين الهمة والإرادة ٤٢٨
الرابع والعشرون: من أعمال الموفقين هضم النفس ومعرفة قدرها والاشتغال بعيب النفس.....٤٣٧
مما يعين العبد المؤمن علىٰ هضم نفسه ومعرفة قدرها ٤٤٧
(١) خوفه من ذنوبه أن تكون أحدها سببا لعذابه وترك الغرور بحسناته .٤٤٧
(٢) طلب العلم والانتفاع به ٤٤٨
(٣) أن يعلم أنه مهما اجتهد في الطاعة أنه لن يبلغ ما بلغه السلف من العلم والعبادة ٤٤٨
(٤) أنه يعلم مهما عمل فلن يؤدي حق ربه ٤٤٨
(٥) أن تنظر إلىٰ الناس بعدل وتنزلهم منازلهم ٤٤٩
(٦) أن يعلم أن ما حصل له من الرفعة والمكانة كان بعد ستر الله لذنوبه عن الناس ٤٤٩

(٧) أن يعلم أن الحسنات وتوفيقه إليها محض نعمة ومنة وأنه لا غنىٰ له عن الله طرفة عين ليست بجهده قدر عليها ولا بحوله فعلها فلو شاء الله ما فعلها وهدي إليها ٤٥١
(٨) أن يعلم أن عمله الصالح لا يساوي حق نعمة لا يعرف قدرها ٤٥٣
(٩) أن يعلم أنه لا يدخل الجنة أحد بعلمه وأن التوفيق نعمة من الله عليه. ٤٥٨
(١٠) ومما يعين علىٰ هضم النفس أن يعلم أن لله من هو أطيع وأعبد وأخشع وأعلم واتقىٰ منه ٤٦٠
١٢- ومما يعين علىٰ هضم النفس أن يعلم أن عمره أكثره كان في غيره طاعة وأنه في المباح والحاجة ٤٦٢
١٣- الدعاء ٤٦٢
الخامس والعشرون: من أعمال الموفقين الاشتغال بعيب النفس وترك عيوب الناس..... ٤٦٣
من أسباب الحرمان من الخير والخذلان عن التوفيق الاشتغال بعيوب الآخرين. ٤٦٣
السادس والعشرون: من أعمال الموفقين يتذكر الموفق المشاهد الأخروية بالمشاهد الدنيوية..... ٤٦٧
مشروعية تذكر مشاهد الآخرة بمشاهد الدنيا ٤٧١
نماذج من مشاهد دنيوية تذكر بها الموفقون مشاهد أخروية ٤٧٣
[١] الموت ٤٧٣
[٢] مشهد القبر ٤٧٤

[٣] مشهد ذل العبد وحاجته وفقره إلىٰ الله وترك الذل والافتقار للخلق ٤٧٥
من أعمال الموفقين الخوف ألا يتقبل الله منهم أعمالهم بعد الفراغ منها ٤٧٨
الخاتمة ٤٨٧
فهرس الموضوعات ٤٩٠